



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

ISSN: ٢٦١٧-٥٨٩٤ (٢٠٢٠/١٢) (١٨) تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن

**أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات
"تطبيق على آيات مختارة من سورة البقرة إلى سورة هود"**

د. عبده سعيد محمد همد

جودة الحياة من منظور القرآن الكريم

د. يحيى مقبل صالح الصباحي

تأثير المستجدات على الحكم الشرعي في ختان الإناث

د. أحمد صالح علي بافضل

ظلم النفس وتوجه المسؤولية الفردية عليه

دراسة لنماذج من القرآن الكريم

د. عبدالرقيب عبده خالد عبدالله

البقرة الحمراء بين الحقيقة والوهم

د. أسماء بنت عبد المجيد الزداني

المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون

د. هاشم علي الوظائف

مناسبات قصص المصلحين من غير الأنبياء لسور القرآن الكريم

د. وليد أحمد عبد الحبيب بن زياد

حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية للدول التي تسيء للنبي

في الشريعة الإسلامية ومقررات القانون الدولي

د. محمد أحمد أمين النهاري

مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - الجمهورية اليمنية

الهيئة الاستشارية

- أ. د. عبدالحق عبدالدائم القاضي
أ. د. عبدالله عثمان المنصوري
أ. د. محمد سنان الجلال
أ. د. عبدالوهاب لطف الديلمي
أ. د. علي غالب المخلافي
أ. د. صالح عبدالله الضبياني
أ. د. محمد يوسف الربيدي
أ. د. عبدالرحمن إبراهيم الحميسي
أ. د. محمد حاتم المخلافي
أ. د. إبراهيم إبراهيم القريبي
أ. د. يحيى مقبل الصباحي
أ. د. محمد سرحان المحمودي

العدد الثامن عشر

المشرف العام

أ.د/ غالب عبدالكافي القرشي

رئيس التحرير

أ.د. يحيى مقبل الصباحي

مدير التحرير

أ.د. عبدالحق غانم القريضي

أعضاء الهيئة الإدارية

أ.د. محمد سرحان المحمودي

أ.د. أسماء غالب القرشي

سكرتير التحرير

أ. ياسر محمد الجعفري

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير على العنوان التالي :

مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية . الجمهورية اليمنية . صنعاء

هاتف : ٥/ ٢١٦٨٦٤ ١ ٩٦٧ + جوال : ٠٨ ١١٦١٩٠٨ ٩٦٧٧٧ + ص.ب : (١١٢٢٩)

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية - صنعاء : (٣٦٤/٢٠١٣)

الموقع : Web-site: www.uqs.me البريد الإلكتروني: E-mail: info@uqs.me

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ

أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا

أولا ضوابط النشر:

- تقبل المجلة نشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، والتي تتوفر فيها الشروط الآتية:
١. أن يكون البحث أصيلاً، وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث الأكاديمية، وذلك في مجالات (العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية).
 ٢. أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة، ومراعياً لقواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت) ومطبوعاً على الحاسوب، ببنط (١٦) وبخط (Traditional Arabic)، وألا تقل صفحات البحث عن خمس وعشرين صفحة، ولا تزيد عن (٤٠) صفحة متضمنة الهوامش والمراجع، والملخص، وما زاد فيتبع فيه نظام المجالات من حيث الرسوم.
 ٣. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة، وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية، ويُراعى أن لا تتجاوز أبعاد الأشكال والجداول حجم الصفحة.
 ٤. يكتب الباحث ملخصاً للبحث (١٥٠ - ٢٠٠ كلمة) يوضع أول البحث بحيث يشتمل على عنوان البحث، وقضية/مشكلة البحث، وهدف البحث، ومنهج البحث، وأهم النتائج التي توصل إليها البحث. وكلمات مفتاحية للبحث من (٣ - ٥ كلمات)، تلي ملخص البحث مباشرة.
 ٥. يترجم الباحث عنوان البحث وملخصه والكلمات المفتاحية باللغة الإنجليزية، إن كان البحث باللغة العربية، أو يترجم ذلك باللغة العربية إن كان البحث باللغة الإنجليزية، (مع ملاحظة أن تكون الترجمة معتمدة، وليست من البرامج الالكترونية، وتكون للنسخة النهائية المقبولة من المخلص).
 ٦. يترجم الباحث اسمه والمعلومات التي يريد نشرها في صفحة عنوان البحث.
 ٧. ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدم للنشر في أي جهة أخرى، (يقر الباحث بذلك، أو يعتبر اطلاعه على هذه الضوابط إقراراً بذلك).
 ٨. أن يتوفر في البحث دقة التوثيق، وحسن استخدام المصادر والمراجع.

٩. تثبت المصادر والمراجع عند أول ذكر لها في البحث، على النحو التالي: اسم المؤلف كاملاً مع اللقب، ثم اسم المصدر أو المرجع، ثم المجلد ورقم الصفحة. وعند إعادة الإشارة لمصادر ومراجع سابقة: يكتب (اسم الشهرة للمؤلف أو اسمه مع اللقب والجزء والصفحة، مرجع سابق). أو (اسم الكتاب والجزء والصفحة، مرجع سابق)، وإذا كان للمؤلف نفسه أكثر من مرجع في البحث فيكتب اسم المرجع المراد مع الجزء والصفحة ليتميز المرجع المقصود.
١٠. مراجع كتب الحديث النبوي تكتب بنفس الطريقة، فيما عدا إضافة (الكتاب، والباب، ورقم الحديث) للمراجع المبوبة، بهذه الصورة مثلاً: (البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الإيمان، باب: حلاوة الإيمان (١ / ٢٠) رقم: ١٦. وما كان منها غير مبوب فيثبت من غير الكتاب والباب.
١١. تثبت للمرجع طبعة واحدة فقط، ولا يصح أن تثبت أكثر من طبعة لنفس المرجع، إلا إذا كان هناك مقتضى ضروري لذلك، ويبين ما هو.
١٢. تثبت قائمة المراجع بمعلوماتها الكاملة في نهاية البحث، محتوية على جميع المراجع والمصادر التي استشهد بها في متن البحث، وترتب ترتيباً أبجدياً، وتأتي المراجع العربية أولاً (كتب أو رسائل أو دوريات)، ثم المراجع غير العربية بعدها (كتب أو رسائل أو دوريات). ويثبت المصدر أو المرجع بذكر اسم المؤلف كاملاً، ثم يوضع تاريخ النشر ورقم الطبعة بين حاصرتين، كهذه () ، يلي ذلك ذكر عنوان المصدر أو المرجع، متبوعاً باسم المحقق أو المترجم (إن وجد)، ثم دار النشر ثم مكان النشر.
١٣. عند استخدام الدوريات (المجلات) بوصفها مراجع للبحث: يُذكر اسم صاحب البحث كاملاً، ثم تاريخ النشر بين حاصرتين، ثم عنوان البحث، ثم ذكر اسم المجلة ثم رقم المجلد (إن وجد)، ثم رقم العدد ثم أرقام الصفحات من - إلى، مثلاً: (٥٠ - ٨٥).
١٤. عند استخدام الرسائل العلمية كمراجع: تبدأ باسم صاحب الرسالة ثم عنوان الرسالة ثم الكلية والجامعة، والبلد، ثم تاريخ مناقشة الرسالة.
١٥. الآيات القرآنية الحجم ١٣، بالرسم العثماني. بين قوسين مزهرين كهذه ﴿ ﴾. وتوثق الآيات في صلب البحث، بالسورة ورقم الآية.

١٦. الأحاديث النبوية الحجم ١٦، توضع بين قوسين كهذه « » مسودين مقاس ١٢.
١٧. وتشكل فقط الكلمات التي تحتاج لتشكيل.
١٧. النقول العلمية تكتب بين علامتي تنصيص " ". وبحسب أنظمة الاقتباس.
١٨. الحواشي السفلية تكتب بحجم ١٢ غير مسودة، بنفس نوع خط المتن، وتوضع أرقامها بين قوسين كهذه () .
١٩. البحوث باللغة الإنجليزية يكون خط المتن حجم ١٤، والهوامش حجم ٨.
٢٠. ترقيم الحواشي كل صفحة مستقلة، وبصورة آلية وليست يدوية.

ملاحظات مهمة:

- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث بما يتناسب وأسلوبها في النشر، (فنيا).
- ترحب المجلة بنشر ما يصلها من ملخصات الرسائل الجامعية التي تم مناقشتها وإجازتها في التخصصات المشار إليها، على أن يكون الملخص من إعداد صاحب الرسالة نفسه.
- الآراء الواردة في الأبحاث التي تنشرها المجلة تعبر عن أصحابها دون تحمل المجلة أية مسئولية عنها.

ثانياً : إجراءات النشر:

- تُرسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة إلى مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الجمهورية اليمنية - صنعاء، باسم مدير التحرير أو سكرتير التحرير.
- تُرسل ثلاث نسخ من البحث مطبوعة على ورق (A4)، شريطة أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ومحفوظة بقرص مدمج (CD)، متوافقاً مع برامج أجهزة الحاسوب ويندوز، وذلك إلى عنوان المجلة، بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي، ومكان عمله، ومجاله، والإيميل..
- أو ترسل الأبحاث بصيغة word و pdf، إلى إيميل مدير التحرير أو واتس أو تليجرام.
- يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث، متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل، وأرقام هواتف المنزل والعمل والفاكس (إن وجد) بما يسهل التواصل مع الباحث.
- في حالة قبول البحث مبدئياً، يتم عرضه على مُحكِّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث، ويتم اختيارهم بسرية تامة، ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته، وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث، وقيمته العلمية، ومدى التزام الباحث

- بالمنهجية العلمية المتعارف عليها، ويطلب من المحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها.
- يُخَطَّر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ستة أشهر - على الأكثر - من تاريخ استلام البحث.
 - في حالة ورود ملاحظات من المحكّمين، تُرسل تلك الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة بموجبها، على أن تعاد للمجلة خلال مدة أقصاها شهر.
 - الأبحاث التي لم تتم الموافقة على نشرها لا تعاد إلى الباحثين، ويشعر الباحثون بذلك.
 - يمنح أصحاب البحوث المنشورة نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور فيه، وثلاث مستلّات من بحوثهم، أو ترسل لهم المستلّات ونسخة من المجلة الكترونياً.
 - تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

ثالثاً: رسوم النشر في المجلة:

- تتقاضى المجلة مقابل نشر البحوث المحكمة والمقبولة الرسوم الآتية:
- البحوث المرسلّة من داخل الجمهورية اليمنية (٢٠٠.٠٠٠) عشرون ألف ريال يمني، أو ما يعادلها.
 - البحوث المرسلّة من خارج الجمهورية اليمنية (٥٠٠.٠٠٠) خمسون ألف ريال يمني، أو ما يعادلها.
 - البحوث المقدمة من باحثي كليات الجامعة تنشر مجاناً.
 - الرسوم تدفع مع إيصال البحث، وهي غير قابلة للإرجاع بعد البدء بإجراءات التحكيم، سواء تم قبول البحث للنشر أو لم يتم.

- تلفون/ واتس/ تليجرام مدير التحرير: ٧٧١١٦١٩٠٨ ٠٠٩٦٧ الجمهورية اليمنية.
- إيميل مدير التحرير: algarizi2012@gmail.com
- رابط المجلة : www.uqs.me

المحتويات

م	الموضوع	الباحث	ص
١	أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات "تطبيق على آيات مختارة من سورة البقرة إلى سورة هود"	د. عبده سعيد محمد همد	١١
٢	جودة الحياة من منظور القرآن الكريم	د. يحيى مقبل صالح الصباحي	٦٩
٣	تأثير المستجدات على الحكم الشرعي في ختان الإناث	د. أحمد صالح علي بافضل	١١١
٤	ظلم النفس وتوجه المسؤولية الفردية عليه دراسة لنماذج من القرآن الكريم	د. عبدالرقيب عبده خالد عبدالله	١٤١
٥	البقرة الحمراء بين الحقيقة والوهم	د. أسماء بنت عبد المجيد الزنداني	١٨٧
٦	المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون	د/ هاشم علي الوظاف	٢٣٧
٧	مناسبات قصص المصلحين من غير الأنبياء-عليهم السلام- لسور القرآن الكريم	د. وليد أحمد عبد الحبيب بن زياد	٢٨٣
٨	حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية للدول التي تسيء للنبي ﷺ في الشريعة الإسلامية ومقررات القانون الدولي	د. محمد أحمد أمين قاسم النهاري	٣٢٩



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ٥٨٩٤-٢٦١٧ ISSN:

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات

تطبيق على آيات مختارة من سورة البقرة إلى سورة هود

د. عبده سعيد محمد همد

أستاذ مساعد بقسم القراءات وعلوم القرآن

كلية القرآن الكريم

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

جمهورية السودان - الخرطوم

abdusae73@gmail.com

خلاصة البحث

هذا البحث: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات.. يهدف: إلى التعريف بأوجه اختلاف القراءات وتأثيرها على مسائل الاعتقاد والاستدلال بها، ورصد المسائل العقدية المتعلقة بأوجه اختلاف القراءات؛ لبيان ما ينبغي نحوها، في آيات موضوع الدراسة. وتناول هذا البحث: أثر أوجه الاختلاف في المسائل العقدية، وفي أنّ الجزء هو بسبب العمل مع رحمة الله وتوفيقه للأعمال الصالحة وإذنه لدخول الجنة، والرد على من ادعى أن العبد ليس له فعل وأن الجزء لا يترتب على العمل. وأنّ الطعن في القراءة الثابتة عن النبيّ الكريم، إخضاعاً للأقيسة النحوية، إشكال عظيم في مسائل الاعتقاد.

كما تناول البحث في الآيات المختارات من سورة المائدة إلى سورة هود، الحوار الذي دار بين عيسى عليه السلام والحواريين في مسألة الاستطاعة، من حيث تنزيه الله أن يسأل عن استطاعته لشيء من عدمه، وما جاء في سؤال نوح-عليه السلام - لربّه بنجاة ابنه، وما وقع من إشكال عقدي في جواز خيانة نساء الأنبياء، وقد تقرر نفي ذلك عند أئمة السلف. أهمّ نتائج الدراسة والتوصيات:

أنّ القرآن الكريم لو خالف الأقيسة والقواعد النحوية؛ فإنّ القرآنَ يَحْكُمُ ولا يُحْكَمُ عليه، ولا يُلْتَفَتُ إلى الأقيسة النحوية، وأنّ على المؤسسات الإسلامية العناية بأوجه اختلاف القراءات المتعلقة بالمسائل العقدية ونشرها على أوسع نطاق الإعلام العام. الكلمات المفتاحية: القراءات القرآنية، أوجه القراءات، اختلاف القراءات، ردّ الشبهات.

Abstract

Aspects of Different of Qur'anic readings (*Alqira'at*) in establishing Islamic Faith and rejecting suspicions Objectives of the study: The study aims to identify the differences in readings of the Qur'an, and their impact on matters of belief and to infer them, and to induct the doctrinal issues related to the differences in readings. To indicate what should be towards it, in the verses of the subject of study.

This research deals with aspects of *Alqira'at* (The Qur'anic readings) in establishing faith and rejecting suspicions in the selected verses from Surat Al-Baqarah to Surat Al-Nisa', as it included the effect of these doctrinal issues in that the reward is due to work with the mercy of Allah, , and it includes a response to those who claim that the slave has no action and that the punishment is not brought about by the action, and that challenging the steadfast reading of the Holy Prophet, subject to grammatical measurements; a great problem in matters of belief and faith.

It also dealt with in the selected verses from Surat Al-Ma'idah to Surat Hud, the dialogue that took place between Jesus, (PBUH), and his companions, about the issue of Ability.

And what came in the question of Noah - (PBUH) - to his Lord For saving his son, and Allah answered him that he is not from his family, as there was a confuse regarding the permissibility of betrayal of the wives of the prophets, and it was decided to deny this to the imams of the predecessors.

Research Finding and recommendations: If the Noble Qur'an contravenes norms and grammatical rules; the Qur'an is judged and not judged, and grammatical norms are not paid attention to, and that the Islamic institutions must take care in explaining the differences in reciting related to doctrinal matters, and publishing them in the broadest public media.

Key words: Qur'anic readings, aspects of readings,, differing Qur'anic readings, responding to suspect.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي برأ النّسم، وأفاض النّعم، ومنح القِسم، هو الذي أنزل على عبده الكتاب بأفصح اللّغات، على اختلاف اللّهجات، هديّ وذكرى لأولي الألباب، وتكفل بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿الحجر: ٩﴾

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صاحب المقام المحمود والحوض المورود، أنزل عليه أعظم رسالاته ليكون للعالمين مبشراً ونذيراً، وبعد: فإنّ علم القراءات من أشرف العلوم وأجلّها قدرًا وأرفعها ذكرًا، وأسماها مكانةً، بل أفضلها إطلاقاً؛ لتعلقه بكتاب الله تعالى، وهو أولى بالاهتمام والرعاية، لهذا الأمر اهتم خلف هذه الأمة عن سلفها بهذا الشأن، ومن تلك الاسهامات ما قام به العلماء الربانيون المحققون، في خدمة علم القراءات القرآنية، وردّ الشبهات التي تثار حولها، ومما لا شك فيه أنّ هذه الدراسة تبرز دَوْرَ أوجه اختلاف القراءات في تقرير مسائل الاعتقاد وردّ الشبهات التي تثار حولها.

وتتضح مكانة البحث في الكشف عن تأثير أوجه اختلاف القراءات ومدى أهميتها في المسائل العقديّة، والحاجة الماسة إلى توجيه الأقوال المخالفة عقدياً إلى الصواب والتي تمّت مناقشتها في ثنايا البحث.

والجدير ذكره أنّ بعضاً من النحويين ومن المفسرين قد رفضوا قراءات متواترة ثابتة عن النبي (صلى الله عليه وسلم) لأجل مخالفتها قواعد نحوية في زعمهم، وربما تلك القواعد والأقيسة النحوية التي ردّوا بها القراءات كانت أوّهى من بيت العنكبوت، ومن خلال تخصيص في القراءات القرآنية وعلوم القرآن دار بخلدي بيان أوجه اختلاف القراءات المتعلقة بالمسائل العقديّة وردّ الشبهات التي أحاطت بها ودحضها، وهو تطبيق على آيات مختارة من سورة البقرة إلى سورة هود، خشية الإطالة وفق منهجية البحوث العلمية، وهذه هي السلسلة الأولى، وهناك سلسلة ثانية لم تصدر تكملة للموضوعات العقديّة المتعلقة بأوجه اختلاف القراءات القرآنية. وذلك تحت عنوان: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات.

وتكمن أهمية الموضوع فيما يلي:

أ. تشير الدراسة إلى تأثير أوجه اختلاف القراءات ومدى أهميتها في المسائل العقدية، بصورة تمكن القارئ من الإحاطة بالأحكام العقدية ذات الصلة بأوجه القراءات دون تحمّل المشقات.

ب. الإشادة بتلك الإسهامات الكثيرة من العلماء المحققين، في ترسيخ المسائل العقدية المتعلقة باختلاف أوجه القراءات.

ج. تكمن قيمة هذا الموضوع من خلال الحاجة الماسة إلى رد الشبهات المثارة حول أوجه اختلاف القراءات لمخالفة البعض منها الأقيسة النحوية، ورفع اللثام في هذا الشأن.

الدراسات السابقة:

حظي علم القراءات عند الباحثين والعلماء، وأفردوا له عدة مؤلفات وبحوث يضيق المقام عن ذكرها، وهذه الدراسات منها ما كان على نسق موضوع واحد ومنها ما كان من عدة موضوعات ذات الجوانب المختلفة ومما سبق في هذا:

١. "أثر القراءات في مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: دراسة تطبيقية". وهو بحث

ل (د. شريفة بنت أحمد الحازمي، د. نمشة بنت عبد الله الطوالة)، مجلة العلوم الشرعية،

تصدر عن جامعة الإمام محمد بن سعود. العدد الثلاثون، محرم ١٤٣٥هـ. وقد تطرقت

الدراسة إلى التعريف بأهل السنة والجماعة، وجهودهم لتمييز القراءات عن غيرها، وذكر

بعض الأحكام العقدية كنماذج دون تفصيل، وتناولت الدراسة بإسهاب القراءات

الشاذة وحكم الاحتجاج بها في مسائل الأحكام، ونماذج وتطبيقات لها.

وأما بحثي فقد تناول الموضوعات التي لم تتطرق إليها الدراسة السابقة؛ وهي بيان أوجه

اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات ورفع اللثام عنها، وأن الطعن في القراءة

الثابتة عن النبي الكريم، إخضاعاً للأقيسة النحوية إشكال عظيم في مسائل الاعتقاد،

والتحذير من الخوض في ذلك، وغيرها من المسائل العقدية المهمة المبتوثة في ثنايا البحث.

٢. بحث بعنوان: "أثر القراءات القرآنية وعلاقتها بمسائل الاعتقاد" لصاحبه، عبد العزيز بن

سليمان، جامعة القصيم، تحدثت الدراسة عن المسائل الآتية: علاقة القراءات القرآنية

بأحكام الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والإيمان بالرسول واليوم الآخرة، وبالقدر خيره وشره. وهذا كلام عام ولم يضبط البحث جزئية معينة.

وأما دراستي فهي في الجوانب التي لم تتناولها تلك الدراسة؛ كأوجه القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات المختارات من مطلع القرآن إلى سورة هود، في المسائل العقدية المهمة؛ كالحوار الذي دار بين عيسى عليه السلام والحواريين في مسألة الاستطاعة، من حيث تنزيه الله - عز وجل - أن يُسأل عن استطاعته لشيء من عدمه، وما جاء في سؤال نوح - عليه السلام - لربّه بنجاة ابنه، وردّ الله عليه بأنّه ليس من أهلك، وبيان المقصود من هذا النفي وأنّه ابن صلبه خلافاً لمن نفاه عنه.

أهداف البحث.

١. التعريف بأوجه اختلاف القراءات وتأثيرها على مسائل الاعتقاد والاستدلال بها.
٢. الإشارة إلى تنوّع أوجه اختلاف القراءات ودلالة بعضها في تقرير المسائل العقدية على معنى لا يوجد في القراءة الأخرى.
٣. إظهار فضل علم القراءات وسموه، من بين علوم الشريعة في تقرير مسائل الاعتقاد.
٤. إبراز جهود العلماء المحققين، في خدمة علم القراءات القرآنية، ورد الشبهات التي تثار حولها خلقاً عن سلف.
٥. تحديد القراءات الثابتة والدفاع عنها والتي حصل رفضها بالأقيسة النحوية، وتمت مناقشتها في ثنايا البحث.
٦. تتبع المسائل العقدية المتعلقة بأوجه اختلاف القراءات لبيان المسلك ما ينبغي فيها، في الآيات موضوع الدراسة.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في الجواب عن الآتي:

١. كيف تؤثر أوجه القراءات في المسائل العقدية؟ وما مدى ذلك التأثير؟
٢. هل لعلماء القراءات جهود في رد الشبهات عنها في هذا الباب؟
٣. كيف نرد على من أنكروا ورفضوا القراءات الثابتة بالأقيسة النحوية؟

منهج البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي، وذكرت عدداً من الآيات المختارات للدراسة، مع إيراد الأقوال ومناقشتها وفق المسائل العقدية المتعلقة بأوجه اختلاف القراءات والحكم عليها وتوجيهها.

خطة البحث:

وينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على نحو ما يلي:

المقدمة تناولت: أهمية البحث والدراسات السابقة وأهدافه ومشكلته ومنهجه وخطته.

التمهيد: لَمَحَة مختصرة عن علم القراءات وأوجهها ونشأتها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بعلم القراءات ونشأتها.

المطلب الثاني: التعريف بالقراء العشرة وروايتهم وأوجه القراءات.

المبحث الأول: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

المختارات من سورة البقرة إلى سورة النساء وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

من سورة البقرة [٣٧-٥١].

المطلب الثاني: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

من سورة النساء [١-١٢٤].

المبحث الثاني: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

المختارات من سورة المائدة إلى سورة هود:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

من سورة المائدة [١١٢-١٣٧].

المطلب الثاني: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

من سورة الأنعام، [١٥٩-٤٦].

الخاتمة: وفيها النتائج والتوصيات.

التمهيد:

لمحة مختصرة عن علم القراءات ونشأته

المطلب الأول:

التعريف بعلم القراءات ونشأتها

وجاء هذا المطلب لتعريف القراءات بقسميها ونشأتها، من خلال فروع كما يلي:

الفرع الأول: التعريف بالقراءات المتواترة:

القراءات في اللُّغة: بأنها جمع قراءة، ومادة (ق.ر.أ) تدور في لسان العرب حول معنى الجمع

والاجتماع^(١).

والقراءة من قرأ، يقرأ قرآنًا فهو قارئ وهم قراء وقارئون^(٢)، فالقراءة مصدر من قول

القال: قرأتُ الشيء إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض، وقال آخرون: قرأ وقراءةً وقرآنًا

^(٣). ويقال: قرأ يقرأ قراءةً، وقرأناً: يعني تلا فهو قارئ^(٤).

القراءات المتواترة في الشرع: فقد تعددت عبارات العلماء حول تعريف القراءات،

لكني سأذكر منها ما يلي:

١ - عرّفها الإمام ابن الجزري: فقال: القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها

بعزو الناقله^(٥).

٢ - وعرّفها بعضهم فقال: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في

النطق بالقرآن الكريم اتفاقاً في الروايات والطرق عنه سواءً أكانت هذه المخالفة في

نطق الحروف، أم نطق هيئتها^(٦).

(١) أحمد بن زكريا ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، (٦/٧٨).

(٢) مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، (١/١٠١).

(٣) محمد بن مكرم الإفريقي بن منظور، لسان العرب، باب الهمزة، فصل القاف، (١/١٢٨).

(٤) محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الهمزة، فصل القاف، (١/٢٥).

(٥) محمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٨.

(٦) محمد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/٤٠).

٣- وقال آخرون في حدِّها: إنَّها التَّطَقُّ بألفاظ القرآن كما نطقها النَّبِيُّ أو كما نطقت أمامه فأقرَّها^(١). وهذه التعريفات متقاربة كلها تؤدي المعنى.

وشروط قبولها كما قال إمام هذا الفن ابن الجزري - رحمه الله :

فَكُلُّ مَا وَافَقَ وَجْهَ نَحْوِ	***	وَكَانَ لِلرَّسْمِ احْتِمَالًا يَحْوِي
وَصَحَّ إِسْنَادًا هُوَ الْقُرْآنُ	***	فَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ الْأَرْكَانُ
وَحَيْثُمَا يَخْتَلُّ رُكْنٌ أَثْبِتْ	***	شُدُوذَهُ لَوْ أَنَّهُ فِي السَّبْعَةِ ^(٢) .

فالقراءة التي تفقد الأركان الثلاثة^(٣)، أو واحداً منها قراءة شاذة، لا يقرأ بها، ولا تسمّى

قرآناً^(٤). فكل قراءة وراء العشرة لا يحكم بقرآنتها^(٥)

الفرع الثاني: التعريف بالقراءات الشاذة:

الشاذ في اللغة: مأخوذ من: شذَّ عنه يشدُّ شذوذاً: انفرد عن الجمهور، فهو شاذٌّ^(٦).

ويقال: شذَّ عن القياس أي ما شذَّ عن الأصول^(٧)،

والشاذ ما انفرد عن الجمهور ونذر^(٨). فهو: التفرق والتفرد والندرة والخروج على

القاعدة والقياس والأصول^(٩).

القراءات الشاذة في الاصطلاح: كل قراءة فقدت الأركان الثلاثة: (صحة السند، ورسم

(١) عبد الهادي الفضلي، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، ص ٦٣.

(٢) مُجَدِّدٌ بن مُجَدِّدِ بن الجزري، طيِّبة النشر في القراءات في العشر الكبرى، الأبيات رقم (١٤-١٦)، ص ٣٢.

(٣) الأركان الثلاثة: هي موافقة المصحف العثماني، أو وجه من أوجه اللُّغة العربيَّة، صحة السند، ينظر المصدر السَّابِق، ص ٣٢.

(٤) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٣٢.

(٥) عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص ٦، دار الكتب العربية، دون. ت.

(٦) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة [شدذ]، (٢/ ١٩١).

(٧) محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، مادة [شدذ]، ص ٣٢٤.

(٨) الزبيدي، تاج العروس، مادة [شدذ]، (٢/ ٥٦٦).

(٩) عثمان بن جني، الخصائص، مادة [شدذ]، (١/ ٩٧-٩٨)، ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (١/ ٩).

المصحف، وموافقة وجه من وجوه اللُّغة العربيَّة، أو واحدٍ منها) فهي شاذة (١).

الفرع الثالث: بيان نشأة القراءات.

إنَّ القراءات القرآنية كلُّها منزلة من عند الله تعالى على نبيِّه محمد ﷺ، لا مجال للعقل، ولا للرأي فيها لأيِّ شخص أياً كان (٢)، ويرشد إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ (الحاقة: ٤٠-٤٥).

فإذا كان النبي ﷺ، ليس في مقدوره، ولا في استطاعته أن يبدل، أو يغيِّر شيئاً من القرآن، فما ظنك بغيره، ومن هو دونه منزلةً وفصاحةً وبلاغةً، فالقرآن كلام الله وكفى، وقد كان النبي ﷺ، يقرئ الصحابة الأحرف، وكل واحد منهم يأخذ القراءة وهو يقرأ بحسب ما تعلم (٣).

وقد اختلف أخذ الصحابة عن رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، حتى تفرَّقوا بعد ذلك في الأمصار، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين، وانتشر الأئمة من التابعين إلى زمن التدوين وهكذا، حتى وصلت هذه القراءات إلى الأئمة الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يتلوها وينشرونها (٤)، كما اشتهر عدد كبير من كبار علماء القراءات ممن بذلوا جهوداً في التعليم والتأليف، وتزخر كتب التاريخ والتراجم بذكرهم والتعريف بهم، ولا يتسع المقام في هذا البحث لذكرهم إلا بإشارة لبعض النماذج منهم. فمثلاً

(١) ابن الجزري، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ص ٣٢.

(٢) ينظر: محمد بن سالم محسن المحسن، القراءات وأثرها في علوم العربيَّة، (١/ ٤٩-٥٠).

(٣) محمد مفلح القضاة وآخرون، مقدّمات في علم القراءات، ص ٥٢.

(٤) مُجَدِّد بن عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (١/ ٢٩-٣١).

من المؤلفين: يحيى بن يعمر (ت ٩٠هـ) الذي نص عدد من المهتمين أنه أول من ألف في القراءات، ويحيى بن المبارك اليزيدي (ت ٢٠٢)، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤)، وهو أول إمام معتبر ألف في القراءات^(١). وابن مجاهد: أبو بكر أحمد بن موسى (ت ٣٢٤) اشتهرت عبارة أنه "شيخ الصنعة وأول من سبع السبعة".

وظهرت مدارس القراءات في الأمصار، ومع الوقت تجذرت النسبة إليها، ويميل كثير من الباحثين إلى تقسيم هذه المدارس إلى: مدرسة المدينة، ومدرسة مكة، وجمعهما بعضهم في مدرسة الحجاز، ومدرسة الكوفة، والبصرة، وجمعهما بعضهم في مدرسة العراق، ومدرسة الشام، وزاد بعضهم مدرسة المغرب والأندلس^(٢).

ومن ثم مرحلة استقرار علم القراءات وثبات كثير من مسائله ووضوح العديد من جزئياته، وانتقاله إلى مرحلة النضج بعد أن تمّ اختيار الأئمة العشرة، هؤلاء الذين انقطعوا للتعلّم والتعليم، وأقبل الناس عليهم يعرفون من معينهم الفياض، أصحاب القراءات العشرة المعروفة، وروايتهم العشرون، وفيما يلي التعريف بهم.

المطلب الثاني:

التعريف بالقراء العشرة وروايتهم وأوجه القراءات

الفرع الأول التعريف بالقراء العشرة وروايتهم:

أجمع أهل العلم قاطبة على أنّ القرآن نُقل إلينا عن النبي (صلى الله عليه وسلم) بقراءات متعددة متواترة.

والقراءات التي وصلت بطريق متواتر عشر قراءات نقلها إلينا مجموعة من حدّاق القراء،

(١) ابن الجزري، النشر، (١/ ٣٤).

(٢) ينظر: المختار، مُجد المختار ولد أباه. تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ص ١٢-١٥، و١٢١ و٢٤٩ و٤٣٥، وورد ذكر هذه المدارس وأشهر رموزها في عدة كتب، ومن هذه الكتب على سبيل المثال: القراءات القرآنية في بلاد الشام للدكتور حسين عطوان، وعلم القراءات في اليمن للدكتور عبد الله المنصوري، والقراءات بإفريقيا للدكتورة هند شليبي. والقراءات القرآنية حتى عهد ابن مجاهد. وتوجد كتب أخرى عديدة.

امتازوا بدقة الرواية، وسلامة الضبط، وحسن الديانة، وقمة الزهد والورع، والعناية التامة بضبط ألفاظه، وتحرير قراءته، وتحقيق رواياته في قراءته وإقراءه، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم، ويؤخذ عنهم، لذلك نسبت القراءات إليهم، نسبة ملازمة ودوام، لا نسبة اختراع وابتداع. وعليه أنّ القراءات مبنية على التلقي والرواية، لا على الرأي والاجتهاد. وفيما يلي التعريف بكل قارئ مع أشهر رواته. باختصار:

أولاً: الإمام نافع المدني:

هو نافع بن عبد الرحمن المدني، أحد القراء السبعة الأعلام. وُلِدَ بعد عام سبعين من الهجرة، وتوفي سنة تسع وستين ومائة من الهجرة النبوية^(١)

أشهر رواته:

(أ) قالون: هو: عيسى بن مينا بن وردان، وُلِدَ سنة عشرين ومائة للهجرة، توفي سنة عشرين ومائتين رحمه الله^(٢).

(ب) ورش: هو: عثمان بن سعيد بن عبد الله المصري، وُلِدَ سنة عشر ومائة من الهجرة، ومات سبع وتسعين ومائة^(٣).

ثانياً: الإمام ابن كثير المكي:

هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله، إمام المكيين في القراءة، وُلِدَ بمكة سنة خمس وأربعين للهجرة، ومات بمكة سنة عشرين ومائة^(٤).

أشهر رواته:

(أ) البزي: هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة، وُلِدَ سنة سبعين ومائة، مات سنة

(١) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٤٠٦).

(٢) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١/٣٢٦)، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (٢/٤٨).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٩/٢٩٥-٢٩٦)، ومعرفة القراء الكبار، (١/١٥٣-١٥٥)، وغاية النهاية، غاية النهاية في طبقات القراء، (١/٥٠٢-٥٠٣).

(٤) ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٨٦-٨٨)، وغاية النهاية، (١/٤٤٣-٤٤٥).

خمسین ومائتین^(١).

(ب) قُنبُل: هو: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي، وُلد سنة خمس وتسعين ومائة، توفي سنة إحدى وتسعين ومائتين^(٢).

ثالثًا: الإمام بو عمرو البصري:

هو زبَان بن العلاء بن عمّار بن العريان، التميمي المازني، وُلد سنة ثمان وستين، مات سنة أربع وخمسين ومائة بالكوفة^(٣).

أشهر رواته:

(أ) أبو عمر الدُّوري: هو: حفص بن عمر بن عبد العزيز، توفي سنة ست وأربعين ومائتين^(٤).

(ب) السُّوسِي: صالح بن زياد بن عبد الله السُّوسِي، وُلد سنة نيف وسبعين ومائة، ومات سنة إحدى وستين ومائتين^(٥).

رابعًا: الإمام عبد الله بن عامر الشامي:

هو: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة اليحصبي، كنيته: أبو عمران، وُلد سنة إحدى وعشرين من الهجرة. مات يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة^(٦).

أشهر رواته:

(أ) هشام: بن عمّار بن نصير السُّلمي، وُلد سنة ثلاث وخمسين ومائة. وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين^(٧).

(ب) عبد الله بن ذُكَّوان: هو عبد الله بن أحمد بن ذُكَّوان، وُلد سنة ثلاث وسبعين

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٥٠-٥١)، وغاية النهاية، (١/١١٩-١٢٠).

(٢) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٢٣٠)، وغاية النهاية، (٢/١٦٥-١٦٦).

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٤٠/٦-٤١١)، ومعرفة القراء الكبار (١/١٠١-١٠٥).

(٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/١٥٢-١٥١)، ابن الجزري، غاية النهاية، (٢/٣٧٧-٣٧٥).

(٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٢/٣٨١-٣٨٠)، والذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/١٩٣)، وغاية النهاية، (١/٣٣٣-٣٣٢).

(٦) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٨٦-٨٢)، وسير أعلام النبلاء، (٥/٢٩٣-٢٩٢)، وابن الجزري، غاية النهاية، (١/٤٢٣-٤٢٥).

(٧) ابن الجزري، غاية النهاية، (٢/٣٥٤-٣٥٦)، والذهبي، سير أعلام النبلاء، (١١/٤٢٠-٤٣٥).

ومائة، وتوفي سنة اثنين وأربعين ومائتين^(١).

خامساً: الإمام عاصم الكوفي:

هو: عاصم بن أبي النّجود (بفتح النون وضّمّ الجيم)، الأسدي، مولاهم الكوفي، توفي سنة سبع وعشرين ومائة بالكوفة^(٢).

أشهر رواته:

(أ) شُعبة: بن عياش بن سالم الأسديّ، وُلد خمس وتسعين، توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة،^(٣).

(ب) حفص: هو: حفص بن سليمان بن المغيرة بن أبي داود الأسديّ، وُلد سنة تسعين، مات سنة ثمانين ومائة^(٤).

سادساً: الإمام حمزة بن حبيب الكوفي:

هو: حمزة بن حبيب بن عُمارة بن إسماعيل الكوفي التّيميّ. كنيته: أبو عُمارة. وُلد سنة ثمانين من الهجرة. وفاته: سنة ست وخمسين ومائة^(٥).

أشهر رواته:

(أ) خلف بن هشام بن ثعلب البغدادي^(٦).

(ب) خلاد: فهو خلاد بن خالد الشّيباني، وُلد سنة تسع عشرة ومائة، وتوفي سنة عشرين ومائة^(١).

(١) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/ ١٩٨-٢٠٠)، وابن الجزري، غاية النهاية، (١/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٢) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/ ٧٣)، و ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، (١/ ١٥٥)، وسير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٥٦-٢٦١).

(٣) ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/ ١٣٤-١٣٨)، وغاية النهاية، (١/ ٣٢-٣٢٧).

(٤) وُوي عن حفص أنّه قال: قلت لعاصم إنّ أبا بكر شعبة يخالفني في القراءة، فقال: أقرأتك بما أقرأني به أبو عبد الرّحمن السّلمي عن علي بن أبي طالب رضی الله عنه، وأقرأت أبا بكر بما أقرأني به زرّ بن حبّيش رضی الله. ينظر: الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/ ١٤١-١٤٠)، وغاية النهاية، (١/ ٢٥٤-٢٥٥).

(٥) ينظر: ابن الجزري، غاية النهاية، (١/ ٣١٥-٣١٧)، ومعرفة القراء الكبار، (١، ص، ٧٠-٧١).

(٦) ستأتي ترجمته ضمن القراء العشرة المشاهير حيث اختار لنفسه قراءة، فهنا راوي عن حمزة وهناك قارئ، ينظر: ص، ١٣.

سابعاً: الإمام الكسائي:

هو: علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان الأسديّ، مولاهم الكوفي، ولد في حدود سنة عشرين ومائة. (٢)، وتوفي سنة تسع وثمانين ومائة، بعد أن عاش سبعين سنة (٣).

أشهر رواته:

(أ) أبو الحارث: واسمه: الليث بن خالد، توفي سنة أربعين ومائتين (٤).

(ب) حفص الدّوري: وأما حفص الدّوري فقد تقدّم الحديث عنه في ترجمة رَؤيِّ البصري، لأنّه روى عنه وعن الكسائي (٥).

ثامناً: الإمام أبو جعفر المدني:

هو: يزيد بن القعقاع المدنيّ المخزوميّ مولاهم. ومات سنة سبع وعشرين ومائة (٦).

أشهر رواته:

(أ) عيسى بن وردان المدني: توفي في حدود الستين ومائة من الهجرة (٧).

(ب) سليمان بن جَمّاز المدني: سليمان بن مسلم بن جَمّاز، توفي بعد السبعين ومائة من الهجرة (٨).

تاسعاً: الإمام يعقوب الحضرمي البصري:

- (١) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١ / ٢١٠)، وغاية النهاية، (١/٢٧٤).
- (٢) قال الإمام ابن الجزري: [واختلف في تسميته بالكسائي، فالذي روينا عنه أنّه سُئل عن ذلك فقال: لأني أحرمت في كساء]، وقيل: كان من قرية بأكساياء، ثم قال: والأول أصحّ الأقوال، انظر: غاية النهاية، (١/٥٣٩).
- (٣) وقال عنه أبو بكر بن الأنباري: (اجتمعت في الكسائي أمور: كان أعلم الناس بالتحو، وأوحدهم في الغريب، وأعلمهم بالقرآن)، ينظر: لحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، (٢ / ١٣٧٠)، ومعرفة القراء، (١/١٢٧).
- (٤) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٢١١).
- (٥) ينظر: ترجمته، ص (١٠-١١).
- (٦) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (٥/٢٧-٢٨٨)، ومعرفة القراء الكبار، (١ / ٧٢-٧٦)، وغاية النهاية، (١/٧٢).
- (٧) ابن الجزري، غاية النهاية، (١/٦١٦) معرفة القراء الكبار، (١/٩٢).
- (٨) معرفة القراء الكبار، (١/٣١٥)، والنشر في القراءات العشر، (١/١٧٩).

هو: يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله الحضرمي مولاهم البصري. مات سنة خمس ومائتين،^(١).

أشهر رواته:

(أ) رُويس: مُحَمَّد بن المتوكل اللؤلؤي المشهور برُويس، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين^(٢).

(ب) رُوخ: بن عبد المؤمن، البصري، توفي سنة أربع، أوخ مس وثلاثين ومائتين^(٣).

عاشراً: الإمام خلف العاشر:

هو خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف البغدادي البزار. وُلد سنة خمسين ومائة من الهجرة. ومات سنة تسع وعشرين ومائتين ببغداد^(٤).

أشهر رواته:

(أ) إسحاق: هو: إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق، توفي سنة ست وثمانين ومائتين^(٥).

(ب) إدريس: هو: إدريس بن عبد الكريم الحداد، توفي سنة اثنين وتسعين ومائتين،^(٦).

الفرع الثاني التعريف بأوجه القراءات:

الوجه في اللغة: يدل على مقابلة لشيء^(٧).

وفي اصطلاح القراء له معنيان:

(١) انظر: ابن الجزري، غاية النهاية، (٣٩٨-٢/٣٨٦).

(٢) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٢١٦)، وغاية النهاية، (٢/٢٣٤-٢٣٥)، والنشر في القراءات العشر، (١/١٨٧).

(٣) ابن الجزري، غاية النهاية، (١/٢٥٨)، معرفة القراء الكبار، (١/٢١٤).

(٤) فهو متمم ومكمل لعقد القراء العشرة المشاهير، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، (١٠/٥٧٦-٥٨٠)، وغاية النهاية، (١/٢٧٢-٢٧٤).

(٥) ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (١/١٥٥).

(٦) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/٢٥٤-٢٥٥)، وغاية النهاية، (١/١٥٤)، والنشر في القراءات العشر، (١/١٩٩).

(٧) أحمد أبي الحسن ابن فارس، (٦/٩٨٨)، معجم علم القراءات، ص ٣٣٨.

الأول: الوجه ما رجع إلى اختيار القارئ من الاختلاف في القراءات. كثلاثة البسملة بين السورتين لمن ييسمل، وكأوجه الوقف بالروم والإشمام، والقصر والتوسط والمد؛ فبأي وجه أتى القارئ أجزاءً، ولا يكون نقصاً في روايته^(١).

الثاني: تطلق على الأوجه على سبيل العدد لا على التخيير، كأوجه البدل مثلاً لورش، في مد البدل^(٢).

أما الأوجه أو التوجيه: تدور معناهما: عند اللغويين حول التنقيب، حيث إن الموجه للقراءات يجمل البحث به على وجه القراءة التي غمضت عن ظاهر الصنعة حتى تستبين.

وفي اصطلاح القراء يقصد به: تبيين وجه قراءة ما والإفصاح عنه، باعتماد أحد الأدلة الإجمالية للعربية، من نقل وإجماع وقياس واستصحاب حال وغيرها. وله مرادفات، منها: التعليل، والحجة، و التخريج، والإيضاح، وكلها تعنى بيان معاني القراءات^(٣).

(١) المستول، معجم علم القراءات، ص ٣٣٨.

(٢) المستول، معجم علم القراءات، ص ٣٣٨.

(٣) أحمد بن عبد الغني الدمياطي، تحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص ١٧-١٨، معجم علم القراءات، ص ١٥٥.

المبحث الأول:

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات

المختارات من سورة البقرة إلى سورة النساء.

المطلب الأول:

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات

في الآية من سورة البقرة [٣٧] .

قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ،

{البقرة، آية: ٣٧}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية المباركة وبيان ترسيخ العقيدة

وردّ الشبهات:

أ. قرأ ابن كثير بنصب ميم (ءادم) ورفع تاء (كلمات)، هكذا: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

كَلِمَاتٍ ﴾ .

ب. وقرأ الباقون^(١) برفع ميم (ءادم) ونصب تاء^(٢) (كلمات) ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

كَلِمَاتٍ ﴾ ،^(١) بكسرتين.

(١) المقصود ب(الباقون)؛ بقية القراء العشرة ما عدا الإمام ابن كثير، وهكذا سيستمر معنا هذا المصطلح إلى نهاية البحث، حيث أذكر دائما أولا من انفرد من القراء فأقول: أ. قرأ فلان هكذا وأبين قراءته برسمها بالتشكيل. وقرأ فلان ...، ج. وقرأ الباكون هكذا...، وفي هذه القراءة التي نحن في صدها فالمقصود ب (الباقون) هنا كما ذكرنا بقية القراء ما عدا ابن كثير وهم: نافع، وأبو عمرو البصري، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف العاشر، ولا أكرر شرحها بعد ذلك فليعلم.

(٢) وقولنا هنا نصب تاء كلمات هذا حكمها في باب الإعراب، فكلمات جمع كلمة تنصب وتجر بالكسرة، لأنها جمع مؤنث سالم، وأما في الرسم فهي مكسورة. ينظر بتصرف: عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام، شرح قطر الندى وبلّ الصدى، وبذيله كتاب: سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لمحمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٦٦، مُجَّد بن علي بن يوسف ابن الجزري، نشر القراءات العشر، (٤/٢١٥٤).

توجيه القراءة الأولى: التي هي بنصب ميم (ءآدم) ورفع تاء (كَلِمَاتٍ)، جعل الفعل للكلمات لأنها تلتقت آدم عليه السلام وأن العرب تقول: تلتفت زيدا وتلقاني زيدا، والمعنى واحد؛ لأنّ من لقيته فقد لقيك وما نالك فقد نلته. (٢).

توجيه القراءة الثانية: وهي رفع ميم (ءادم) ونصب تاء (كَلِمَاتٍ): جعل الفعل لآدم لأنه تلقى من ربه الكلمات أي أحدها وحفظها منه، والعرب تقول: تلتقت هذا من فلان معناه: أي أن فهمي قِبله من لفظه، وإلى هذا ذهب جماعة من المفسرين، حيث قالوا في تأويلها: فتلقى آدم من ربه كلمات أي قبلها فإذا كان آدم القابل للكلمات مقبولة (٣).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في مسائل الاعتقاد المتعلقة باختلاف أوجه القراءتين:

فعلى القراءة الثانية: أن (آدم) عليه السلام هو الذي تلقى الكلمات، لأنه هو الذي قبلها ودعا بها وعمل بها، فتاب الله عليه، فهو الفاعل لقبوله الكلمات.

ويترب على هذا قضيتان عقديتان:

القضية الأولى: أن آدم هو المتلقي للكلمات، المتسبب بفعله، في توبة الله عليه مع لطف الله به وهدايته إلى ذلك،

قال الإمام الطبري -رحمه الله-: "أما تأويل قوله تعالى: "فتلقى آدم" فقول: إنه أخذ وقيل، وأصله التفعّل من اللقاء، كما يتلقى الرجل الرجل مُستقبله عند قدومه من غيبته أو

(١) أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد، السبعة في القراءات، ص ١٥٤، عمرو ابن عثمان بن سعيد الداني، الإمام الحافظ شيخ مشايخ المقرئين، التيسير في القراءات السبع، عُني بتصحيحه أوتويرتزل، ص ٧٣، مُجّد بن علي بن يوسف ابن الجزري إمام القراء ومن جاء بعده فهم عيال له، نشر القراءات العشر، (٤/ ٢١٥٤).

(٢) الحسين بن أحمد بن خالويه، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد، ص ٢٨، وتحقيق: عبد العال سالم مكرم، عبد الرحمن بن مُجّد ابن زنجلة، حجة القراءات، (١٩/١).

(٣) مُجّد بن يوسف بن الأحمر ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التسهيل، (١/ ١١٩)، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٢٨، ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٩.

سفره، فكان ذلك كذلك في قوله: "فَتَلَقَى"، كأنه استقبله فتلقاها بالقبول حين أوحى إليه أو أخبر به، فمعنى ذلك-إذًا-فَتَلَقَى الله آدمَ كلمات توبة، فتلقاها آدم من ربه وأخذها عنه تائبًا، فتاب الله عليه بقبوله إياها، وقبوله إياها من ربه" (١).

وفي هذه القراءة دليل لعقيدة أهل السنة والجماعة في أن الجزاء بسبب العمل مع رحمة الله وكرمه، وفيه رد على شبهة ومنهج الجبرية في دعواهم أن العبد ليس له فعل وأن الجزاء لا يترتب على العمل، ولا شك أن هذا باطل شرعاً وعقلاً، لقوله تعالى:

﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ {الأعراف، آية: ٤٣}،

يقول الإمام ابن كثير في تفسيرها: "بِسَبَبِ أَعْمَالِكُمْ نَالْتَكُمُ الرَّحْمَةَ فَدَخَلْتُمُ الْجَنَّةَ، وَتَبَوَّأْتُمُ مَنَازِلَكُمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِكُمْ، فكانت الأعمال سبباً لشمول رحمة الله إياهم فإنه لا يدخل أحد الجنة بعمله ولكن بفضل من الله ورحمته" (٢).

القضية الثانية: أنه يصح تعلق أفعال العبد بكلام الله، فآدم هو المتلقي والكلمات

متلقاه، ﴿فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، معناه: قَبِلَهَا، فإذا كان آدم قابلاً للكلام مقبولاً، فهو المفعول وآدم هو الفاعل.

قال الإمام مكي بن أبي طالب: وعلة من رفع (آدم) ونصب (الكلمات) أنه جعل (آدم) عليه السلام هو الذي تلقى الكلمات، لأنه هو الذي قَبِلَهَا ودعا بها وعمل بها، فتاب الله عليه، فهو الفاعل لقبوله الكلمات (٣).

ومن أدلة القرآن الكريم على هذا:

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ (التوبة: آية، ٦)

(١) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٥٧٩/١).

(٢) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي سلامة، (٧/٢٣٩).

(٣) مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، (١/٢٣٧).

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (الإسراء: آية، ١٠٦).

فدلت هذه الآيات على تعلق فعل العبد بكلام الله ووقوع الكلام مفعولاً له والعبد هو الفاعل؛ فالعبد هو السامع وكلام الله هو المسموع، والعبد هو القارئ وكلام الله هو المقروء.

وأما على القراءة الأولى: وهي نصب ميم (ءادم) ورفع تاء (كلمات)، أنه جعل (

الكلمات) استنقذت (ءادم) بتوفيق الله له، لقبوله إياها، والدعاء بها، فتاب الله عليه^(١).

وقد أفاد أوجه اختلاف هذه القراءة في ترسيخ العقيدة ورد الشبهات في قضيتين

عقديتين:

القضية الأولى: لطف الله بعباده قد يكون بغير سبب من العبد، بل محض تفضل

وإنعام من الله.

وبيان ذلك؛ أنه لما أسند الفعل في هذه القراءة للكلمات لم يكن آدم عليه السلام هو

المتسبب في توبة الله عليه، وإنما استنقذته الكلمات بإذن الله التي أوحاها الله إليه، فرجع الأمر

كله لفضل الله أولاً: بتلقي الكلمات له -وهي من كلام الله عز وجل- وثانياً: بقبول الله توبته

بعد قوله لها.

قال مكي بن أبي طالب: " فإنه لما كان الله - جل ذكره - من أجل الكلمات تاب الله

عليه، بتوفيقه إياه لقوله لها، كانت هي التي أنقذته ويسرت له التوبة من الله فهي الفاعل،

وهو المستنقذ بها"^(٢).

وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في تفسيره: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ

كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، أي بسبب تلك الكلمات كما تدل عليه الفاء"^(٣).

(١) مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، (١/ ٢٣٧)، ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٩٤.

(٢) مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، (١/ ٢٣٧).

(٣) محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٤/ ٢٣٧).

وفي هذا دلالة لعقيدة أهل السنة أن التوفيق والهداية من الله، وأن العبد لا ينال شيئاً من خيري الدنيا والآخرة إلا بتوفيق الله وهدايته وفضله، خلافاً للقدرية الذين ادعوا أن العبد هو الذي يحدث ويخلق أفعاله فيهتدي ويضل، ويطيع ويعصي بدون مشيئة الله وخلفه، وزعموا أن الله لم يوفق المؤمن، وأن المؤمن والكافر في ذلك سواء.

وهذا باطل فإن الله سبحانه هو الذي جعل هذا يدعو وهذا يشفع، وهو الخالق لأفعال العباد، فهو الذي وفق العبد للتوبة، ثم قبلها، وهو الذي وفق للعمل ثم أثاب عليه، وهو الذي وفقه للدعاء ثم أجابه، وهذا على تقسيم أهل السنة المؤمنين بالقدر، وأن الله خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يكون شيء إلا بمشيئته، فهو خالق لأفعال العباد، كما هو خالق سائر المخلوقات^(١).

القضية الثانية: صحة إسناد الأفعال لكلام الله، حيث أسند فعل التلقي للكلمات، فهي فاعلة وآدم مفعولاً.

قال الإمام البغوي _ رحمه الله -: وقرأ ابن كثير (ءادم) بنصب و(كلمات) برفع التاء، يعني: جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته^(٢). وبهذا اتضح بحمد الله منهج أهل السنة والجماعة الذي لا غبار فيه وريب وهو الصواب في القضيتين السابقتين.

المطلب الثاني

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة ورد الشبهات في الآيات

من سورة النساء [١-١٢٤].

الفرع الأول: قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء، آية: ١].

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية:

(١) ينظر بتصرف: أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (١٤ / ٣٨٢-٣٨٣).

(٢) مسعود أبي الحسين الفراء الإمام البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن وآخرون، (١ / ١٠٧).

أ. قرأ حمزة وحده من القراء العشرة بخفض الميم. هكذا: ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾.

ب. وقرأ الباقون بنصبها هكذا: ﴿وَالْأَرْحَامُ﴾^(١).

توجيه القراءة الأولى: من قرأ بالخفض على أنه عطف على الضمير في (به).

وتوجيه القراءة الثانية: بالتَّصْبِ عطفًا على اسم الله: أي اتقوا الأرحام فلا تقطعوها،

أو في موضع الجار والمجرور، وهو به، لأنَّ موضعه نصب^(٢).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في مسائل الاعتقاد المتعلقة

باختلاف أوجه القراءات:

ويأتي بيان ذلك على النحو التالي:

القراءة الأولى: التي هي بنصب (الميم) فتوجيهها واضح ليس فيها خلاف - وقد سبق بيانه.

أما القراءة الثانية: التي هي قراءة الإمام حمزة بجر (الميم) وما يتعلق بها من مسائل

الاعتقاد كالسؤال بالله وبالأرحام وردّ شبهات من طعن فيها وأنكرها، فيتبين هنا أنّ ما

حصل فيها إشكال مشهور، واختلف فيها النحويون اختلافًا شديدًا، حتى طعن بعضهم

فيها، فمنعها جمهور أهل البصرة، وأجازها الكوفيون قاطبة، ويترتب على الطعن فيها قضايا

عقدية على النحو التالي:

القضية الأولى: الطعن في القراءة الثابتة عن النبيّ الكريم المبلّغ عن رب العالمين؛ إشكال

عظيم وأمر خطير في مسائل الاعتقاد.

ومن الذين طعنوا فيها: (الزجاج) حيث قال: "قراءة حمزة مع ضعفها وقبحها في اللغة

العربية، خطأ عظيم في أصول الدين؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) نهى فقال: (لا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ)"^(١)،

فإذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم" ^(٢).

(١) الداني، التيسير في القراءات السبع، ص ٩٨، ابن الجزري، نشر القراءات العشر، (٤/٢٢٥٩).

(٢) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٥٨-٥٩، ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (١/٢٩١).

وقال الزمخشري: وقرئ (الأرحام) بالجر على عطف الظاهر على الضمير، وليس بسديد^(٣).

ونقل القرطبي: عن (المبرد) إنّه قال: "لو صليت خلف إمام يقرأ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، لأخذت نعلي ومضيت"^(٤).

فهؤلاء وغيرهم الذين منعوا هذه القراءة أعني قراءة الإمام حمز؛ سبب هذا كله أنهم يرون قبح أو منع عطف اسم ظاهر على ضمير في حالة الجر دون إعادة الخافض، وقالوا: لا يقال مررت به وزيد، بل يقال: مررت به وبزيد^(٥).

ومن المقرر في مسائل الاعتقاد؛ أنه لا يجوز إنكار شيء من القرآن الكريم، ولو حرفا واحداً بعد ثبوته عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، بل في كل ما جاء به (صلى الله عليه وسلم) عن ربه سبحانه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "قال الإمام إسحاق بن راهويه أحد الأئمة الأعلام: "أجمع المسلمون على أن من سب الله أو سب رسوله (صلى الله عليه وسلم) أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل، أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بكل ما أنزل الله"، وكذلك حكى عن غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره"^(٦).

وعليه فإنّ هذه القراءة ثابتة لا يجوز الطعن فيها، فالمنكرون على حمزة متعصبون لمدرسة البصريين، وإلاّ فإنّ ورودها بالتواتر كافٍ في حجيتها، والصواب مع الكوفيين الذين أجازوا القراءة بها؛ لأنهم وجدوا شواهد شعرية فيها عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور، ومن هذه الشواهد التي توافق هذه القراءة:

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، صحيح البخاري مع شرح فتح الباري، كتاب الإيمان والنذور، باب: (لا تحلفوا بأبائكم)، حديث رقم (٦٦٤٦).

(٢) إبراهيم بن السري الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٦/٢).

(٣) محمود ابن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (١/٤٩٣).

(٤) القرطبي، محمد بن أحمد بن فرح، الجامع لأحكام القرآن، (٣/٥).

(٥) الزمخشري، الكشاف، (١/٤٩٣).

(٦) أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام ابن تيمية، الخرائي، الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص ٣-٤.

فَالْيَوْمَ قَرَّبْتَ مَهْجُونًا وَتَشْتُمُنَا *** فَاذْهَبْ فَمَا بِكَ وَالْأَرْحَامِ مِنْ عَجَبٍ (١).

وقال الرازي - رحمه الله -: "والعجب من هؤلاء النَّحَاةِ أَنَّهُمْ يَسْتَحْسِنُونَ إِثْبَاتَ هَذِهِ اللُّغَةِ بِيَتَيْنِ مَجْهُولِينَ، وَلَا يَسْتَحْسِنُونَ إِثْبَاتَهَا بِقِرَاءَةِ حَمْزَةٍ وَمَجَاهِدٍ مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ أَكْبَارِ عُلَمَاءِ السَّلْفِ فِي عِلْمِ الْقِرَاءَاتِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْوَجُوهَ وَالْأَقْيَسَةَ الَّتِي رَدُوا بِهَا هَذِهِ الْقِرَاءَةَ هِيَ أَوْهَنُ مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ" (٢).

وقد أحسن الإمام أبو شامة حيث قال: "وأما إنكار هذه القراءة من جهة المعنى لأجل أنَّهَا سَوَالٌ بِالرَّحْمِ وَهُوَ حَلْفٌ وَقَدْ نَهَى عَنِ الْحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَجَوَابُهُ: أَنَّ هَذَا حِكَايَةٌ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، فَحَضَّهْمَ عَلَى صَلَةِ الرَّحْمِ، وَنَهَاہُمْ عَنِ قَطْعِهَا وَلَمْ يَقْرَهُمُ الشَّرْعُ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ نَهَاہُمْ، وَحَرَمَتْهَا بَاقِيَةٌ، وَصَلَتْهَا مَطْلُوبَةٌ، وَقَطَعَهَا مُحَرَّمٌ" (٣).

وكذلك نصر هذه القراءة جمع من النحويين كأبي حيان، وقد رجح ابن مالك - رحمه الله - هذه القراءة و صوب رأي الكوفيين، حيث قال في الألفية في شأن هذه المسألة:

وَعُودٌ خَافِصٍ لَدَى عَطْفٍ عَلَى *** ضَمِيرٍ خَفِضٍ لِأَزْمًا قَدْ جُعِلَا

وَلَيْسَ عِنْدِي لِأَزْمًا قَدْ أَتَ *** فِي النِّظْمِ وَالنَّشْرِ الصَّحِيحِ مِثْبَتَا (٤).

ورجحها السَّمِينُ الحَلْبِيُّ، حيث قال: "فالأولى حمل هذه القراءة على العطف على الضمير، ولا التفات إلى مَنْ طَعَنَ فِيهَا، وَ (حمزة) بِالرَّبْتَةِ السَّنِيَةِ الْمَانِعَةِ لَهُ مِنْ نَقْلِ قِرَاءَةِ ضَعِيفَةٌ" (٥).

(١) عبد الرحمن بن مُجَدِّدِ بْنِ الْأَنْبَارِيِّ، الْإِنْصَافُ فِي مَسَائِلِ الْخِلَافِ بَيْنَ النَّحْوِيِّينَ: الْبَصْرِيِّينَ وَالْكَوْفِيِّينَ، رَقْمُ الْمَسْأَلَةِ (٦٥)، (٢/٤٦٣).

(٢) فخر الدين بن ضياء الدين الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، (١٣٤-٥/١٣٥).

(٣) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة الدمشقي، إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع، للإمام الشَّاطِبِيِّ، ص ٣١٠.

(٤) مُجَدِّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ، الطَّائِي الْأَنْدَلُسِيِّ، أَلْفِيَّةُ ابْنِ مَالِكٍ فِي النَّحْوِ وَالصَّرْفِ، الْبَيْتَانِ رَقْمُ (٥٦٠-٥٩٩).

(٥) أحمد بن يوسف المعروف بالسَّمِينِ الحَلْبِيِّ، الدَّرُ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْتُونِ، (٣/٥٥٥).

القضية الثانية: التساؤل بالأرحام، أو قول الرجل أسألك بالله في قوله تعالى: ﴿تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾.

وهي من المسائل العقدية المتعلقة بالآية الكريمة، ومن تحدث وبيّن هذه الأحكام ونصر هذه القراءة العلامة ابن عثيمين، من حيث توجيه القراءتين والرد على ما زعموه من الأقيسة النحوية، وبيان الأحكام العقدية التي تتعلق بمسألة التساؤل بالأرحام، أو قول الرجل أسألك بالله.

فقال ابن عثيمين-رحمه الله-: "والتساؤل بالأرحام مما جرت العادة به عند العرب أن يقال: أسألك بالله وبالرحم، أو يقال: أسألك بالرحم التي بيني وبينك، فهم لعصبيتهم يقدرون الرحم تقديراً بالغاً ويحترمونها، ويرون حمايتها؛ ولهذا ذكّرهم الله تعالى بها فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾، فإذا قال قائل: هل بين القراءتين منافاة؟ فالجواب: لا، والقراءتان في الحقيقة تصيّر الكلمة كلمتين، فإما أن تكون كل قراءة تبياناً للأخرى، وإما أن تكون القراءة الثانية جاءت بمعنى جديد، وهنا القراءتان كل واحدة جاءت بمعنى جديد، فقراءة النصب فيها الأمر باتقاء الأرحام؛ أي: اتقاء التفريط في حقهم، والقراءة الثانية فيها التذكير بأن الناس يتساءلون بالأرحام، ولم يتساءلوا بها إلا لعظم حقها بينهم. وهنا إشكال على قراءة الجر من حيث القواعد النحوية؛ لأن النحويين يقولون: إذا عطف على ضمير متصل فأت بالضمير المنفصل أو أعد حرف الجر، فقل: تساءلون به وبالأرحام. فهل نقول: إن في القرآن ما خرج عن القواعد؟

الجواب: لا، بل إنَّ القرآنَ حاكمٌ وليس محكوماً عليه، وكون النحويين يقولون: هذا شاذ، نقول: الشذوذ منكم وفيكم، فليس في القرآن ما هو شاذ أبداً، والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وإذا كان يقل استعمال هذا عند العرب، فإنه بنزول القرآن به يكون كثيراً، يقرأه

الناس في كل وقت وفي كل حين؛ وعليه فإن القرآن يَحْكُم ولا يُحْكَم عليه، بل إذا جاء في القرآن تركيب لم يُعهد في اللغة العربية؛ فإن الفضل يرجع للقرآن بإحياء هذا التركيب" (١).

وأما في بيان الأحكام العقدية التي تتعلق بمسألة التساؤل بالله.

القضية الأولى: التساؤل بالله: أن التساؤل بالله أمر واقع معروف عند العرب؛ لقوله:

﴿تساءلون به﴾، ولكن هل يجوز أن يسأل غيره بالله؟

أ. إن كان المقصود بذلك التذكير فلا حرج، فإذا قال: أسألك بالله؛ أي أذكرك به حتى تراعي عظمة الله وحقه، فهذا لا بأس به.

ب. وإن كان المقصود بذلك الإلزام ففيه نظر، فإذا قصد الإلزام فهذا إخراج لا يجاب عليه (٢).

القضية الثانية: من سأل بالله فهل تجب إجابته؟ وللإجابة عن ذلك نفصل الأمر بالتالي:

- إن سأل بالله شيئاً محرماً أو فيه ضرر فلا كرامة له، لا تجوز إجابته.

- وإذا قال: أسألك بالله أن تعطيني حقي الواجب عليك، فهنا تجب إجابته من

وجهين:

الأول: أنه حق واجب، والثاني: أنه سأل بالله (٣).

وخلاصة مناقشة مسألة توجيه هذه القراءة نختتمها بقول ابن عثيمين حيث قال: "وعلى هذا فنقول في كل آية زعم النحاة أنها شاذة: إنه ليس في القرآن شيء شاذ، بل كل ما في القرآن فهو على اللغة الفصحى بلسان عربي مبين، ويجب أن تؤخذ القواعد من القرآن ليحكم بها وعليها، لا أن تؤخذ القواعد مؤصلة باصطلاحات حادثه ثم يقال: إن القرآن شاذ" (٤).

(١) محمد بن صالح بن محمد بن سليمان العثيمين التميمي، تفسير القرآن الكريم سورة النساء، (١٩-١/١٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق بتصريف.

(٣) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة النساء، (١٩-١/١٤).

(٤) المرجع السابق (١٩-١/١٤).

ويجدر بنا هنا التنبيه إلى مكانة الإمام حمزة، وكيف تُرَدُّ قراءته وهو إمام النَّاس في القراءات بالكوفة، ثقة، عارفاً بالعربية حافظاً للحديث، زاهداً ورعاً، وكان لا يأخذ على تعليم القرآن أجراً، قرأ القرآن على كبار التابعين^(١)، وقد قال عنه حجة القراءات الإمام الشاطبي: "وَحَمَزَةٌ مَا أَرْكَاهُ مِنْ مُتَوَرِّعٍ *** إِمَامًا صَبُورًا لِلْقُرْآنِ مُرْتَبِلًا"^(٢)، وقال له الإمام أبو حنيفة: "شيثان غلبتنا فيهما لا تنازع في واحد منها: القرآن والفرائض"^(٣). فالتشيع على هذا الإمام في غاية الشناعة ونهاية الجساسة والبشاعة وربما يخشى منه خطورة ردِّ ما أنزله الله، والعياذ بالله.

وهذا ما تطمئن له النفس وينشرح له الصدر، ويسكن له القلب وتدل عليه الأدلة التي سبق ذكرها ومناقشتها؛ في قراءة الإمام حمزة -رحمه الله-

الفرع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا﴾ {النساء، آية: ١٢٤}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية:

أ. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو البصري، وشعبة، وأبو جعفر، وروح بضم الباء وفتح الخاء، هكذا: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

ب. وقرأ الباقون بفتح الباء وضم الخاء، هكذا: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾^(٤).

توجيه القراءة الأولى: أن الفعل أضيف إلى غيرهم وثنى لما لم يذكر فاعله^(١)، وهم مفعولون وذلك لأنهم لا يدخلون الجنة حتى يدخلهم الله تعالى إياها.

(١) ينظر في ترجمته: الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/١٣٨-١٤٠)، ابن الجزري، غاية النهاية، (١/٣١٨-٣١٩).

(٢) الشاطبي، حرز الأماني ووجه النهائي، البيتان رقم (٣٧-٣٨)، ص ٤.

(٣) الذهبي، معرفة القراء الكبار، (١/١٣٨-١٤٠)، ابن الجزري، غاية النهاية، (١/٣١٨-٣١٩).

(٤) أحمد بن علي بن عبيد الله ابن سوار، المستنير في القراءات العشر، تحقيق: عمار أمين، (٢/١١٠)، الداني، عمرو ابن

عثمان بن سعيد الإمام الحافظ شيخ مشايخ المقرئين، التيسير في القراءات السبع تحقيق: مُجَدِّ بيومي، ص ١٠١.

وتوجيه القراءة الثانية: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾، أن الفعل أضيف إليهم، وهم فاعلون لأنهم يدخلون الجنة بأمر الله لهم كما قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، {النحل، آية: ٣٢}.

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة ورد الشبهات في مسائل الاعتقاد المتعلقة باختلاف أوجه القراءتين:

ويترتب على ذلك القضايا العقدية التالية:

القضية الأولى: دخول المؤمنين الجنة لم يكن من فعلهم وإنما بإدخال الله لهم:

دلت القراءة الأولى لهذه الآية على أن دخول المؤمنين الجنة لم يكن من فعلهم، وإنما بإدخال الله لهم.

وهذا المعنى محمول على ثلاثة وجوه صحيحة دلت عليها النصوص:

الوجه الأول: أن دخولهم الجنة لم يكن عوضاً عن أعمالهم الصالحة، بل برحمة الله وفضله^(٢).

ومن الأدلة على هذا قول النبي (صلى الله عليه وسلم): « قَالَ: قَالَ رَسُولُ: (صلى الله عليه وسلم): لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ » قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَّعَمِدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِفَضْلِ وَرَحْمَةٍ »^(١).

(١) تنبيه كان بعض متأخري النحاة يعبرون عند الإعراب عن الفعل الذي لا يذكر فاعله بعبارة (مبني للمجهول)، وهذا مالا يليق بالله عز وجل، وكان المتقدمون يعبرون بقولهم (مالم يسمى فاعله)، وهذا أفضل من تعبير المتأخرين إلا في قوهم (مالم يسمى)، محذور آخر من جهة نفي التسمية عن الله، وإن كان مقصودهم واضح بمعنى لم يسم في السياق، إلا أنه يدخل في الألفاظ الجملة التي يتجنب إطلاقها على الله سبحانه، والأحسن استبدالها بلفظ يقوم مقامها مع البعد عن العبارات المشبهة وذلك بالتعبير ؛ (لما لم يذكر فاعله)، وهو أليق بمقام الله العزيز الحميد المجيد.

(٢) ابن سوار، المستنير في القراءات العشر، (٢/ ١١٠)، الداني، التيسير في القراءات السبع، ص ١٠١.

ولما كان دخولهم الجنة ليس عوضاً عن أعمالهم الصالحة، وإنما هو برحمته وتوفيقه أضيف الإدخال إلى الله تعالى .

قال العلماء في شرح الحديث: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» قالوا: الباء المنفية هنا هي "باء العوض" (٢).

وكان السلف يقولون: " النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة بفضل الله واقتسام المنازل بالأعمال " (٣).

الوجه الثاني: أنهم لا يدخلون الجنة إلا بإدخال الله لهم، فأضيف الفعل لله لأنه لولا إدخاله لهم لم يدخلوها (٤).

الوجه الثالث: أنهم لا يدخلون الجنة إلا بأمره لهم بالدخول فأضيف الفعل للأمر بالدخول (٥).

القضية الثانية: أن دخول المؤمنين الجنة كان من فعلهم:

دلت القراءة الثانية لهذه الآية على أن المؤمنين هم الداخلون للجنة، وأن الدخول من فعلهم.

وهذا المعنى محمول أيضاً على وجهين صحيحين دلت عليهما النصوص:

الوجه الأول: أن دخولهم الجنة كان بسبب أعمالهم الصالحة فأضيف الدخول إليهم.

(١) مُجَدُّ بن إسماعيل أبوعبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح، باب تمني المريض الموت، رقم الحديث، (٥٦٧٣)، مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل، كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى، حديث رقم (٢٨١٦).

(٢) علي مُجَدُّ بن أبي العز الحنفي الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، (٢/٦٤٣).

(٣) مُجَدُّ بن أيوب ابن القيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص ٨٨.

(٤) مكّي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، (١/٣٩٧).

(٥) ينظر: المصدر السابق، (١/٣٩٧).

قال الإمام القرطبي في معنى قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾، ﴿يَعْنِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ﴾. (١)

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ {الأحقاف آية: ١٤}. "أي: الأعمال سبب لتبليغ الرحمة لهم وسبوغها عليهم" (٢). ولما رحمهم الله بأعمالهم دخلوا الجنة.

الوجه الثاني: أنهم هم الداخلون الجنة على الحقيقة بتوفيق الله لهم فأضيف الفعل لهم لذلك، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ {الزمر آية: ٧٢}، فالله - سبحانه وتعالى - وقَّهم على فعل الأعمال الصالحة التي كانت سببًا في دخولهم الجنة.

ويتبين هنا على أنه ليس بين القراءتين وما تضمنتهما من معانٍ تعارض، فدخولهم إلى الجنة يُضاف لله باعتبار أنه برحمته وتوفيقه لهم للأعمال الصالحة في الدنيا، ومغفرته وإذنه بالدخول في الآخرة، ويُضاف إليهم لأنهم هم المتسببون في ذلك والداخلون في الحقيقة بتوفيق الله.

فالقراءتان متداخلتان لأنهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنهم لا يدخلونها حتى يدخلهم الله إياها، فهم داخلون مدخولون (٣).

وقال ابن زنجلة: "اعلم أن المعنيين متداخلان، لأنهم إذا أدخلوا دخلوا، وإذا دخلوا فبإدخال الله إياهم يدخلون" (٤).

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط ٢، (٥ / ٣٩٩).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧ / ٢٧٩).

(٣) مكّي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات وعللها، (١ / ٣٩٨).

(٤) عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢١٣.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام: أنّ دلالة النصوص في هذا الباب مما جاء في معنى القراءتين وغيرهما قد ضلت فيه الفرق الضالة كالقدرية والجبرية؛ فالقدرية احتجوا بالنصوص الدالة على ترتيب الجزاء على العمل؛ كقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾،

{ الأحقاف آية: ١٤ }، على أنّ العبد قادرٌ على فعله، وأنّ الجزاء مترتب على العمل ترتب العوض على المعوض والثلث على المثلث، وزعموا أنّ العبد قادر على فعله استقلالاً. كما احتج الجبرية بالنصوص الدالة على دخول الجنة برحمة الله وليس بالعمل؛ كقول النبي (صلى الله عليه وسلم): «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ»^(١)، على أنّ الجزاء غير مترتب على العمل، وزعموا أنّ العبد لا عمل له ولا فعل.

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: " وأما ترتيب الجزاء على العمل قد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله فيه أهل السنة وله الحمد والمنة؛ فإنّ الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات؛ فالمنفي في قوله (صلى الله عليه وسلم): «لَنْ يُدْخَلَ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، وهو أنّ يكون العمل كالثلث لدخول الجنة، كما زعمت المعتزلة أنّ العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمة الله وفضله، " والباء في قوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، { الأحقاف آية: ١٤ }، ونحوها " بآء السبب "، أي: بسبب عملهم، و الله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته^(٢).

(١) تقدم تخريجه، ص (٢٢).

(٢) الطحاوي، شرح العقيدة الطحاوية، (٢/٦٤٣).

المبحث الثاني:

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات المختارات من

سورة المائدة إلى سورة هود

المطلب الأول

أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في الآيات من سورة المائدة

[١١٢- إلى سورة الأنعام، ١٣٧]

الفرع الأول: قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ

أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۗ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾ {المائدة، آية: ١١٢}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية:

أ. قرأ الكسائي بقاء الخطاب ونصب (ربك)، هكذا: ﴿ هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ۗ ﴾.

ب. وقرأ الباقون بقاء الغيب ورفع الباء في (ربك)، هكذا: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ۗ ﴾^(١).

توجيه القراءة الأولى: أنها جرت على مخاطبة الحواريين لعيسى (عليه السلام)،

والتقدير: (هَلْ تَسْتَطِيعُ سُؤَالَ رَبِّكَ)، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وأخذ

إعرابه، كما قال سبحانه: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ۗ ﴾، {يوسف، آية: ٨٣}، أي: أهل القرية^(٢).

توجيه القراءة الثانية: أن الفعل مسند إلى الرب (تبارك وتعالى)، وهذه القراءة محتملة

لثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أنهم قالوا ذلك قبل أن تستحكم معرفتهم برهيم وما يجوز عليه من

الصفات مما لا يجوز، ودليل هذا الوجه قول عيسى (عليه السلام) لهم: ﴿ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ

كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ ﴾، {المائدة، آية: ١١٢}.

(١) أحمد بن الحسين بن مهرا، المبسوط في القراءات العشر، ص ١٠٩، الغاية في القراءات العشر، ص ٧٥.

(٢) نصر بن على الشيرازي ابن أبي مريم، الموضح في علوم القراءات وعللها، (١/ ٤٥٥).

الوجه الثاني: هل يفعل ربك، فعبروا عن الفعل بالاستطاعة، كقول الرجل: هل تستطيع أن تفعل، وقد علم أنه مستطيع، والمعنى تفعل ذلك.

الوجه الثالث: هل يستجيب ذلك ربك، وذلك لأن الاستطاعة تأتي بمعنى أطاع، وأطاع بمعنى أجاب، يقال دَعَوْتُ فلاناً إلى شيء فلم يطعني، أي: لم يجبني^(١).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة ورد الشبهات في مسائل الاعتقاد المتعلقة

باختلاف أوجه القراءتين:

ويأتي بيان ذلك على النحو التالي:

فعلى القراءة الأولى وما تضمنته في تقرير العقيدة ورد الشبهات في قوله تعالى: ﴿

هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾، أن السؤال عن الاستطاعة كان مضاف إلى عيسى (عليه السلام)، وهذا غير مشكل، إلا أن مقام النبوة ينبغي أن يراعى في حقه الأدب في الخطاب، إذ كيف يخاطب نبي الله ورسوله هذا، خصوصاً من حواريه الذين هم أعرف الناس بمقامه؟، إلا أنه يزال هذا الاشكال بالتوجيهات الآتية لمعنى لقولهم:

التوجيه الأول: المقصود بقولهم استفهام؛ وأنهم سألوا عيسى (عليه السلام) عن استطاعته

سؤال ربه، والتقدير: هل تستطيع يا عيسى أن تسأل ربك.

التوجيه الثاني: الطلب، وأن الاستفهام هنا ورد مورد الطلب، والمعنى: (هل تفعل لنا

ذلك)، وقد علموا أن عيسى (عليه السلام) يستطيع السؤال، كقول الرجل: هل تستطيع تكلمني، وقد علم أنه مستطيع لذلك^(٢).

وأما القراءة الثانية: وما تضمنته في تقرير العقيدة ورد الشبهات والتي هي قراءة

الجمهور: ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾،

(١) مكى ابن أبى طالب، الكشف عن وجوه القراءات، (١/٤٢٢)، ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٤١.

(٢) ينظر بتصرف: ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٤١، مكى ابن أبى طالب، الكشف عن وجوه القراءات، (١/٤٢٢).

فقد استشكل العلماء صدور هذا السؤال من حواريين في حق رب العالمين (سبحانه وتعالى)، الذي هو على كل شيء قدير، والمخبر عن نفسه بكمال القدرة على كل شيء، كما جاءت بذلك النصوص المتظافرة، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، {الزمر، آية: ٦٢}، وقول: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ {يس، آية: ٨٢}، وقوله: ﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، {الأعراف، آية: ٥٤}، وعليه وجه العلماء سؤال الحواريين هذا بعدة توجيهات:

التوجيه الأول: أن السؤال محمول على سؤال الله (عز وجل) الفعل بصيغة الاستفهام

والاستطاعة، كقول العرب: (هل يستطيع فلان أن يأتي)، وقد علم أنه مستطيع ذلك.

قال الإمام الطبري: "وقرأ ذلك عامة قراءة المدينة والعراق: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء

﴿رَبُّكَ﴾، بمعنى: أن ينزل علينا ربُّك، كما يقول الرجل لصاحبه: "أتستطيع أن تنهض معنا في كذا؟" وهو يعلم أنه يستطيع، ولكنه إنما يريد: أنتهض معنا فيه" (١).

وقال مكي ابن أبي طالب: "وجه من قرأ بالياء على أن معناه: هل يفعل ربك ذلك؟

لأنهم لم يشكوا في استطاعة الباري على ذلك لأنهم كانوا مؤمنين، وإنما هو كقولك للرجل:

هل يستطيع فلان أن يأتي؟ وقد علمت أنه مستطيع، فالمعنى هل يفعل ذلك؟ وهل يجيبي إلى

ذلك؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله لذلك ولغيره علم الدلالة وخبر ونظر، فأرادوا معاينة

ذلك كما قال الخليل إبراهيم (عليه السلام): ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ

أُولَمْ نُؤْمِنُ بِكَ يَا بَلِيَّ وَلَكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ {البقرة، آية: ٢٦٠}، ولذلك قالوا الحواريون: و﴿

وَلِيَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾، {المائدة، آية: ١١٣} (٢).

(١) الطبري، الجامع في تأويل آي القرآن، (٩/ ١١٨).

(٢) مكي ابن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات، (١/ ٤٢٢-٤٢٣)، ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٤١.

قال العلامة ابن عثيمين: - رحمه الله - ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾ بالياء ﴿رَبُّكَ﴾، " هذا فيه إشكال عظيم على هذه القراءة؛ لأن شكهم في قدرة الله يستلزم الكفر، فلهذا أشكل على أهل العلم كيف يقولون هذا وهم الحواريون؟

فنقول في الجواب عن هذا: أن نُحْمَل الاستطاعة على الإرادة، وهذا سائغ في كلام العرب، تقول لصاحبك: يا فلان، هل تستطيع تمشي معي لفلان سأزوره، وأنت تعلم أنه يقدر، لكن المراد: هل تريد أن تمشي معي. فيكون ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ أي: هل يريد، وليس عندهم شك في كونه قادرًا عز وجل " (١).

التوجيه الثاني: أن معنى سؤالهم أي: هل يستجيب ربك؟ قال الإمام ابن زنجلة - رحمه الله - : قرأ الباقون " هل يستطيع (بالياء) ربك؟" أي: هل يستجيب لك ربك إن سألته ذلك، كما يقول القائل الآخر: أتستطيع أن تسعى معنا في كذا، وهو يعلم أنه قادر على ذلك ولكن يريد السعي معنا فيه (٢).

الوجه الثالث: قال العلامة ابن عثيمين: "ليس من الاستطاعة التي هي ضد العجز، بل هي من الاستطاعة التي هي الإطاعة، يعني هل يطيعك ربك إذا سألته أن ينزل علينا مائدة أو لا يطيع؟ وهذا القول يرجع إلى المعنى الأول وهو الإرادة؛ لأن الإطاعة بمعنى الانقياد، فالمعنى: هل إذا سألت ربك يطيعك، فتكون الاستطاعة هنا ليست من باب الطوق والقدرة، ولكن من باب الإطاعة، وهي الانقياد إذا سألته " (٣).

الأمر الذي يظهر في تقرير العقيدة لكل من القراءتين على مسألة مهمة من مسائل الاعتقاد، وهي مسألة الاستطاعة؛ فإنه يجوز نفيها عن نبي الله عيسى (عليه السلام) من حيث الجملة؛ إذ هو بشر، فيجوز نفي الاستطاعة عنه في بعض الصور، كما نفيت

(١) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة المائدة، (٢/ ٥١٨-٥٢٦).

(٢) ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد أبي زرعة، حجة القراءات، ص ٢١٣.

(٣) ابن عثيمين، تفسير القرآن الكريم سورة المائدة، (٢/ ٥١٨-٥٢٦).

الاستطاعة عن نبي الله موسى (عليه السلام) وهو أفضل منه، كما جاء في قصة الخضر وخطاب الخضر له: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، {الكهف، آية: ٦٧}، وأما في حق الله - سبحانه وتعالى - فإنه منزه أن يسأل عن استطاعته لشيء من عدمه، إذ هو وعلى كل شيء قدير، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، كمال قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، {يس، آية: ٦٣}، ولعل التوجهات التي ذكرها حذاق من علماء القراءات وجهابذة جمهور المفسرين أزالت الشبهات، وعلى هذا يجوز نفي الاستطاعة عن نبي الله عيسى (عليه السلام) من حيث الجمل، وأما في حق الله - سبحانه وتعالى - فإنه منزه أن يسأل عن استطاعته لشيء من عدمه، فلا يجوز نفيها عنه مطلقاً (سبحانه وتعالى).

الفرع الثاني: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ

أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ {الأنعام، آية: ١٣٧}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية الكريمة:

أ. قرأ ابن عامر: ﴿زَيْنَ﴾، بضم الزاي وكسر الياء ورفع لام ﴿قَتَلَ﴾، ونصب دال

﴿أَوْلَادِهِمْ﴾، وخفض همزة ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾.

ب. وقرأ الباقر ﴿زَيْنَ﴾ بفتح الزاي والياء ونصب لام ﴿قَتَلَ﴾ وخفض ﴿أَوْلَادِهِمْ﴾

ورفع همزة ﴿شُرَكَاءَهُمْ﴾^(١).

توجيه القراءة الأولى: التي فيها ضم الزاي، أنه دلّ بذلك على بناء الفعل لما يذكر

فاعله، ورفع به "قتل" وأضاف "شركائهم" فخصهم، ونصب "أولادهم" بوقوع القتل عليهم، وجاء بهم بين المضاف والمضاف إليه.

(١) ابن مجاهد، السبعة، ص ٢٧٠، أبو عمرو الداني، التيسير، ص ١٠٧، ابن الجزري، نشر القراءات العشر، (٤)

توجيه القراءة الثانية: ومن قرأ بفتح الزاي، أنه جعل الفعل {للشركاء} فرغهم به، ونصب {القتل} بتعدّي الفعل إليه، وخفض {أولادهم} بإضافة القتل إليهم^(١).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة في مسائل الاعتقاد المتعلقة باختلاف أوجه

القراءتين على النحو التالي:

ويأتي بيان ذلك على النحو التالي:

هذه الآية حصل فيها إشكال عظيم عند بعض النحاة، وهو أن بعض القراءات فيها خالفت الأقيسة النحوية ولأجل ذلك ردّوا القراءة وأنكروها، ومن المقرر في مسائل الاعتقاد؛ أنه لا يجوز إنكار شيء من القرآن الكريم، ولو حرفاً واحداً بعد ثبوته عن النبيّ (صلى الله عليه وسلم)، بل في كل ما جاء به (صلى الله عليه وسلم) عن ربه (سبحانه وتعالى).

بيان وجه الإشكال الذي حصل في هذه الآية ورفعها:

بالنسبة لقراءة الجمهور لا إشكال فيها وهي موافقة لقواعد العربية، وعليه لا نزاع فيها. وأمّا قراءة ابن عامر ففيها إشكال معروف ونزاع مشهور بين أهل النّحو بسبب خروجها عن القياس في اللغة خروجاً أدّى بكثير من النّحويين والمفسرين بالطعن في ثبوتها^(٢).

والسبب في ذلك كله هو الفصل بين المتضامين بالمفعول به في قوله: ﴿قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾. نفسها الآية السابقة، لأنّ المقرر في قواعد اللغة العربية منع الفصل بين المتضامين بالظرف، والجار والمجرور في الاختيار فضلاً عن المفعول به، - قال الذين أنكروا القراءة: فكيف يكون ذلك في القرآن الكريم.

وتجرأ الزمخشري في إنكاره للقراءة وردّها فقال: "وأما قراءة ابن عامر فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً^(١) مردوداً فكيف في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته^(٢)"

(١) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٨١-٨٢.

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٧/٤٣-٤٤).

وما ذهب إليه الزمخشري باطل، وكان الصواب خلافه والفصيح سواه كما سيأتي بيانه. وممن خاض في إنكارها ابن خالويه عند توجيه لقراءة ابن عامر: أعقبها بقوله: "وهذا قبيح في القرآن، وإنما يجوز في الشعر" (٣).

لكن قيض الله علماء محريين ومحققين قد تصدوا للطاعنين في هذه القراءة ورفع الإشكال عنها واضحاً جلياً، وردوا على الشبهات، فهذا (ابن مالك) -رحمة الله عليه -، الذي أشبع هذه المسألة بحثاً في أكثر من كتاب، فقال عليه -رحمة الله - في شرح التسهيل: "وتجوز ما قرأ به (يعني ابن عامر) في قياس النحوي قوي، وذلك أهما قراءة اشتملت على فصل بفضلة بين عاملها المضاف إلى ما هو فاعل فحسن ذلك لثلاثة أمور: أحدها: كون الفاصل فضلة فإنه بذلك صالح لعدم الاعتداد به.

الثاني: كونه غير أجني لتعلقه بالمضاف.

الثالث: كونه مقدر التأخير من أجل المضاف إليه، فقدّر التقدّم بمقتضى الفاعلية المعنوية، فلو لم يستعمل العرب الفصل المشار إليه لاقضى القياس استعماله، لأنهم قد فصلوا في الشعر بالأجنبي كثيراً، فاستحق الفصل بغير الأجنبي أن يكون له مزية فحكم بجوازه" (٤). كما نصر ابن مالك -رحمة الله- هذه القراءة ورد على الطاعنين فيها في الكافية الشافية حيث قال:

كقول بعض القائلين للرجز	لفاعل من بعد مفعول حَجَزَ
في القاعِ فَرَكَ القُطْنَ الحَاجِ	يفرُكُ حَبَّ السُّنْبِلِ الكُنَافِجِ
وكم لها من عاضدٍ وناصرٍ	وعُمدتي قِراءةُ ابنِ عامِرِ
ك مخلفُ الوعدِ محقِّ ذو نكد (١)	ومثل ذا مع اسم مفعول ورد

(١) سَمَّجَ الشيء بالضم: سَمَّجَةً: قُبْحُ فهو سَمَّجٌ، ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة، وصحاح العربية، (١/ ٣٢٢)، فصل [السين]، باب [س م ج].
 (٢) الزمخشري، الكشاف، (٢/ ٥٣-٥٤).
 (٣) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ٨١-٨٢.
 (٤) محمد بن عبد الله بن مالك، الأندلسي، شرح التسهيل، (٣/ ٢٧٧).

فوضح هنا حكم الجواز في الفصل بين المتضايين بالمفعول به، ورد بالأشعار القديمة على ادعاء منع ذلك.

وقد صحَّ هذا عن أفصح من نطق بالعربية من البشر (عليه الصلاة والسلام) في حديث أبي الدرداء (رضي الله) عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم)، أنه قال: (فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي)^(٢). والمقصود في الحديث بالصاحب هنا؛ أبابكر (رضي الله عنه).

ففصل (صلى الله عليه وسلم)، بين اسم الفاعل ومفعوله بالجار والمجرور وهو أفصح الناس؛ فدلَّ ذلك على ضعف قول من خصَّه بالضرورة.

وأما الشواهد الشعرية التي وردت في هذه المسألة كثيرة لا تُعدّ، ولكن أذكر منها ما يدفع شك المرتاب. فمن جملة ذلك:

قول الشاعر:

تَنْفِي يَدَاها الحِصَى فِي كَلِّ هَاجِرَةٍ *** نَفْيِ الدَّنَائِرِ تَنْقَاذُ الصَّيَّارِفِ^(٣).

ومُنَّ نصر هذه القراءة ورد الشبهات وأطال فيها النفس أبو شامة - عليه رحمة الله -، وأبلغ أبو حيان -رحمة الله- في رده على الزمخشري فقال: " وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجوداً نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بقراءة الأئمة الذين تحيّرهم هذه الأمة لنقل كتاب الله مشرقاً ومغرباً وقد اعتمدوا على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم " (٤).

(١) مُجَّد بن عبد الله ابن مالك، الأندلسي، شرح الكافية الشافية، (١/٢٤٨٩).

(٢) مُجَّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول النبي (ﷺ): (فهل أنتم تاركوا لي صاحبي)، رقم الحديث (٣٤٦١).

(٣) قائله: الفرزدق، ينظر: عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بـ (سيبويه)، الكتاب، (١/ ٢٨)، عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، (٢/٧٦٩)، ١٩٩٣ م.

(٤) مُجَّد بن يوسف بن حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (٥٥٧/٤-٥٥٨).

وخلاصة القول في تقرير مسائل الاعتقاد ورد الشبهات في هذه القراءة يمكن أن

يلخص في الآتي:

أولاً: المرجع في هذه القراءة صحّة السند عن النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، فهي ثابتة من حيث النقل، ولم يشك فيها أحد ممن كان في زمن ابن عامر ولا من بعده، وردّ ما نزل على النبي (صلّى الله عليه وسلّم)، من القرآن وثبت عنه؛ بنقل الأئمة الثقات الذين أجمعت الأمة قاطبة بتلقي قراءتهم بالقبول، هذا أمر خطير ولا يجوز، ولا اعتبار للأقيسة النحوية في ذلك بعد ثبوت القراءة.

ثانياً: الفصل بين المتضايين بالمفعول جازر في اللغة العربية أجازته كبار النحويين والمحققين منهم كأبي حيان، وابن مالك، إذ قال:

وعمدتي قراءة ابن عامر *** وكم لها من عاضدٍ وناصر^(١).

ثالثاً: طعن بعضهم فيها بأنّها مخالفة للرسم طعن بعيد عن الحقيقة، لأنّها وإن كانت مخالفة للرسم في أكثر المصاحف إلّا أنّها لم تخالف رسم المصحف الشامي فهي مرسومة بيباء في هكذا: (شركائهم) كما نبه على ذلك الإمام ابن الجزري وأخبر أنّه رآها كذلك في مصحف أهل الشام^(٢). وهو إمام هذا الفن بلا نزاع، بعد الشاطبي، وكل من جاء بعده فهم عيال عليه في علم القراءات.

والخلاصة أن الحق في غير ما ذهب إليه المنكرون لقراءة الإمام ابن عامر كيف ينكرونها وهو من أعلى القراء إسناداً وإمام أهل الشام قاطبةً في القراءات بالإجماع؛ بل أخذها من أفواه الصحابة الأخيار، لأنه ولد سنة إحدى وعشرين من الهجرة، فأخذ القرآن عرضاً عن جماعة من الصحابة منهم: أبو الدرداء، و المغيرة بن شهاب، ووائلة بن الأسقع -رضى الله

(١) ينظر: مصدر هذا البيت في بداية حديثي عن هذه المسألة، ص (٢٨).

(٢) ابن الجزري، نشر القراءات العشر، ج ٤، ص ٢٣٠٢.

عنهم أجمعين-^(١)، ولجلالته في العلم والإتقان جمع له الخليفة عمر بن عبد العزيز -رحمه الله- بين القضاء والإمامة ومشیخة الإقراء بدمشق؛ فله الحمد قد زال الإشكال وزدّت الشبهات، بفضل الله.

المطلب الثاني: أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في

الآيات من سورة الأنعام، [١٥٩- إلى سورة هود، ٤٦]

الفرع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي

شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾، {الأنعام، آية: ١٥٩}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية المباركة:

أ. قرأ حمزة والكسائي بألف بعد الفاء وتخفيف الراء هكذا: ﴿فَارْقُوا﴾، هنا وفي سورة الروم^(٢).

ب. قرأ الباقون بغير ألف وتشديد الراء، وكذلك في الروم هكذا: ﴿فَرَّقُوا﴾^(٣).

توجيه القراءة الأولى: أي: تركوا دينهم وبارقوه وفارقوه وخرجوا عنه.

توجيه القراءة الثانية: أنهم بددوا دينهم وجعلوه فرقا وجزأوه، فأمنوا ببعض وكفروا ببعض^(٤).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة في مسائل الاعتقاد المتعلقة باختلاف أوجه القراءتين:

ويأتي بيان ذلك على النحو التالي:

(١) ينظر في ترجمته: الذهبي معرفة القراء الكبار، (١/٨٢-٨٦)، سير أعلام النبلاء، (٥/ ٢٩٢- ٢٩٣)، ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (١/ ٤٢٣-٤٢٥).

(٢) سورة الروم: الآية (٣٢).

(٣) اللدائي، التيسير في القراءات السبع، ص ١١٠، ابن الجزري، نشر القراءات العشر، (٩/ ٤٢٣٠).

(٤) ابن أبي مريم، الموضح في علوم القراءات وعللها، (١/ ٥١٥)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها، (١/ ٤٥٨).

القراءة الأولى: وما تضمنته في تقرير العقيدة: التي هي قوله: ﴿فَارْقُؤْ﴾، معناه أي: أن الذم يرجع في هذه الآية إلى المفارقين دينهم بالردة والعياذ بالله، قال الإمام الطبري - رحمه الله - في معناها: "فَارْقُؤْ دِينَهُمْ" خرجوا عنه من المفارقة" (١).

وقال الإمام ابن جزّي الكلبي - عليه رحمة الله -: قرئ "فارقوا" أي: تركوا دينهم (٢).

وقال الإمام ابن كثير: في تفسيره لهذه الآية، "نَزَلَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقِيلَ هُمْ: أَهْلُ الْبِدْعِ، وَأَهْلُ الشُّبُهَاتِ، وَأَهْلُ الضَّلَالَةِ، مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ" (٣).
وقال الإمام البغوي: "أي خرجوا من دينهم وتركوه" (٤).

وأما القراءة الثانية: وما تضمنته في تقرير العقيدة والتي هي قراءة الجماعة: ﴿فَرَّقُوا﴾، معناه أي: أن الذم يرجع إلى المفرقين دينهم المجزئين له؛ ولذلك اختلف العلماء من القراء والمفسرين في المعنيين بهذا التفريق إلى عدة أقوال:

القول الأول: أنهم اليهود والنصارى فرقوا دين إبراهيم (عليه السلام)، فتهود قوم وتنصر آخرون (٥).

القول الثاني: أنهم أهل الشرك، فرقوا دينهم (الكفر الذي يعتقدونه ديناً)، فعبد بعضهم الصنم وبعضهم الملائكة (٦).

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١٠ / ٣٠).

(٢) ابن جزّي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢ / ٥٥).

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، (٣ / ٣٣٨)..

(٤) البغوي، معالم التنزيل، (٢ / ١٧٥).

(٥) عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٢ / ٩٦). الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٣١ / ١٠-٣٢).

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩ / ١٣٤).

القول الثالث: أنهم أهل البدع من هذه الأمة، فرقوا دين الإسلام؛ لأنهم ابتدعوا بدعًا فتعددت فرقهم المخالفة للسنة، وقد نقل هذا القول، الطبري وابن الجوزي عن أبي هريرة - رضى الله عنه - وطاووس (١).

والصواب والله أعلم أن هذه الآية عامة في كل من فرق دين الله من الأمم الماضية ومن هذه الأمة والدليل على ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): «إن أهل الكتاب اختلفوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة، ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة» (٢).

والخلاصة: أن القراءة الأولى تنزل على المفارقين لدينهم، والقراءة الثانية تنزل على المفارقين له.

وبهذا يتبين أوجه اختلاف القراءتين، وثمرتهما من جهة الاستدلال وتقرير مسائل الاعتقاد.

الفرع الثاني: قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ {هود، آية: ٤٦}.

المسألة الأولى: أوجه اختلاف القراءات الواردة في الآية:

أ. قرأ الكسائي ويعقوب بكسر الميم وفتح اللام وحذف تنوينها ونصب راء (غَيْرُ)،

هكذا: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٍ صَالِحٍ ﴾.

ب. قرأ الباقر بفتح الميم ورفع اللام وتنوينها ورفع راء (غَيْرُ) (٣)، هكذا: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ

غَيْرٍ صَالِحٍ ﴾.

(١) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٣١/١٠-٣٢)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٢/٩٦).

(٢) سليمان ابن الأشعث ابن إسحاق أبو داوود، سنن أبي داوود، باب شرح السنة، رقم الحديث ٤٥٩٦، (٤/١٩٧)، وقال فيه الألباني حسن صحيح. في سنن داوود، في نفس المرجع. السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رقم (٢٠٤).

(٣) ابن مجاهد، السبعة، ص ٣٣٤، التيسير، ص ١٠٢، نشر القراءات العشر، ٤٢٣٧٦.

توجيه القراءة الأولى: التي هي قوله: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ ﴾، أنه فعل على صيغة الماضي، وفاعله ضمير يعود على ابن نوح، ﴿ غَيْرٌ ﴾، مفعول به منصوب، ومعناه: أن ابن نوح (عَمِلَ عملاً غيرَ صالح).

توجيه القراءة الثانية: وهي قراءة الجمهور: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ ﴾، فيها ثلاثة توجيهات:

أحدها: أن يكون مرجع الضمير: ﴿ إِنَّهُ ﴾ المسؤول فيه (ابن نوح)، والمعنى: إن الذي ذكرت أنه ابنك، عملٌ غيرُ صالح؛ أي: إنه ذو عمل غير صالح لشركه وكفره.
والثاني: أن يكون الضمير في (إنه) لسؤال نوح نجاه ابنه. ومعناه: سؤالك إياي لنجاة من كفر بي هذا عمل غير صالح.

والثالث: أن يكون الضمير لابن نوح، و (عمل) مصدر وصف به مبالغة كقولك: رجل صوم^(١).

المسألة الثانية: بيان ترسيخ العقيدة وردّ الشبهات في مسائل الاعتقاد المتعلقة

باختلاف أوجه القراءات:

ويأتي بيان ذلك على النحو التالي:

فعلى القراءة الأولى وما تضمنته في تقرير مسائل الاعتقاد وردّ الشبهات، التي هي: ﴿ إِنَّهُ عَمِلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ ﴾، هذه القراءة لا إشكال فيها لوضوح مرجع الضمير إلى ابن نوح؛ إنه عَمِلَ عملاً غيرَ صالح.

يقول الإمام ابن جزى الكلبي، في تفسير الآية: ﴿ إِنَّهُ عَمِلٌ غَيْرٌ صَالِحٍ ﴾، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال^(٢).

(١) ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، ص ١٠٦، ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢/ ١٩٩)، مجّد عمر سالم باز مول، القراءات وأثرها في التفسير، ص ٥٧٣.

(٢) ابن جزى الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢/ ١٩٩).

وأما القراءة الثانية: وما تضمنته في تقرير العقيدة وردّ الشبهات والتي هي قراءة

الجمهور: ﴿ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾،

هذه القراءة حصل فيها إشكال عظيم عند بعض العلماء، وموضع الإشكال عندهم في

الرد على سؤال نوح: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِي... ﴾ (٤٥) قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾، {هود: ٤٥ - ٤٦}.

واحتلّفوا في هذا الذي سأل فيه نوح وأجابه الله عليه بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾،

على قولين:

القول الأول: أَنَّهُ ابْنُ نُوحٍ لِصُلْبِهِ، وبه قال غير واحد من السلف، وعلى هذا لا

إشكال في هذه القراءة.

القول الثاني: أَنَّهُ وُلِدَ عَلَى فِرَاشِهِ لِعَبْرِ رِشْدَةٍ وَمَا يَكُنْ ابْنَهُ، وَأَنَّ امْرَأَتَهُ فَجَرَتْ وَخَانَتْهُ،

والعياذ بالله.

وهنا وقع إشكال عقدي وهو هل يجوز خيانة نساء الأنبياء على فراشهم؟ وقد

تقرر عند أئمة السلف نفي ذلك بقولهم: "مَا بَعَثَ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ" (١)؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَعْيَرُ مِنْ أَنْ يُمَكِّنَ امْرَأَةً نَبِيًّا مِنَ الْفَاحِشَةِ (٢)، وهذا هو الحق وأليق بجناب الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام أجمعين - ولا يجوز القول بغيره.

يقول الإمام ابن كثير -رحمة الله-: " وَقَدْ نَصَّ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى تَخْطِئَةِ مَنْ

ذَهَبَ فِي تَفْسِيرِهِ هَذَا إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِابْنِهِ، يَعْنِي - هَذَا غَيْرُ صَاحِبِ بَلِّ هُوَ ابْنُهُ -، قَالَ ابْنُ

عَبَّاسٍ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: مَا زَنَتْ امْرَأَةٌ نَبِيًّا قَطُّ، قَالَ: وَقَوْلُهُ: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾

أَيُّ: الَّذِينَ وَعَدْتُمْ نَجَاتَهُمْ، وَقَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي هَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٢/٣٧٧)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/٤٦-٤٥).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٨٣).

سُبْحَانَهُ أَغْيَرُ مِنْ أَنْ يُمَكِّنَ امْرَأَةً نَبِيٍّ مِنَ الْفَاحِشَةِ^(١) وَهَذَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ رَمَوْا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ زَوْجِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم)، وَأَنْكَرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهَذَا وَأَشَاعُوهُ؛ وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِالسِّنَّتِمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾، {النور، آية: ١١-١٥}، فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أَيْ: الَّذِينَ وَعَدْتُمْ إِجَاءَهُمْ؛ لِأَنِّي إِنَّمَا وَعَدْتُكَ بِنَجَاةٍ مِنْ آمَنَ مَنْ أَهْلِكَ؛ وَهَذَا قَالَ: ﴿وَأَهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، {هُود: ٤٠}، فَكَانَ هَذَا الْوَلَدُ مِمَّنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ بِالْعَرَقِ لِكُفْرِهِ وَمُخَالَفَتِهِ أَبَاهُ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا، -عَلَيْهِ السَّلَامُ-^(١).

وقال الإمام الطبري -عليه رحمه الله - : "وأولى القولين بالصواب، قول من قال تأويل ذلك: إنه ليس من أهلك الذين وعدتكم أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفا، وبني كافرا وكان ابنه، لأن الله تعالى قد أخبر نبيه مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وسلم) أنه ابنه فقال: (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ)، وليس في قوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ دلالة على أنه ليس بابنه"^(٢).

ويقول الإمام ابن الجوزي قوله: "﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾، على قَوْلَيْنِ: أحدهما: ليس من أهل دينك.

والثاني: ليس من أهلك الذين وعدتكم نجاتهم"^(٣).

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/ ٢٨٣)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٩/ ٤٥-٤٦)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٢/ ٣٧٧).

(٢) الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، (١٢/ ١٢٥).

(٣) ابن الجوزي، زاد المسير، (٢/ ٣٧٧).

وبهذا التقرير العقدي زال الإشكال والله الحمد على نفى الريبة في تنزيه فراش نبيّ الله نوح (عليه السلام) على أن تمارس فيه مما لا يليق بمقامه، وأنه ابن صلبه وهذا القول هو الصواب، ولا ينظر ولا يلتفت إلى غيره من الأقوال.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا الباب؛ أعني تنزيه فراش الأنبياء عمّا لا يليق بهم؛ ما جاء فيما حكاه الله (جل ذكره سبحانه وتعالى) عن امرأة نبيّ الله لوط، ونوح أيضا (عليهما السلام) فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَاتَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحرّم: ١٠].

اختلف العلماء -رحمهم الله- في قوله جل ثناؤه: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، ما المقصود بهذه الخيانة على أقوال:

القول الأول: قال قوم: [فَخَانَتَاهُمَا] أي في الفراش، وَاحْتَجَّجُوا بِقَوْلِهِ: [إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ] ^(١)؛ وهذا مردود بلا شك فقد عصم الله نساء الأنبياء عَنِ الْوُفُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ الْحَرَمَةِ الْأَنْبِيَاءِ ^(٢).

القول الثاني: خيانة امرأة نوح: كَانَتْ تَقُولُ لِلنَّاسِ إِنَّهُ مَجْنُونٌ، فتشبط عن الدين برميها له بالجنون.

وخيانة امرأة لوط: أَنهَا كَانَتْ تُخْبِرُ بِأَصْيَافِهِ، فَإِذَا نَزَلَ بِهِ صَيْفٌ دَخَنَتْ لِتُعَلِّمَ قَوْمَهَا أَنَّهُ قَدْ نَزَلَ بِهِ صَيْفٌ، لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ إِتْيَانِ الرِّجَالِ.

القول الثالث: المقصود بالخيانة هنا: الكفر: أَي فِي الْإِيمَانِ لَمْ يُوَافِقَاهُمَا عَلَى الْإِيمَانِ وَلَا صَدَّقَاهُمَا فِي الرِّسَالَةِ، فَلَمْ يُجِدْ ذَلِكَ كُلَّهُ شَيْئًا وَلَا دَفَعَ عَنْهُمَا مَحْدُورًا، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمْ يُغْنِهَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾؛ أَي لِكُفْرِهِمَا وَقِيلَ أَي لِلْمَرَأَتَيْنِ ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾،

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٨٣).

(٢) ينظر: بتصريف المرجع السابق.

وليس المراد بقوله: [فَخَاتَاهُمَا] فِي فَاحِشَةٍ بَلْ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ نِسَاءَ الْأَنْبِيَاءِ مَعْصُومَاتٌ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الْفَاحِشَةِ لِحُرْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ. (١)

وحاصل القراءتين: أن الله تعالى قد أخبر نبيه محمداً (صلى الله عليه وسلم) أنه ابنه فقال: ﴿ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ ﴾، فهنا الله - جل ذكره - أثبت أنه ابنه؛ فلا كلام بعد كلام الله سبحانه وتعالى: ﴿ الْأَيْعَلُمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك، آية: ١٤].

وينهى الله (عز وجل) نوحاً (عليه الصلاة والسلام) عن سؤاله لولده المشرك، ولعلّ هذا النهي بكون الولد (ابن نوح) عمل عملاً غير صالح في شركه بالله، وكونه من الكافرين وعدم ركوبه مع المؤمنين، وهذا القول هو الصواب الذي لا ريب فيه، هذا والله أعلم وأحكم.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٨/١٩٢)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٢٠٢/١٨).

الخاتمة

أولاً: النتائج: أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

١. أوضحت الدراسة أن تأثير أوجه اختلاف القراءات في المسائل العقدية، أمرٌ ذو أهمية قصوى.
٢. بيان ترسيخ العقيدة في مسائل الاعتقاد المتعلقة باختلاف أوجه القراءات وردّ الشبهات التي تثار حولها.
٣. أنّ القراءات مبنية على التلقي، والسماع، والرواية لا على الرأي والاجتهاد.
٤. أنّ من المقرر في مسائل الاعتقاد؛ عدم إنكار شيء من القرآن الكريم، ولو حرفاً واحداً بعد ثبوته عن النبيّ (عليه وسلم)، بل في كل ما جاء به (عليه وسلم)، عن ربه (سبحانه وتعالى).
٥. أنّ تعدد أوجه القراءات واختلافها لا منافاة فيها؛ حيث تصير الكلمة كلمتين أو أكثر، فإما أن تكون كلُّ قراءة تبيّناً للأخرى، وإما أن تكون القراءة الثانية جاءت بمعنى جديد، وكأنّ كل قراءة تُعدُّ بمنزلة آيةٍ مستقلة أنت بأحكام كثيرة مع أنّها لم يكن لها رقم في المصحف ولا تكرر وهذا وحده كافي في الإعجاز القرآني.
٦. أنّ القرآن الكريم لو خالف الأقيسة والقواعد النحوية؛ فإن القرآن يُحكّم ولا يُحكّم عليه، بل إذا جاء في القرآن تركيب لم يُعهد في اللغة العربية؛ فإن الفضل يرجع للقرآن بإحياء هذا التركيب، ولا يلتفت إلى الأقيسة النحوية.
٧. أنّ القرآن نزل على النبي (عليه وسلم) بالقراءات العشر التي نقلت إلينا بالمتواتر، وتلقته الأمة بالقبول قاطبة.
٨. اشتمال أوجه اختلاف القراءات على أحكام عقدية متنوعة، وأنّ هناك فرقاً تستند إلى تفسير بعض القراءات ما يوافق مع مذاهبهم العقدية، ولكن كل شبهة جاءت بها يوجد ما يبيّن بطلانها من القراءة نفسها أو من أختها.
٩. أنّ القرآن الكريم يمثل لهذه الأمة روحها التي بها تحيا، ومكانتها التي تعرف بها وتميزها عن غيرها، ولذا لا يستغرب أي مسلم حين يرى هذه الجهود الهائلة المبذولة في سبيل خدمة هذا الكتاب العظيم على مدار التاريخ.

ثانيًا: التوصيات والمقترحات: في ختام هذا البحث يوصي الباحث بما يأتي:

- ١- التنويه على الباحثين في مختلف المستويات العلمية بتبني أطروحات في أوجه اختلاف القراءات المتعلقة بتقرير المسائل العقدية، وبيانها، ونشرها بين مكونات المجتمعات.
- ٢- عناية المؤسسات الإسلامية المعنية بخدمة القرآن الكريم، في بيان أوجه اختلاف القراءات المتعلقة بالمسائل العقدية ونشرها من خلال الوسائل الإلكترونية المسموعة، والمرئية، والمقروءة على أوسع نطاق الإعلام العام.
- ٣- وجود أحكام عقدية مهمة تؤخذ من أوجه اختلاف القراءات، لذا يجب العناية بالقراءات المتواترة معنىً وتوجيهًا.
- ٤- اهتمام أولياء الأمور بتعليم الأبناء القرآن الكريم ومعانيه السامية المتمثلة في أوجه اختلاف القراءات في ترسيخ العقيدة.

المصادر والمرجع

١. إبراهيم بن السري الزجاج، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط١)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب.
٢. أبي بكر أحمد بن عبيد الله، (١٤٢٨هـ، دون، ط)، الكتاب المختار في معاني قراءات أهل الأمصار، تحقيق: عبد الله الجهني، مكتب الرشد.
٣. أحمد بن الحسين بن مهران، (دون، تاريخ، ط)، الغاية في القراءات العشر، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة.
٤. أحمد بن الحسين بن مهران، (دون، تاريخ، ط)، المبسوط في القراءات العشر، تحقيق: جمال الدين مُجّد شرف، مطبوعات المكتبة العالمية، دار الصحابة للتراث بطنطا، القاهرة.
٥. أحمد بن زكريا ابن فارس، (١٩٩١م، ط١)، معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الخليل، بيروت.
٦. أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام ابن تيمية، (دون، تاريخ، ط)، الحرائي، الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: مُجّد محي الدين عبد الحميد، مطبعة الحرس الوطني، السعودي.
٧. أحمد بن عبد الغني الدميّاطي، (دون، تاريخ، ط)، اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: على الضباع، دار الندوة الجديدة.
٨. أحمد بن علي بن عبيد الله ابن سوار، (١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥، ط١)، المستنير في القراءات العشر، تحقيق: عمار أمين، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دولة الإمارات، إمارة دبي.
٩. أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد، (دون، تاريخ، ط٢)، السبعة في القراءات، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة.
١٠. أحمد بن يوسف المعروف بالسّمين الحلبي، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ط١)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد مُجّد الخزّاط، دار القلم، بيروت، لبنان.
١١. أحمد عبد الحلّيم بن تيمية الحرائي، (١٤١٦هـ، دون تاريخ، ط)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة النبوية.
١٢. إسماعيل بن حمّاد الجوهري، (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ط٢)، الصحاح، تاج اللغة، وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين.

١٣. إسماعيل بن خلف بن سعيد السرقسطي، (١٤٠٥هـ)، العنوان في القراءات السبع، تحقيق: زهيد زاهد وآخرون، عالم الكتب، بيروت.
١٤. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، (١٤١٩هـ، ط١)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٥. الحسين بن أحمد بن خالويه، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩، ط١)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ودار الشروق، بيروت.
١٦. سليمان ابن الأشعث ابن إسحاق أبو داود، (بدون، تاريخ، ط)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
١٧. طاهر بن عبد المنعم ابن غلبون، (دون، تاريخ، ط)، التذكرة في القراءات الثمانية، تحقيق: أيمن سويد، الجمعية الخيرية بجدّة.
١٨. عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، (دون، تاريخ، ط)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.
١٩. عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة، (دون، تاريخ، ط)، إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، للإمام الشاطبي، تحقيق: محمود عبد الخالق، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢٠. عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، (١٤٢٢هـ، دون، ط)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢١. عبد الرحمن بن كمال الدين بن أبي بكر السيوطي، (١٤١٤هـ، ط١)، قطف الأزهار في كشف الأسرار، تحقيق: أحمد الحمادي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر.
٢٢. عبد الرحمن بن محمد ابن زنجلة، (١٤٢٢هـ، ط٥)، حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة.
٢٣. عبد الرحمن بن محمد ابن الأنباري، (١٩٦١، ط١)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، رقم المسألة (٦٥)، المكتبة التجارية، مصر.
٢٤. عبد الفتاح القاضي، (دون تاريخ، ط) القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتب العربية.

٢٥. عبدالهادي الفضلي، (١٩٧٩م)، القراءات القرآنية تاريخ وتعريف، دار المجمع العلمي بجمده، السعودية.
٢٦. عثمان بن جني، (١٩٨٦م، ط٢) الخصائص، تحقيق: محمد النجاء، الهيئة العامة للمكتبات، القاهرة.
٢٧. عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني، شيخ مشايخ المقرئين، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ط١)، التيسير في القراءات السبع، عني بتصحيحه أوتويرتزل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، و(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ط١)، دار الغد الجديد، القاهرة.
٢٨. علي بن محمد بن أبي العز الحنفي الطحاوي، (١٤١٣هـ، ط٢)، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة.
٢٩. فخر الدين بن ضياء الدين الرازي، (دون، تاريخ، ط)، تفسير الفخر الرازي، المشهور بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب.
٣٠. القاسم بن فيزّه بن خلف الشاطبي الأندلسي، (١٤٣٢هـ-٢٠١١، ط١)، حرز الأمان ووجه التهاني، الأبيات (٦٧٠-٦٧٤)، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار ابن الجوزي، المدينة النبوية.
٣١. لحاجي خليفة، (١٤١٣هـ، ط١)، كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٢. محمد بن جرير الطبري، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط١)، الجامع عن تأويل آي القرآن، دار هجر.
٣٣. محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، (١٤٢٤هـ، ط١)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٤. محمد الأمين محمد المختار الشنقيطي، (دون تاريخ، ط)، العذب المنير من مجالس الشنقيطي في التفسير، مجمع الفقه الإسلامي بجمده دار عالم الفوائد.
٣٥. محمد المختار ولد أباه، (١٤٢٢هـ)، تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، المنظمة الإسلامية لتربية وعلوم الثقافة، إيسيسكو.
٣٦. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط٧)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٣٧. محمد بن أحمد بن فرح القرطبي، (١٣٨٤هـ-١٩٩٦م، ط٢)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وآخرون، دار الكتب المصرية - القاهرة.
٣٨. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، (١٤٢٢هـ، ط١)، الجامع المسند الصحيح، دار طوق النجاة.

٣٩. مُحمَّد بن أيوب ابن القيم الجوزية، (دون، تاريخ، ط)، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، مطبعة المدني، القاهرة.
٤٠. محمَّد بن سالم الحيسن، (١٩٩٨م، ط١)، القراءات وأثرها في علوم العربيَّة، دار الجليل، بيروت.
٤١. مُحمَّد بن صالح بن مُحمَّد بن سليمان العثيمين التميمي، (١٤٣٥هـ، ط٣)، تفسير القرآن الكريم سورة النساء، مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية، عنيزة، دار ابن الجوزي.
٤٢. مُحمَّد بن عبد العظيم الزرقاني، (١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ط١)، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق: فوز أحمد، دار الكتاب العربي بيروت.
٤٣. مُحمَّد بن عبد الله ابن مالك، الأندلسي، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ط١)، شرح الكافية الشافية، تحقيق: أحمد يوسف القادري، دار صادر، بيروت، لبنان.
٤٤. مُحمَّد بن عبد الله بن مالك، الأندلسي، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط١)، شرح التسهيل، تحقيق: عبد الرحمن السيد، وآخرون، الناشر هجر للنشر والتوزيع.
٤٥. مُحمَّد بن عبد الله بن مالك، الطائي الأندلسي، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ألفية ابن مالك في النحو والصرف، البيت رقم (٥٩٩-٥٦٠)، مكتبة الآداب، القاهرة.
٤٦. محمَّد بن عثمان الذهبي، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ط٢)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٤٧. مُحمَّد بن مُحمَّد ابن الجزري، (١٤٢٧هـ، ط٤)، طَيِّبَةُ النُّشْرِ فِي الْقِرَاءَاتِ فِي الْعَشْرِ الْكُبْرَى، تحقيق: محمَّد تميم الرُّعَيْبِي، مكتبة الهدى بالمدينة المنورة.
٤٨. مُحمَّد بن مُحمَّد ابن الجزري، (١٤٣٩هـ-٢٠١٨، ط١)، إمام القراء ومن جاء بعده فهم عيال له، نشر القراءات العشر، تحقيق: أيمن سويدي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، السعودية.
٤٩. مُحمَّد بن مُحمَّد ابن الجزري، (٢٠٠٨م، ط١)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، تحقيق: جمال السيد، المكتبة الأزهرية، مصر.
٥٠. مُحمَّد بن مُحمَّد ابن الجزري، (دون تاريخ، ط)، النشر في القراءات العشر، دار الفكر.
٥١. مُحمَّد بن مُحمَّد بن الجزري، (١٩٨٢م، ط٢) غاية النهاية في طبقات القراء، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان.
٥٢. محمَّد بن مكرم بن منظور، (١٩٩٤م، ط١)، لسان العرب، باب الهمة، فصل القاف، دار صادر، بيروت.

٥٣. محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (دون تاريخ، ط) القاموس المحيط، باب الهزمة ، فصل القاف، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.
٥٤. محمد بن يوسف ابن جزى الكلبي، (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، التسهيل لعلوم التسهيل، تحقيق: رضا فرح الهمامي، المكتبة العصرية التّمودجّية، صيدا، بيروت، لبنان.
٥٥. محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي، (١٤٢٠هـ، دون، تاريخ، ط)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد، الناشر: دار الفكر، بيروت.
٥٦. محمد عمر سالم، (١٤٣٦هـ-٢٠١٥، ط١)، القراءات وأثرها في التفسير، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الشريعة الإسلامية، جامعة أم القرى، دار الميراث النبوي، السعودية.
٥٧. محمد مفلح القضاة وآخرون، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط٦) مقدّمات في علم القراءات، دار عمّان.
٥٨. محمود ابن عمر الزمخشري، (دون، تاريخ، ط)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل.
٥٩. محمود بن عمر الزمخشري، (١٩٩٩م، ط١)، أساس البلاغة، دار صادر بيروت.
٦٠. مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الوهبيّة، و(١٣٠٦هـ، ط١)، دار صادر، بيروت. لبنان.
٦١. مسعود أبي الحسين الفراء الإمام البغوي، (دون، تاريخ، ط)، معالم التنزيل، تحقيق: خالد عبد الرحمن وآخرون، دار المعرفة.
٦٢. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (دون، تاريخ، ط)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت لبنان.
٦٣. المسئول، عبد العلي المسئول، (٢٠٠٧، ط١)، معجم علم القراءات، دار السلام، القاهرة.
٦٤. مكي بن أبي طالب القيسي، (١٤٢٢هـ، ط٤)، الكشاف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة.
٦٥. نصر بن علي الشيرازي ابن أبي مريم، (١٤٠٦هـ، ط١)، الموضح في علوم القراءات وعللها، تحقيق: عمر الكبيسي، مكتبة التوعية الإسلامية الجيزة.
٦٦. ياقوت بن عبد الله الحموي، (١٩٩٣م، ط١)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان.



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة-علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ٥٨٩٤-٢٦١١٧-ISSN

جودة الحياة من منظور القرآن الكريم

د/ يحيى مقبل صالح الصباحي
استاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك
بجامعة إقليم سبأ

Yahyam1977@gmail.com

جودة الحياة من منظور القرآن الكريم

ملخص البحث:

يتناول البحث موضوع جودة الحياة من منظور القرآن الكريم، ويناقش اشكالية المعنى لجودة الحياة وكيفية الحصول عليها مع مراعاة الجوانب المختلفة للحياة، وتحقيق أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة، وبما يعود على الفرد والمجتمع بالاستقرار والطمأنينة والإنجاز الحضاري، مع مراعاة الانسجام الكوني وفق السنن التي قدرها الله وقضاها، ليحقق التنمية المقصودة من الاستخلاف. ويهدف البحث إلى بيان كيفية تحقيق جودة الحياة من خلال الأبعاد الشخصية، وسلك الباحث منهج الاستنباط والتحليل، وخلص البحث إلى أن جودة الحياة تعني قدرة الإنسان على التعايش مع نفسه ومجتمعه بما يمنحه القدرة على أداء دوره في بناء الحياة، وأن جودة الحياة لا تتحقق إلا من خلال الاهتمام بالبعد الروحي والمادي للشخصية، بينما تمثل سمات جودة الحياة الضابط والرابط لها، وأوصى البحث القائمين على التوعية الدينية بالوسطية والاعتدال بما يحقق جودة الحياة وينهض بتنمية المجتمع وكذا الاهتمام بوسائل الإعلام وتهديف برامجها لمعالجة قضايا المجتمع وفق هدى الإسلام وشرعه، ونظمه المتكاملة في بناء الحياة البشرية.

الكلمات المفتاحية: جودة- الحياة - منظور - أبعاد .

Abstract:

The research deals with the issue of quality of life from the perspective of the Holy Qur'an. It discusses the problematic meaning of the quality of life and how to obtain it, taking into account the different aspects of life, achieving the dimensions of personality and its relationship to the quality of life, and in a manner that benefits the individual and society with stability, tranquility and civilized achievement in parallel with cosmic harmony according to the laws that God has determined to achieve prosperity desired from his existence. The research also aims at showing how to achieve the quality of life through personal dimensions. The research uses the method of deduction and analysis to achieve its objectives.

The research concludes that the quality of life means the ability of a person to coexist with himself and his community, which gives him the ability to perform his role in building Life, and that the quality of life is only achieved through concern for the spiritual and material dimension of the personality. The research recommends those in charge of religious awareness of moderation in a way that achieves the quality of life and advances the development of society as well as giving importance to the media and targeting its programs to address community issues in accordance with the guidance and law of Islam, and its integrated systems in building human life.

key words: Quality - life - perspective - dimensions - features

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى أتباعه وصحبه أجمعين
وبعد:

أصبح مصطلح جودة الحياة في السنوات الأخيرة مجالاً واسعاً لكثير من الدراسات والبحوث، التي تناولت التنمية وجودة الحياة، ومع اختلاف تناول الموضوع بناء على اختلاف الأسس والمنطلقات التي ينطلق منها الباحث، وعلاقة ما يريده بالأشياء من حوله إلا أن المؤدى في النهاية هو تقويم الشخص لرد فعله للحياة من حوله، وكيفية التعامل مع المؤثرات الداخلية والخارجية، ومدى إشباع وتحقيق الاحتياجات المتنوعة، لذا فإن البحث المقدم يتحدث بشكل مختصر عن جودة الحياة من منظور القرآن الكريم، ويناقش اشكالية المعنى لجودة الحياة وكيفية الحصول عليها مع مراعاة الجوانب المختلفة للحياة، وتحقيق أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة، وبما يعود على الفرد والمجتمع بالاستقرار والطمأنينة والانجاز الحضاري، مع مراعاة الانسجام الكوني وفق السنن التي قدرها الله وقضاها، ليحقق التنمية المقصودة من الاستخلاف .

مشكلة البحث:

حياة الإنسان ومترقاتها كثيرة ومتنوعة يستهدف من خلالها راحة البال وسكون النفس، ولذا نجد الإنسان يلهث وراء جودة الحياة ليأخذ حظه منها، فمنهم يبحث عنها في المال وآخر بالشهرة والبعض من خلال الجاه والمنصب، ومع ذلك قد يحصل الإنسان على ما ذكر فيزداد كآبة وتعاسة، وتكثر مشاكله ويغوص في همومه، فلم توصله الأشياء إلى ما يصبو إليه، بل يلهث وراءها كالسراب فلا يلحق ولا يجد شيئاً، لذا تحاول الدراسة المقدمة الإجابة على الأسئلة الآتية:

- ١- ما هو مفهوم جودة الحياة في القرآن الكريم؟
- ٢- ما علاقة أبعاد الشخصية بجودة الحياة ؟
- ٣- كيف تضبط أبعاد الشخصية من خلال السمات المتعلقة بجودة الحياة ؟

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من علاقة الإنسان بالحياة من حوله وعلاقته بذاته، ف جودة الحياة متعلقة بالذات الإنسانية وعلاقات الإنسان بغيره، فبقدر استيعاب الإنسان لكيفية تحقيقها والسعي لمعرفة متطلباتها تنضبط تصرفاته وعلاقاته ويحقق جودة حياته .

أهداف البحث: يهدف البحث إلى :

١- بيان ماهية جودة الحياة من منظور القرآن الكريم، وارتباطها باستقرار الإنسان، وتحقيق معاني الاستحلاف في الأرض.

٢- الوصول إلى كيفية تحقيق جودة الحياة من منظور القرآن الكريم، من خلال بيان أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة .

منهجية البحث: يقوم البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي، من خلال استقراء الآيات التي تحدثت عن علاقة الإنسان بالحياة من حوله والأشياء الموجودة فيها، ثم من خلال استنباط أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة وسماتها، وربطها باستقرار الإنسان في الحياة وتحقيق مقاصدها وغايتها .

الدراسات السابقة:

كثيرة هي المقالات وكذا المؤتمرات التي تناولت جودة الحياة من زوايا متعددة، اجتماعية واقتصادية، ومن منظورات مختلفة، لكن ما يهمننا الأبحاث التي تناولته من منظر إسلامي، ولعل أبرزها: جودة الحياة ومؤشراتها من المنظور الإسلامي المقدم في الملتقى الدولي السادس "نموذج التنمية الجديد وجودة الحياة" جامعة طاهري مُجد بشار.

وفي هذا البحث ركز الباحث على جودة الحياة معناها ومقوماتها من منظور إسلامي ثم قارن بما هو موجود في الغرب . والبحث المقدم يركز على المنظور القرآني لجودة الحياة من خلال أبعاد الشخصية وسماتها، معتمدا على المنظور القرآني.

هيكلية البحث: سيتناول البحث الموضوع في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم جودة الحياة (المعنى والدلالة) .

المبحث الثاني: أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة .

المبحث الثالث: سمات أبعاد جودة الحياة في القرآن الكريم .

والله من وراء القصد،،

المبحث الأول

مفهوم جودة الحياة (المعنى والدلالة)

تعدد تعاريف جودة الحياة وتنوع بحسب الخلفية العقدية والفكرية للباحث وتناوله حسب السياقات المختلفة، وكذا النظر في مآلات المفهوم وأبعاده، ولتحديد المعنى الدال عليه اللفظ لا بد من الرجوع إلى معاجم اللغة.

الجودة لغة: شَيْءٌ (جَيِّدٌ) وَالْجَمْعُ (جَيَادٌ) وَ(جَيَائِدٌ) بِالْهَمْزَةِ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ. وَجَادَ الشَّيْءُ يَجُودُ (جَوْدَةً) يَفْتَحُ الْجِيمَ وَضَمَّهَا أَيْ صَارَ جَيِّدًا، وَشَاعَرَ (مَجُودًا) بِالْكَسْرِ أَيْ يُجِيدُ كَثِيرًا. وَأَجَادَ النَّقْدَ أَعْطَاهُ (جَيَادًا) وَ(اسْتَجَادَهُ) عَدَّهُ جَيِّدًا^(١).

والجودة: بفتح الجيم وضمها مصدر: جاد يجود، صفة الجيد وطبيعته، إتقان الصناعة^(٢).
جَادَ يَجُودُ جَوْدَةً: جَادَ الْعَامِلُ فِي عَمَلِهِ. أَتَى بِالْجَيِّدِ^(٣).

وجاد الشيءُ يَجُودُ جَوْدَةً بِالضَّمِّ وَجَوْدَةً بِالْفَتْحِ : صَارَ جَيِّدًا وَقَدْ جَادَ جَوْدَةً وَأَجَادَ : أَتَى بِالْجَيِّدِ مِنَ الْقَوْلِ أَوْ الْفِعْلِ^(٤).

خلاصة المعاني اللغوية للجودة تتمثل في الآتي:

- ١- جودة الشيء: صار جيدا .
- ٢- أتى بالجيد من القول أو الفعل.
- ٣- ضد الرديء.

الجودة في القرآن الكريم:

لم يأت هذا اللفظ صراحة بمدلولاته السابقة في آيات القرآن الكريم، لكن جاءت ألفاظ أخرى تدل على المعاني السابقة منها:

- ١- الرازي، مُجَدِّدٌ بِن أَبِي بَكْرٍ: مختار الصحاح، باب الجيم ١/٦٤.
- ٢- مُجَدِّدٌ رَوَّاسَ قَلْعِهِ جِي/حَامِدٌ صَادِقٌ قَنِيْبِي، معجم لغة الفقهاء- صدر: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م ص
- ٣- مُجَدِّدٌ الْحَيْدَرِي، الأفعال المتداولة- صدر: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١/١١٧.
- ٤- الزبيدي، مُجَدِّدٌ بِن مُجَدِّدٌ بِن عَبْدِ الرَّزَاقِ الْحُسَيْنِي، أبو الفيض، الملقب بمرتضى : تاج العروس من جواهر القاموس ،

١- الحَيَاد: فقد جاء في الكتاب الحكيم : ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِرَاتُ الْجِيَادُ﴾^(١) سورة ص، آية : ٣١. والحيَاد في الآية بمعنى الجيدة في الجري، والسريعة في الانقياد، وكثيرة العطاء والرئعة في الجمال^(١) .

٢- الإحسان : وردت مشتقاته في القرآن الكريم^(٢)، تارة بصيغة المصدر، وتارة بصيغ الفاعل، ولم ترد بصيغة الأمر إلا مرة واحدة مخاطباً فيها الجماعة ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) سورة البقرة، آية : ١٩٥ .

والإحسان في اللغة^(٣) : هو فعل ما هو حسن، وأحسن الشيء أجاد صنعه، ومنه قوله تعالى : ﴿وَصَوِّرْهُ فَأَحْسِن صُورَهُ﴾^(٤) سورة التغابن، آية : ٣.

ويأتي الإحسان على وجهين : " أحدهما: الإنعام على الغير، والثاني: إحسان في فعله، وذلك إذا علم علماً حسناً أو عمل عملاً حسناً " ^(٤) ، دل عليه قوله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ، وَلْيُحَدِّثْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِخْ ذَيْبِحَتَهُ) ^(٥) . فقوله ﷺ : " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ " أي في كل شيء، ولم يقل: إلى كل شيء، بل قال: على كل شيء، يعني أن الإحسان ليس خاصاً بشيء معين من الحياة، بل هو في جميع الحياة. ^(٦)

١- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ٨ : ١٦١، ١٦٢.

٢- ورد لفظ "الإحسان ومشتقاته"، في القرآن الكريم في (١٥٣) موضعاً وله معاني متنوعة بحسب سياق اللفظ. ينظر: لمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - مُجَدُّ فُؤَادِ عَبْدِ الْبَاقِي.

٣- ينظر: ابن منظور، مُجَدُّ بَنِ مَكْرَمٍ: لِسَانِ الْعَرَبِ، ٣/١٧٩. و ينظر: ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٥٧ .

٤- الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُجَدُّ، المفردات في غريب القرآن ص ٢٣٦.

٥- مسلم (٣/ ١٢٣١) رقم (١٩٥٥) كتاب الصيد، وأبو داود (٣/ ٢٤٤) رقم (٢٨١٥)، كتاب الأضاحي، والترمذي (٤/ ١٦) رقم (١٤٠٩) كتاب الديات، والنسائي (٣/ ٦٢) برقم (٤٤٩٤) كتاب الضحايا، وابن ماجه (٣/ ٣٥٦) رقم (٣١٧٠) كتاب الذبائح..

٦- مُجَدُّ بَنِ صَالِحِ بْنِ عَثِيمِ بْنِ رَحْمَةِ اللَّهِ شَرَحَ عَلَى الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ .

والإحسان أعلى مراتب الدين، والمقام الرفيع في العبادة كما فسره النبي ﷺ بذلك عندما سأله جبريل عليه السلام ما الإحسان؟ فقال ﷺ: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) ^(١) من خلال ما سبق فإن دلالة معاني الإحسان تدل على الإتيان وتجعل الجودة مظهراً من مظاهره، ونتيجة من نتائجه، وقد بين الله - سبحانه وتعالى - أنه لن يضيع أجر من أتقن العمل وأجاده ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ سورة الكهف آية: ٣٠ .

٣- الإتيان: في اللغة من أتقن الشيء أحكمه وإتقانه إحكامه، فالإتيان الإحكام للأشياء ^(٢) . وجاء في محكم التنزيل: ﴿ كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْتُهُ وَتُرْفُصِلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾ سورة هود: ١ . فالإتيان أحد مظاهر ومؤشرات الحكمة في العمل، والحكيم هو المتقن للأمور، وفي قوله تعالى : ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ^(٣) سورة النمل: ٨٨ . بيان واضح لإتيان الله لكل شيء في هذه الدنيا، وهي دعوة للإتيان والإحسان وتجويد العمل .

ومن السنة يقول عليه الصلاة والسلام: (إن الله يحب أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه) ^(٣) .

ومن المؤشرات الدالة على أن الإتيان أداء الشيء بمهارة ما جاء في قوله ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفارة الكرام البررة، والذي يقرؤه ويتتبع فيه، وهو عليه شاق له أجران) ^(٤) .

١ - البخاري (٢٧ / ١) رقم ٥٠، كتاب الإيمان، ومسلم (٤٧ / ١) رقم ٩ كتاب الإيمان، وأبو داود (٥٩ / ٥) رقم ٤٦٩٥ ..

٢ - ابن منظور ، المصدر السابق ، ٣ / ٧٣ .

٣ - الطبراني في (الأوسط) (٨٩١) ، وأبو يعلى (٤٣٨٦) ، والبيهقي في (شعب الإيمان) (٤ / ٣٣٤) .

٤ - مسلم ، الصحيح ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتبع فيه ، رقم الحديث (٧٩٨) .

مفهوم الحياة:

الحياة لغة : " حي حياة وحي يحيا ويحي فهو حي ...والجمع أحياء والحي : كل متكلم ناطق"^(١)، فالمعنى اللغوي للحياة يفيد الحركة إذا أن الميـت جامد هامد، ولا تقتصر الحركة على المشي أو القيام والعود بل دلالتها أعمق، ومدلولها أوسع، فهي تشمل الفعل وثمرته، وبهذا يكون للحياة معنى وقيمة.

الحياة في الاصطلاح: تختلف من وجهة نظر شخص إلى آخر بحسب الخلفية الفكرية والثقافية وكذا الأبعاد العقدية، والحياة الاجتماعية، ولكن يمكن أن نقسم المعنى إلى قسمين الأول: حسي، والآخر: معنوي.

فالحسي: هي الحركة العقلية أو الجسدية، ويقال على الإنسان أنه حي إذا كانت أعضائه غير متوقفة وأهمها العقل والقلب، ويمكن أن تطلق على فترة زمنية للفرد والجماعة: الفردية : هي المرحلة العمرية التي يقضيها الإنسان منذ ولادته إلى وفاته. أما الجماعة: الجيل من الناس في فترة زمنية معينة وما يصاحبه من مستلزمات حياتهم. تنتهي الحياة بانتهاء معالم هذا الجيل .

والمعنوي : هي القيم والأفكار التي توجه حياة الإنسان وتثمر تنمية وبناء .
فمفهوم الحياة يتعدد لتعدد المعاني التي تشير إليها وتدلل عليها، والمقاصد التي تحققها، فتطلق على جزئيات المجالات المتعلقة بالإنسان (اجتماعية و سياسية و ثقافية و دينية)^(٢).
وعلى هذا فنقصد بالحياة هنا : الفترة الزمنية التي يقضيها الفرد منذ ولادته إلى وفاته، وما يتعلق بها من أشياء حسية ومعنوية، تسهم في عيشه وتنمية المجتمع من حوله.
مفهوم جودة الحياة : يتعدد مفهوم جودة الحياة ويتنوع حسب السياقات التي يُستخدم

١ - لسان العرب لابن منظور، مادة(حيا) ١٤ / ٢١٢ .

٢ - بتصرف من : جوناثان كلر، أقتعة بارت، ص٢٠، ترجمة السيد إمام، لوك فيري، الإنسان المؤله- أو معنى الحياة، ص١٣، ترجمة مجّد هشام، لوك فيري، أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، ص١٥، بتصرف، ترجمة محمود بن جماعة.

فيها المصطلح، وكذا الخلفية الفكرية والعقدية لمن يطلقه، فمنهم من اعتمد على ايضاح مفهوم جودة الحياة في ضوء بعدين: البعد الذاتي أو المعنوي والبعد الموضوعي أو المادي. إلا أن غالبية الباحثين ركزوا على المؤشرات الخاصة بالبعد الموضوعي (المادي) لجودة الحياة. ويتضمن البعد الموضوعي لجودة الحياة مجموعة من المؤشرات القابلة للملاحظة والقياس المباشرة مثل: أوضاع العمل، مستوى الدخل، المكانة الاجتماعية الاقتصادية، وحجم المساندة المتاحة من شبكة العلاقات الاجتماعية^(١).

لكن مع ذلك فالتركيز على الجانب المادي أو الموضوعي لا يبين المفهوم كلياً خصوصاً في واقع الحياة، وما يترتب على ذلك من تعاسة وراحة، لذا فالارتباط بين الأبعاد والمكونات الذاتية والموضوعية ينتج حياة متكاملة فلا راحة بدون تقدير الذات ولا أهمية لمال بدون رضا وهكذا.

ويؤكد هذا المعنى كل من تيلور وبوجدان (١٩٩٦) Taylor & Bogdan، (١٩٩٧). إذ يقول تيلور وبوجدان أن "جودة الحياة موضوع للخبرة الذاتية Quality of life is a matter of subjective experience، إذ لا يكون لهذا المفهوم وجود أو معنى إلا من خلال إدراكات الفرد ومشاعره وتقييماته لخبراته الحياتية"^(٢)، "بينما يشير فريكي (١٩٩٧) إلى أن "وجود المعايير والقيم الخارجية لا يكون لها معنى إلا في سياق ما تمثله من أهمية وقيمة بالنسبة للفرد نفسه، بمعنى آخر أن المؤشرات الخارجية لجودة الحياة لا قيمة ولا أهمية لها في ذاتها،

١ - أحمد عكاشة (٢٠٠٧). جودة الحياة والنسيج الاجتماعي. ورقة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر السنوي الخامس للمركز المصري للعلوم الطبية بالاشتراك مع، جامعة الأزهر وعنوانه: "نحو أعصاب سليمة". المنعقد في الفترة من ٣ إلى ٤ مايو ٢٠٠٧. متاح على الموقع الإلكتروني التالي: <http://arrietty.maktoobblog.com/?post=٣٠٩٣٥٣> آخر زيارة للموقع في تمام الساعة السادسة يوم السبت ٢٠٠٧/٨/١٨.

^٢ - Taylor, S.J. & Bogdan R. ١٩٩٦. Quality of life and the individual's perspective. In Quality of Life: Conceptualization and measurement. Ed. R. Schalock. American Association on Mental Retardation. Washington D.C.

بل تكتسب أهميتها من خلال إدراك الفرد وتقييمه لها^(١) .

وعلى الرغم من عدم الاتفاق على تعريف واحد لمفهوم جودة الحياة، إلا أنه عادة ما يشار إلى تعريف منظمة الصحة العالمية (١٩٩٥) بوصفه أقرب التعريفات إلى توضيح المضمين العامة لهذا المفهوم، فتطلق مفهوم جودة الحياة على أنها : إدراك الفرد لوضعه في الحياة في سياق الثقافة وأنساق القيم التي يعيش فيها ومدى تطابق أو عدم تطابق ذلك مع أهدافه، توقعاته، قيمه، واهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، حالته النفسية، مستوى استقلاله، علاقاته الاجتماعية، اعتقاداته الشخصية، وعلاقته بالبيئة بصفة عامة، وبالتالي فإن جودة الحياة بهذا المعنى تشير إلى تقييمات الفرد الذاتية لظروف حياته^(٢) .

وتعتبر منظمة اليونسكو "UNESCO" جودة الحياة مفهوماً شاملاً يضم كل جوانب الحياة كما يدركها الفرد، وهو مفهوم يتسع ليشمل الإشباع المادي للحاجات الأساسية، والإشباع المعنوي الذي يحقق التوافق النفسي للفرد عبر تحقيقه لذاته، وعلى ذلك فإن جودة الحياة من هذه الرؤية لها ظروف موضوعية ومكونات ذاتية^(٣) .

مما سبق يمكن أن نستخلص أن جودة الحياة هي:

- ١- أسلوب حياة قادر على إشباع الرغبات والاحتياجات لدى الفرد والمجتمع.
- ٢- الاحساس بالكفاءة الذاتية وإتقان التعامل مع التحديات.
- ٣- الرضا عن الذات والسعادة بالحياة الموجودة.
- ٤- القدرة على حل المشكلات المعيشية لغالبية السكان والرقى بمستوى الخدمات المادية والاجتماعية المقدمة لأفراد المجتمع .

^١ - Vreeke, G.J., Janssen, S., Resnick, S., & Stolk J. ١٩٩٧. The quality of life of people with mental retardation: in search of an adequate approach. International Journal of rehabilitation Research. ٢٠ pp٢٨٠-٣٠١..٢٠٠٧

^٢ -WHOQOL Group (١٩٩٥). The World Health Organisation Quality of Life Assessment. Murphy,Murphy,٢٠٠٦ ,٢٩٢.

^٣ - حسام الدين محمود، ٢٠٠٤ : ٥٨١ .

٥ - الاستمتاع بالواقع المادي في البيئة المحيطة والاستمتاع في اشباع الحاجات، وإدراك الغاية من الوجود وإحداث التناغم بين الذاتي والموضوعي.

٦ - قدرة الإنسان على التعايش مع نفسه ومجتمعه بشكل سليم باطمئنان نفسي وشعور وجداني بقيمة الحياة، بمنحه القدرة على أداء دوره كاملاً نحو نفسه وأسرته ومجتمعه بإجادة وإتقان .

مفهوم جودة الحياة في القرآن الكريم:

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نستنبط مفهوم جودة الحياة في القرآن الكريم : بأنه حديث القرآن الكريم وبيانه لوضع الفرد في الحياة وكيف يحقق الحياة المطمئنة، و أهدافه المعنوية والمادية من خلال هدى القرآن الكريم وتعاليمه، والتي توضح تحقيق اهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، وحالته النفسية، واعتقاداته الشخصية، وعلاقته بمن حوله من المخلوقات.

المبحث الثاني

أبعاد الشخصية وعلاقتها بجودة الحياة في القرآن الكريم

جودة الحياة تتضمن مرتكزات وعوامل كثيرة، تتناول شتى الجوانب المرتبطة بالإنسان، ذلك لأنه كائن متعدد العلاقات مع نفسه وبني جنسه والكائنات من حوله، بل حتى الجمادات، ولهذا المعنى يشير القرآن الكريم بالتسخير ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ سورة الإسراء، آية: ٧٠ قال ابن القيم رحمه الله: "خلق الله سبحانه عباده المؤمنين وخلق كل شيء لأجلهم، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ ﴿٢٠﴾ لقمان: ٢٠، (١) ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَتَّعٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿١٣﴾ سورة الجاثية، الآية ١٣. وقال تعالى: ﴿وَعَاتَدْنَا لِكُلِّ مِمَّا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ﴿٣٤﴾ سورة إبراهيم، آية: ٣٤. فالهدف من هذا التسخير هو تحقيق التنمية من خلال الاستخلاف الواعي للحياة والمدرك لأبعاد الوجود البشري وكذا سائر الكائنات من حوله، ولن يتحقق هذا إلا بتحقيق التوازن بين أبعاد الشخصية الإنسانية والتي تتركز على بعدين أساسيين (٢):

١- البعد الروحي : المتمثل في الحياة الروحية والغيبية .

٢- البعد المادي : المتمثل في الجسد وما يستلزمه من شهوات ومتع متنوعه يسعى

الإنسان لتحقيقها.

١- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: طريق المحترمين وباب السعادتين ص ٢٤٠-٢٤١.

٢- Rothmann S, Coetzer EP (٢٤ October ٢٠٠٣). "The big five personality dimensions and job performance". SA Journal of Industrial Psychology. ٢٩٠. . Goldberg LR (January ١٩٩٣). "The structure of phenotypic personality traits". ٢٦-٣٤..

مفهوم البُعد:

البعد لغة: " البُعد، اتساع المدى. ويقولون في الدُّعاء عليه: (بُعداً له) هلاكاً . وقالوا : انه لذو بُعد: ذو رأي عميق وحَزْم . ويقال: (بُعدك) يُحدِّثه شيئاً من خلفه" (١) . و " البُعد خلاف القُرْب . وهو عند القدماء أقصر امتداد بين الشيئين" (٢) .

اصطلاحاً: البُعد " كل ما يكون بين نهايتين غير متلاقيتين، وهو امتداد إما قائم بجسم وهو عَرَض، وأما بنفسه وهو جوهر مجرد، ويسمى بالبعد المفطور، والفراغ المفطور، والخلاء، والأبعاد الثلاثة هي الطول والعرض والعمق وأضاف انشتاين إلى هؤلاء بُعداً رابعاً هو الزمن" (٣) . و " البُعد: الامتداد موهوماً أو موجوداً، لأن في البعد اختلافاً، فانه موهوم أي لا شيء محض عند المتكلمين النافين للمقدار، وموجود عند الحكماء القائلين بوجود المقدار" (٤) .

الشخصية :

لغة: " إن لفظة الشخصية في العربية مشتقة من الفعل شَخَصَ . وجاء في الأساس، ومن المجاز شَخَصَ الشيء أي عَيَّنَه، ويُلوَّح إن المقصود بالشخصية في اللغة هو ما يعيَّن الفرد" (٥) .

اصطلاحاً: الشخصية ترد على وجهين:

الفرد المتفوق أو الذي له سلطان .

أ. فلسفياً: وحدة الذات بما فيها من وجدان وفكرة وأراده وحرية واختيار" (٦)

١- مصطفى ، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط ، ١ / ٦٣ .

٢- صليبا ، جميل: المعجم الفلسفي ، ج ١ ص ٢١٣ .

٣- الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة ، ص ١٦٠ .

٤- عبد الرسول، عبد النبي بن: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء ، ج ١ ص ٢٥٢ .

٥- صالح ، أحمد زكي: علم النفس التربوي ، ص ٤٦

٦- مدكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي ص ١٠١ .

- وقد عرفها (واران Warren H.) بأنها " النظام العقلي الكامل للإنسان عند مرحلة معينة من مراحل نموه، وهي تتضمن كل ناحية من النواحي النفسية، عقلية، مزاجية، مهارته، وأخلاقه، واتجاهاته التي كونها خلال حياته"^(١) وعلى هذا فالشخصية: تتمثل في السلوكيات المتنوعة النابعة عن معتقدات وتصورات داخلية وانفعالات خارجية .

كما تعرف بأنها: "نظام متكامل من مجموع الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والإدراكية التي تُحدد هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تميزا بينا، وكما تبدو للناس أثناء التعامل اليومي الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية"^(٢).

ويمكن تعريف الشخصية في هذا المقال من المنظور الديني بأنها: "كيان مبني على الإيمان بالقيم والمبادئ المستمدة من الكتب السماوية وما سنه رسل الله عليهم السلام وسيرة السلف الصالح، وتقوم على مجموعة من الأبعاد التي تجعلها كيانا إنسانيا قادرا على التفاعل مع البيئة بما يحقق له كل من التوافق مع هذه البيئة وجودة الحياة"^(٣).

وبناء على هذا التعاريف السابقة، فإن الشخصية تقوم على مجموعة من الأبعاد، التي تكون الكيان الإنسان وتعمله يتفاعل مع من حوله حسب ما تأصل هذه الأبعاد وما تملكه من مؤشرات تحققها.

ومع اختلاف وتعدد وجهات نظر علماء نفس الشخصية من حيث عدد الأبعاد أو العوامل التي يمكن على ضوئها وصف الشخصية، إلا أنها في الحقيقية ترتكز على بعدين أساسيين: هما البعد الروحي والبعد المادي . ففي حالات تكامل البعدين يصل الإنسان إلى جودة الحياة.

^١ - الحافظ ، نوري: تكوين الشخصية (ص١٦)

^٢ - مُجد الجوهري، في معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ص٧٨.

^٣ - المصدر السابق ص٨٤.

١- البعد الروحي:

فلروح الإنسانية هي مستودع النفخة الإلهية ووعاء الفطرة السليمة، إذ لا قيمة لجسد الإنسان إلا بها، وبدونها جيفة هامدة، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة الحجر، آية: ٢٦.. وقال عز وجل: ﴿لَسَوْفَ نُنْفِخُ فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ ﴿٩﴾ سورة السجدة، آية: ٩

وغذاء الروح ومنبع السعادة الإيمان، فابه يُحيي الأفراد والمجتمعات بأنوار الهداية الربانية، و يدفع الجسد للسير نحو معالي الأمور دون غلو أو انحراف، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِمَّنْ آمَرْنَا﴾ ﴿٥٢﴾ سورة الشورى الآية: ٥٢. "وهو هذا القرآن، سماه روحا، لأن الروح يحيا به الجسد، والقرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصالح الدنيا والدين، لما فيه الخير الكثير والعلم الغزير" (١).

فلروح بها حياة الإنسان، وأطلق الروح هنا مجازا على الشريعة التي بها اهتداء النفوس إلى ما يعود عليهم بالخير في حياتهم الأولى وحياتهم الثانية، شبهت هداية عقولهم بعد الضلالة بحلول الروح في الجسد فيصير حيا بعد أن كان جثة" (٢).

وإذا كان الإيمان: هو الاعتقاد الجازم، والتصديق الكامل (٣). وأركانه: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقضاء والقدر خيره وشره (٤)، قال الله تعالى: ﴿ءَأَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَّنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا

١- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص٧٦٢.

٢- ينظر: ابن عاشور، مُجَدِّد الطاهر: التحرير والتنوير، ١٥١/٢٧ بتصرف.

٣- ينظر: مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبدالقادر السقاف (تعريف الإيمان لغة) الدرر السنينة- الموسوعة العقدية، وصالح الفوزان، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، ص١٤٦.

٤- كما ورد في إجابته ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام في الحديث الذي أخرجه البخاري برقم (٥٠) عن أبي هريرة ؓ، ومسلم برقم (٨) عن عمر ؓ.

فُفَرِّقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٥﴾ سورة البقرة الآية: ٢٨٥.

فإن الروح وسموها بالإيمان، تُدرك من خلاله أبعاد الوجود وسر الحياة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ سورة النحل، آية: ٩٧.

وليس معنى ذلك إهمال الماديات، بل هي مكون رافد للروح، وعون في السير على الطريق، وإنما المقصود ضبط الماديات بالإيمان ودلالته على طريق الخير والمعروف بعيداً عن الأثرة والجشع والخصال التي تسببها الماديات، وينشأ من خلالها مجتمعاً يقدر جمع الأموال أكثر من تقديس الحياة المطمئنة القائمة على الحب والتعاون والألفة .

فالروحانية لا تعني الانكفاء عن العمل والبناء، أو التزمتم بالمظهر والمنظر، بل تعني سمو الهدف، ونبيل الغاية والتوجه بكل الأعمال إلى الله، وتحقيق مرضاته، بهذا المقصد يتحرر الفرد من نفسه فلا يعيش لرغباته على حساب الآخرين، بل يكتسب سعادته بمنفعة الناس، والسعي في قضاء حوائجهم.

والروحانية تتداخل مع الأعمال الظاهرة، بل هي مظهرها الخارجي، والمعبرة عن ما تحويه من معانٍ وقيم، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن صَّلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣٦﴾ سورة الأنعام آية: ١٦٢.

فالإيمان بالله تعالى، أساس الاستقرار الروحي، من خلاله يتم إدراك حقيقة الوجود الذي خُلق لأجله، فإذا كان إيمان الفرد صادقاً قامت شخصيته بدورها في الحياة، وإن كان غير ذلك تأثرت سلبيًا بالمواقف الضاغطة ولم تصمد أمامها وتدهورت وتفككت، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ سورة الحج: ١١، ويعتبر هذا البعد بمثابة الموجه لسلوك الفرد وتصرفاته . كما تعد جودة الحياة الروحية والنفسية مفهوماً

ديناميكيا يتضمن الكثير من المكونات النفسية الإيجابية، وترتبط بمحاولة رصد : كيف يدرك أو يقدر الأفراد مختلف جوانب حياتهم النفسية؟ على سبيل المثال، إلى أي مدى يشعر الأفراد بقدرتهم على السيطرة على جوانب حياتهم الشخصية؟ إلى أي مدى يشعر الأفراد بأن حياتهم الشخصية معنى وقيمة؟ إلى أي مدى يشعر الأفراد بامتلاكهم لعلاقات اجتماعية إيجابية متبادلة مع الآخرين؟^(١) .

حيث يعبر الوجود الروحي عن المعنى والأهداف والأحداث التي ترتبط بحياة الفرد وتفسيره لها بصورة موضوعية، وحل الصراعات، بما يحقق له الرضا عن الحياة والسعادة مع الله ومع الآخرين^(٢)، كما يسهم الوجود الروحي في تحقيق الوجود النفسي الأفضل والرضا عن الحياة.

وقد فسر كلٌّ من (Hong & Giannakopoulos, ١٩٩٣:٥٥٥) تأثير التدين

على رضا الفرد عن الحياة في الآتي:

١. تمثل العقيدة إطاراً مرجعياً يجعل حياة الفرد ذات معنى، وتعتبر عن نظرة تفاعلية، مما يزيد رضا الفرد عن حياته .
٢. يساعد التدين على التخفيف من أثر الضغوط النفسية، وأحداث الحياة السالبة، مما يزيد ورضا الفرد عن حياته.
٣. يساعد التدين على التكامل الاجتماعي، مما يحقق الإحساس بالانتماء، ورضا الفرد عن حياته^(٣) .

المسلمون بل وغيرهم اليوم بحاجة إلى الروحانية بتحقيق أركان الإيمان في النفوس والعقول، وإلا فإن الحال سيزداد سوء يوماً بعد يوم، خاصة وأن العالم المادي أصبح يرى إلى ما قدمته الحضارة الصناعية والتكنولوجيا وما وصلت إليه قد بلغ مرتبة الكمال في تحقيق

^١ - Diener et, ١٩٩٩:٢٨٠, ٢٨٢.

^٢ - Ford, (١٩٩٤)؛ fulton(١٩٩٢)؛ richarson(٢٠٠٥)، وقد توصلت دراسة كل من(٢٢- ٢١: ١٩٩٤).

^٣ - نعيمة جمال، وعماد الدين، ٢٠٠٩ : ٥ .

السعادة البشرية، وهي في الحقيقة أسعدت الجسد وأهملت الروح، وهيجت الشهوات، ودمرت القيم والسلوك، فأوجدت إنساناً متناقضاً حائراً قلقاً، غائب الهدف تائه الوجود، أورثته جدالات فكرية، وصراعات عقيمة، وتخبط لا يعرف الهدوء والراحة، صنع له من العالم الافتراضي أهلاً ووطناً على حساب عالمه الحقيقي.

فالاهتمام بالجانب الروحي ودرجة التدبير والارتباط بالله سبحانه وتعالى، توصل إلى نتيجة مفادها: أن الإيمان طريق السعادة وسر الاستفادة من الحضارة الموجودة، وضابط الإنسان في طريق سيره في هذه الحياة .

ولذا جاء القرآن الكريم بغرس هذه المعاني، وبنى الروح بعقيدة قوامها الإيمان بالله، والتحقق بمعرفته، معرفة حقيقية لا يأتيها الشك، تسمو بالمرء، وتجعله فرداً صالحاً في المجتمع الإنساني، وتنقذه من الأزمات النفسانية التي تحتاحه جراء الانفصام الذي يعيشه بين الروحانية والمادية .

تأصل هذا البعد في النفس ينتج أبعادا تفصيلية أهمها :

١- إثبات الذات: شعور الفرد بأنه مخير في تصرفاته، قادر على النمو من خلالها، يشعره بثقة النفس والقوة والجدارة في القيام بما هو مطلوب منه، وكذا تقبله للآخرين، فهو يحس بأنه فرد له دوره في الحياة وينشأ من خلال " إحساسه للواقع الملموس وفي اكتشاف نفسه، واتحاده بغيره، مع احتفاظه بخصائص شخصية في آن واحد، وهي حالة تنجم عن ارتباط المرء بالعالم ارتباطاً منتجاً" (١).

ومن إثبات ذاته خروج الإنسان من عبادة الهوى والشهوات والانغماس فيها، إلى تقدير نفسه بالسعي نحو الحياة الحقيقية في الدنيا والآخرة، فالقرآن الكريم يؤكد على أن الحياة

^١ - ينظر: فروم، ١٩٦٠، ص ١٥١.

القائمة على الإيمان أساس تكريم الإنسان، والعكس يورده المهالك، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾ سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

ويمكن تعريف الذات: بأنها نظام معقد تتضمن أربعة مستويات وهي الجزئية، والعصبية، والنفسية والاجتماعية، وبما أن الذات هي سلوك الفرد، فهي تعتمد على العوامل الفطرية المكتسبة، وارتباطها بعالم الروح والمعتقدات والتصورات بالإضافة إلى توقعات الآخرين، لذلك على الفرد أن يفهم نفسه ويعرف عنها آخذاً بعين الاعتبار المستوى الاجتماعي، وليس فقط المستويات العصبية والنفسية، لذا لها دور كبير في تحفيز وتنظيم سلوكه، وهي مجموعة من المعلومات المتنوعة التي تصف الفرد، وتتكون من جزأين، أحدهما يخص الفرد نفسه، في حين يتعلق الجزء الآخر بالمجتمع أو ما يعرفه الأفراد عن الشخص نفسه^(١).

فإنثبات الذات قائم على أن الإنسان هو المستخلف في الأرض قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٦٥﴾ سورة الأنعام: ١٦٥. والمكرم على سائر المخلوقات قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ سورة الإسراء: ٧٠. وشمول التكرم الإنساني لكل مناحي الحياة، والتسخير والتفضيل في القرآن الكريم يعني أن لديه ميزات ذاتية وموضوعية يتميز بها عن غيره من المخلوقات، وهذا الميزات التي تفضل الإنسان عن بقية الموجودات امتلاكه قدرة عقلية يقتدر بها على تغيير ذاته وما حوله، والسعي نحو الرقي والارتقاء نحو الأفضل، وما يجلب السعادة والرضا.

^١-Paul Thagard Ph.D. (٢٠١٤-٦-٢٣), "What Is the Self", www.psychologytoday.com, Retrieved ٢٠١٨-٣-٢٢. Edited. , WHAT IS SELF, Page ٧٧-٧٨. Edited

فمن إثبات الذات قدرة الإنسان على التفاعل مع الحياة من حوله سلبا وإيجابا، وهي الميزة التي لا تمتلكها المخلوقات الأخرى^(١)، ولذلك فَرَعَ القرآن الكريم على التكريم جملتين تتعلقان بالتغيير، حيث قال: ﴿ءَادَرَ وَحَمَلْنَاَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾، والدلالة في ذلك: أن قدرة الإنسان على التفاعل والسعي نحو الأفضل هو اختراع وسائل النقل التي تُقَطَّعُ بها القارات ويُتجاوز بها الفضاء.

ومن ناحية أخرى: لأن الإنسان يمتلك القدرة على التغيير، لذلك رزقه الله من الطيبات، أي: استطاع الإنسان بما سخره الله له واستعمال عقله أن يغيّر الأرض من أرض قاحلة إلى أرض منتجة مثمرة توفر له الغذاء اليومي والكساء والدواء، فمن خلال التسخير للإنسان أثبت ذاته وانتفع بما خلقه الله فيعيش مكرما ملهما . فإذا تنكب صراط الله ضاع وعاد إلى أسفل سافلين ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ سورة التين: ٥.

وعلى هذا فجودة الحياة من خلال هذا البعد تتمثل في إثبات ذاته وقدرته على أداء مهمته في الحياة، وهذا له بعده النفسي والاجتماعي، فتحقيق الذات مهم بالنسبة للاستقرار النفسي، وظهور دوره في قضايا الحياة المتعددة له بعده الاجتماعي.

٢- الأمل وعدم اليأس : من الأبعاد التفصيلية للبعد الروحي ونتائجه الأمل بالمستقبل، وتغيير الأحوال إلى أحسن حال، وأهمية هذا لجودة الحياة يتمثل في الاستقرار النفسي، فمما يكدر حياة الإنسان ويقلبها رأسا على عقب هو ما يمر به من عوائق، وظروف تنغص الحياة وتكدرها، ولتحقيق جودة الحياة على الإنسان أن يدرك أولا أن الحياة دار للابتلاء والاختبار، وأنها مكان للانتقال لا الاستقرار، ثم عليه ثانياً أن يثق أن بقاء الحال من المحال، والأيام دول، وعليه السعي لتغيير واقعه إلى واقع أحسن وأفضل وفق السنن الكونية .

^١ - ينظر: دينا موفق زيد، مفهوم الذات وعلاته بالتكيف الاجتماعي، صفحة ٢٤. بتصرف.

الأمل من أهم العوامل الواقية من آثار الضغوط النفسية، والمعين في مواجهة عقبات الحياة وصعوباتها، ويمنح المرء الشعور بالثقة، ويحفزه إلى بذل الجهد لتحقيق الأهداف، والوصول إلى النجاح الذي يمثل جودة الحياة، والشعور بالنصر الذاتي المورث للرضا.

كما أن الأمل أحد العوامل الأساسية الواقية من الاكتئاب كما أثبتت ذلك الدراسات^(١)، فالأكثر شعورا بالأمل أقل شعورا بالاكتئاب، فهو يعطي الفرد دافعا إيجابيا نحو توقعاته وأهدافه المستقبلية، وكذا يمنح حافزا للنجاح في مواجهة الصعوبات، وفقدان الأمل يؤدي إلى اليأس والإحباط. لذا يزرع القرآن الكريم الأمل في النفوس، بحصول اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة يقول الله تبارك وتعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ ﴿٧﴾ سورة الطلاق: ٧، وهذه الصيغة تفيد الاستمرار، أي: أنه في كل عسر سيجعل الله تعالى للعبد منه يسرا.

وفي موضع آخر يؤكد الله تعالى جريان هذه السنة بمؤكدات عدة. وفائدة هذا التأكيد تحقيق اطراد هذا الوعد وتعميمه، وأنه سنة ماضية لله تعالى في عبادته: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٦﴾ سورة الشرح: ٥-٦.. وفي مقام آخر قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مِنْ نَشَاءٍ﴾ ﴿١١٠﴾ سورة يوسف: ١١٠، وهذه الآية العظيمة جاءت في ختام سورة يوسف عليه السلام، ويوسف قد ابتلي بعسر شديد، ومحن متتابعة.

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: وَمِنْ لَطَائِفِ أَسْرَارِ اقْتِرَانِ الْفَرْجِ بِالْكَرْبِ وَالْيُسْرِ بِالْعُسْرِ: أَنَّ الْكَرْبَ إِذَا اشْتَدَّ وَعَظُمَ وَتَنَاهَى، وَحَصَلَ لِلْعَبْدِ الْإِيَّاسُ مِنْ كَشْفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمُخْلُوقِينَ، وَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِاللَّهِ وَحَدَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ

^١ - ينظر : قاسم ،عبد المرید عبد الجابر (٢٠١٢م) الأمل في مرحلة الشيخوخة وعلاقتها بالاكتئاب لدى المسنين والمسنات، مجلة الإرشاد النفسي ٣٣ ،١٤-٤٣.

الأسباب التي تُطلب بها الحوائج، فإنَّ الله يَكْفِي مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ﴿٣﴾ سورة الطلاق: ٣.

وعلى هذا فواقب اليأس وخيمه وأخطاره عقيمة، تتولد عندما يُفقد المرء الأمل والطموح، فالإنسان اليأس فريسة سهلة للأمراض المعنوية كالقلق والأرق والخوف، بينما بقاء الأمل وعدم اليأس، يجعل الإنسان يستأنف حياته أمام المصائب التي تواجهه، والمعوقات التي تعترضه، فتجود حياته وتستقر نفسه ويهدأ باله .

فالذي يوقن أن الكون يسيره الله الأحد الفرد الصمد، بيده الأمر والنهي والعطاء والمنع، والحياة والموت، يدرك أن ما أصابه لم يكن ليخطأه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه^(١)، مؤمناً بقدر الله وقضائه مستقيماً متبعاً لرسله، مدركاً بأن الدنيا ليست نهاية المطاف، بل بداية لرحلة طويلة تنتهي به إما إلى الجنة أو النار . هذا الإدراك يُشعر الإنسان في كل أحواله بالرضا فيُورث التسليم لقدر الله وقضائه، فيحيا الحياة الكريمة باذلاً أسباب السعادة، دافعاً قدر الشر بقدر الخير.

١- كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كُنْتُ خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا غُلَامُ! إِنِّي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ يَجِدْهُ مُجَاهِدًا، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعْنِي بِاللَّهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوا بَشِيئًا لَمْ يَنْفَعُوا بَشِيئًا، لَمْ يَنْفَعُوا إِلَّا بِشِيئٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بَشِيئًا لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشِيئٍ، قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ؛ زُفَعَتِ الْأَقْلَامُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ . رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ رَقْمَ: ٢٥١٦ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةٍ غَيْرِ التِّرْمِذِيِّ: احْفَظْ اللَّهَ يَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَةِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا . أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ كِتَابَ: الْقَدْرِ، بَاب: حِجَابِ آدَمَ وَمُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، (٢٦٥٣)

ورغم تجاهل علماء النفس لسنوات طويلة لتناول المشاعر الإيجابية الشخصية، بل ظلت الانفعالات السلبية مثل: القلق، الاكتئاب، الضغوط النفسية، والتشاؤم الأكثر تناولاً واهتماماً في بحوثهم ودراساتهم^(١).

نجد القرآن الكريم يركز على تحقيق الرضا، والاطمئنان النفسي بأسلوب عاطفي وعقلاني قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٢) سورة الحديد الآية ٢٢. فالأمل يورث السعادة النفسية التي تعد من أكثر الدراسات التي رسخت لمفهوم الاستقرار والاطمئنان والرضا، وبدورها تُنمي في الفرد الاستقلال الذاتي، والتطور الشخصي، والعلاقات الإيجابية مع الآخرين وتدفعه نحو الحياة الهادفة.

فرغم التقدم المادي الذي وصل إليه العالم اليوم إلا أنه لم يؤت ثمرته النفسية، أراح الجسد وأتعب الروح، فكثرت الانتحار، ونفشت الجرائم بكل صورها وأشكالها^(٢)، و جلب التعاسة والحراب الناتجين عن الحروب المتلاحقة^٣ وزد على ذلك العنف، والإرهاب، والتطرف.. كل هذا يدل على إفلاس الحضارة المادية الخالية من القيم الروحية في تحقيق جودة الحياة.

٣- النمو الفكري السليم للفرد: من الابعاد التفصيلية للبعد الروحي الاستقرار الفكري إذ إن الإيمان الحق ينشئ حياة طبيعية متينة، قائمة على الذات الصادقة الصحيحة. وأجبالاً متوافقة مع ذاتها والمجتمع من حولها، قادرة على التعامل مع ما يحيطها بالشكل الأمثل .

١- ينظر: الموسوعة الاجتماعية والنفسية، مواضيع نفسية واجتماعية، علم النفس الإيجابي، كتاب موسوعة مقاتل من الصحراء. وجلييلة عبدالمنعم مرسى، "جودة الحياة والذكاء الخلقى لدى عينة من طلاب كلية التربية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٧٢، القاهرة، ٢٠١١. حسن عبدالفتاح، "فعالية استخدام استراتيجيات علم النفس الإيجابي في التخفيف من قلق المستقبل"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٥٨، القاهرة، ٢٠٠٨.

٢- ينظر: موقع قناة الجزيرة الاخبارية، ١ يونيو ٢٠١٥م.

ذلك بأن شعور الفرد بأن القوة الأولى هي قوة الإيمان، وأنه يثاب على كل خير يقدمه لغيره من المخلوقات، بل والبيئة من حوله، يدفعه إلى السعي نحو تعميم الخير للعالم من حوله، ويرى في الناس البر والحب، فيتعاون معهم ويشعر بالارتياح لهم، فيتقبله الآخرون وينعكس ذلك على تقبله لذاته .

وكذا استقرار النفس تدفع الفرد الى الانتماء، وتكوين علاقات اجتماعية تؤدي الى حدوث التفاعل الاجتماعي الإيجابي، فتظهر لديه حاجات الحب والانتماء، والتي تعد المكون الأساس للسلوك الاجتماعي^(١) .

النمو الفكري السليم يولد الشخصية السوية التي تستطيع التعايش مع الآخرين في علاقات طبيعية تهتم بالقيم الاجتماعية، وتسعى للنهوض التنموي والحضاري في مجالات الحياة المتنوعة، كما يُوجد الفكر السليم البيئة الخصبة للتبادل المعرفي، وتقبل الآخر والتعامل معه، وجعل الاختلاف وسيلة للمعرفة والتكامل لا للصراع والتناحر.

٤- الحرية : من الأبعاد التفصيلية للبعد الروحي الحرية، فبها تتحقق كرامة الإنسان، ويشعر بذاته، ويتحمل تبعات تصرفاته، ولإدراك أهمية الحرية لجودة الحياة نستعرض الآتي:

أ- الحرية أصل الوجود الإنساني، وهي الطاقة للحياة بها تنمو وتزدهر، وبغياها تنهار، ويفقد المجتمع قدرته على التكامل الوظيفي، ويسيطر على الحياة الشلل في كل جوانبها ومجالاتها .

فمن خلال البعد الروحي والعقدي، نجد الحرية المستند التي تتكئ عليها الأديان والمبادئ في صراعها الفكري والعقدي باعتبار أن الحياة الحقيقية هي كرامة الإنسان دون إكراه

أو إجبار قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ سورة البقرة: ٢٥٦

١- كما يذكر علماء النفس .ينظر: حسين الدريني، "المدخل إلى علم النفس". مايكل أرجيل، "سيكولوجية السعادة"، ترجمة فيصل يونس، عالم المعرفة، العدد ١٧٥، الكويت، ١٩٩٣.

ب- جعل الإسلام الإكراه عارضاً من عوارض الأهلية^(١) لأنه يقوم على سلب حرية المكلف، فلا ينسب لمكروه قول أو فعل ولا يترتب عليه جرم أو وذنوب. وفي هذا تكريم للإنسان وإعلاء لشأنه قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ سورة الاسراء، آية : ٧٠.

بل يعاتب القرآن الكريم الرسول ﷺ على حرصه الزائد، إلى حد يشبه الإكراه على هداية الناس، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ سورة يونس: ٩٩.

فالأنظمة والتشريعات التي تُفرض بالإكراه، وتمارس القمع وسيلة لإرغام الإنسان على اعتناق فكر ما، هي في الحقيقة تسلب الإنسان أخص ما يميزه على سائر الكائنات .
"وقد تقرر في التعاليم الإسلامية أن الحرية هي المدخل المعتبر إلى الإيمان الحق، فلا يكون الإيمان بالعقيدة إيماناً كاملاً في ميزان الدين إلا إذا أُتْبِنِي على حرية النظر"^(٢) .

ج- الحرية تجعل الإنسان أكثر قدرة على الانسجام مع نفسه، وتمنعه من الانسياق وراء مقولات لا يعقلها ولا يقبلها، كما تضمن بقاء التعدد والتنوع الذي أراده الله بين الناس، والذي جعله منطلقاً للتدافع والتعارف بينهم، وبذلك تتكامل جهودهم وانجازاتهم، وترتقي مجتمعاتهم، وتدعم حرية الاعتقاد وروح الحوار والتفاهم والتعايش بين أبناء المجتمع، خلافاً للقمع والاقصاء والاحتقار، فانه يحيل حرية الاعتقاد الى عقائد باطنية سرية، تضعف النسيج الاجتماعي وتُسهم في تفسخه وتقويضه .

^١ - فالأهلية: صلاحية الإنسان لوجوب الحقوق المشروعة له وعليه. ينظر: ينظر: كشف الأسرار، للبخاري (٣٣٥/٤)، وقواعد الفقه، للبركتي (ص ١٩٨). (والإكراه: الإكراه: وهو إجبار الإنسان غيره على فعل أو قول لا يرضاه، بحيث لو خلى بنفسه لم يفعله.

^٢ - عبد المجيد النجار: دور حرية الرأي في الوحدة الفكرية بين المسلمين، ص ٤٦.

البعد المادي:

الاهتمام بالأشياء المادية فطرة بشرية قال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴿١٤﴾﴾ سورة آل عمران: ١٤. فيها تقوم الحياة وتعمر الأرض ويحدث الازدهار، لكن يوم أن تحل المادة محل الروح، وتصبح غاية ومقصداً تستعبد صاحبها، وتضع روحه وعقله، وتتحول الحياة إلى ميدان للتنافس على الشهوات ونيل الملذات، فتثمر الصراع والقلق والخراب، ويذهب الاطمئنان والاستقرار بين الأفراد والمجتمعات .

يشمل البعد المادي الاستمتاع بالملذات المباحة في المأكل والمشرب والملبس والمنكح والمسكن. والتي سماها القرآن الكريم بالطيبات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ سورة المائدة: ٨٧ .

وتشمل أيضاً التسخير الإلهي للإنسان بما يحقق استقراره في الحياة، وتحقيق ذاته ويشبع رغباته بتوسط واعتدال، والمتدبر لآيات القرآن الكريم يلمس هذه الوسطية في أوامر القرآن الكريم، بشأن التعامل مع الدنيا والآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٧٧﴾﴾ سورة القصص: ٧٧، بل إن الله تعالى أشار إلى نموذج أمثل من دعاء المعتدلين، الذين يسرون على هذا النهج الوسطي؛ فقال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٦١﴾﴾ سورة البقرة: ٢٠١، ومن لطائف كتاب الله العزيز، أنه ما ذكرت الدنيا إلا ذكرت الآخرة، وفيه إشارة لطيفة إلى ما ينبغي أن يكون عليه التوازن عند أولي النهى، فلا إغفال لطرفٍ على حساب الآخر. ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٢﴾﴾ سورة الأعراف: ٣٢، ولو أن الحياة الدنيا لا تحمل

سوى معنى الفساد والخراب لما أمرنا الله تعالى بتعمير أرضها بكل خير؛ قال سبحانه ﴿هُوَ
أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ ﴿٦١﴾ سورة هود: ٦١.

فالزهد والتفتير، وتعذيب الجسد، وما يسبب نكد الحياة ليس من الإسلام في شيء، بل
فيه ابتداء، ولذا عاب على أهل الكتاب في ذلك فقال تعالى: ﴿وَرَهَبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كَتَبْنَا عَلَيْهِنَّ﴾ ﴿٢٦﴾ سورة الحديد: ٢٦.

والبعد المادي بتوازنه مع البعد الروحي يحقق الأمن الاجتماعي والاقتصادي، والذي من
خلاله يستقيم العمران وتبنى الحضارة، وقد أعطى القرآن الكريم هذا الجانب اهتماما كبيرا،
لما له من أثر في التنمية المجتمعية والقيام بواجب الاستخلاف في الأرض، فهذا إبراهيم عليه
السلام يدعو ربه للبلد الذي ترك زوجته وابنه: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ
الشَّمْرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ﴿١٢٦﴾ سورة البقرة، الآية: ١٢٦. وهنا نجد الآية تحدثت
عن العلاقة بين الأمن الاجتماعي (رب اجعل هذا بلدا آمنا) والامن الاقتصادي (وارزق
أهله من الثمرات).

وفي قصة مريم عليها السلام لما خالطها الخوف والجزع وتمنت الموت، يُشعرها الله بالأمن
بقوله حاكياً عن عيسى عليه السلام: ﴿فَكُلِّي وَأَشْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ ﴿٢٦﴾ سورة مريم، الآية: ٢٦.
..(فكلي واشربي) أمن اقتصادي، (وقري عينا) أمن اجتماعي.

فقيام الفرد بالتصرفات المعنوية والحسية بحاجة إلى الأمن، ونمو المجتمعات أساسا لا
يكون إلا بالأمن، فالبلاد التي تشهد حروبا وإرهابا وتضييقا يعيش التخلف في كل ناحية
من نواحيها لذا (فالحاجة إلى الأمن، حاجة سيكولوجية جوهرها السعي المستمر للمحافظة
على الظروف التي تضمن اشباع الحاجات البيولوجية والسيكولوجية. والأمن الانفعالي أهم

حاجات الأمن، وينبع من شعور الفرد بأنه يستطيع الإبقاء على علاقات مشبعة ومرتنة مع الناس ذوي الأهمية الانفعالية في حياته^(١).

وقد بين القرآن الكريم الترابط المتين بين استقرار المجتمع وازدهاره، وشعوره بجودة الحياة مع وجود الأمن المعيشي والأمن الحيائي، فقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۗ﴾ الذي أطمعهم من جوع وعامنهم من خوف^(٢) سورة قريش: ٣-٤. فقد امتن الله على قريش بنعمة الأمن سواء داخل مكة واحترام الناس لمكانتها وقدسيتها، أو خارجها من سلب تجارتهم في رحلة الشتاء والصيف، بأن أمن لهم الطرق وسهل لهم الوصول إلى تحقيق الاكتفاء من المواد الغذائية التي توفر لهم الاستقرار النفسي والاجتماعي.

ولذا فإن الأمن الاقتصادي والاجتماعي مؤثر على جودة الحياة في بعديها الروحي والمادي، فالمجتمع الذي يتوافر فيه الأمن الاجتماعي والاقتصادي ينعكس ذلك على سلوكياته ومنجزاته، وسعيه لاكتساب المعارف والعلوم التي تؤهله لدوره الريادي في الحياة فيبيعث الطمأنينة في النفوس، ويشكل حافزا للعمل والإبداع، ولذا بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى لأدام عليه السلام: ﴿إِنَّ لَكَ الْأَجْزَاءَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۗ وَأَنْتَ لَا تَنْظُمُوهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۗ﴾ سورة طه: ١١٨-١١٩. فما ذكرته الآيات هو ما يسعى إليه الإنسان لغرض الراحة والاستقرار، والشعور بقيمة الحياة، فوجود المأكل والمشرب، والملبس، والسكن، تعني الأمن المحقق للاطمئنان.

كما بين النبي ﷺ أثر الأمن الاجتماعي والاقتصادي في جودة الحياة واستقرار من يمتلك ذلك بقوله: (من أصبح منكم آمنا في سربه معافي في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها)^(٣) فذكر الحديث الأمن الاجتماعي بقول (آمنا في سربه)، وذكر

^١ - الحفني، عبد المنعم (١٩٧٨): موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص ٢٧١.

^٢ - الترمذي وحسنه، وقد ورد في "سربه" ثلاثة معانٍ: بكسر السين على الأشهر أي في نفسه، وفتحها، أي: في مسلكه أي طريقه، وقيل: بفتحتين، أي: في بيته.

الأمن الصحي (معافاً في بدنه)، والأمن الاقتصادي (عنده قوت يوميه). تمثل جودة الحياة واستقرارها فالناس يلهثون ليلاً ونهاراً لتوفير الأمور الثلاثة.

لكن الأمن الاجتماعي والاقتصادي لجودة الحياة لا يقف عند قضية الأكل والشرب والتملك فقط، بل هي قضية أعم وأشمل من ذلك، فتألف الناس مع بعضهم، وسلامة العلاقات فيما بينهم، وتأمين احتياجاتهم بسهولة ويسر من متطلبات الاستقرار وعوامله الحسية والمعنوية، وهذا لن يحصل إلا مع البعد الروحي لجودة الحياة ذلك أنه: يهذب النفس من الحسد والأنانية، وينقيها من الفسوق الناتج عن الترف، فإذا انعدم الإيمان حلت النكبات وتحولت النعم إلى نقم فقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ سورة النحل، آية: ١١٢. ثم ذكر بعد هذه الآية المحرمات من المطعومات ليدل ذلك على مدى ارتباط الإيمان كما تقدم بالأمن النفسي والاجتماعي والغذائي، وينبهم إلى المنظومة الأساسية للعيش الرغيد والسعادة الحقيقية للمجتمع المطمئن المستقر.

وهذا المثل قائم لكل ذي عقل إلى يوم القيامة فقال تعالى: ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ ثلاث صفات كل واحدة منها ركن ركين لا بد منه في كل مجتمع: الأمن من الخوف، والاستقرار في الأرض وراحة البال، ووفرة العيش وتيسره، "وقدم الأمن على الطمأنينة لأنها لا تحصل بدونه، كما أن الخوف يسبب الانزعاج والقلق"^(١).

^١ - ينظر: ابن عاشور: مصدر سابق، ١٤/٣٠٥..

فانعدام الأمن الاجتماعي والاقتصادي يؤدي إلى القلق والخوف، ويدعو إلى الهجرة والتشرد، وقوارب الموت التي نسمعها في وسائل الإعلام كل يوم نتيجة واقعية لانعدام الأمن الاجتماعي والاقتصادي .

المبحث الثالث

سمات جودة الحياة في القرآن الكريم

جودة الحياة في القرآن الكريم، ليست في جمع المال والثروة المادية كغاية في الحياة وحسب، بل قد يكون ما يجمع من الأموال والمتاع المجرّد من القيم والمبادئ، سبباً لهلاك صاحبه وانتكاسة حياته، كما أخبر الله رسوله بقوله ﴿فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ سورة التوبة: ٥٥. فالثروة بدون إيمان تدفع صاحبها للفسوق والفساد في الأرض فيحق عليه الهلاك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ سورة الاسراء، آية: ١٦. وقال الله عن قارون ونهاية طمعه وغروره بما ملك: ﴿فَحَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ سورة القصص: ٨١. ولتحقيق النجاة في الدنيا والأخرى، والتمتع بما أحل الله وسخر، يجب على الإنسان أن يدرك العلاقة بين مكونات الحياة المرتبطة به وكذا التوازن والتكامل بين أبعاد جودة الحياة وأركانها، ذلك لأن الله عز وجل منزل الكتاب الكريم هو الذي خلق فسوى، عالم بما يصلح الإنسان في دينه وأخراه، جعل لكل شيء قدراً ووزناً، قال تعالى ﴿الْأَلْعَاقِمَنْ حَاقِقٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ سورة الملك: ١٤.

ومن خلال استقراء آيات القرآن الكريم، وحدثها عن الإنسان، وارتباطه بالحياة، وسائر المخلوقات، وكذا التكليف الشرعية التي أمر القيام بأدائها، أو المنهيات التي وجب عليه اجتنابها، يجد الباحث أهم سمات أركان جودة الحياة تتمثل في الآتي:

١- التوازن: خلق الله كل شيء بقدر ووزن مناسب محدد، فلا طغيان لعنصر على آخر، فالتوازن سمة الكون كله قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٦﴾﴾ سورة القمر: ٤٩. وقال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَلْبَسْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مَوْرُونَ ﴿١٦﴾ سورة الحجر، آية: ١٩. وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا

تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ الرحمن: ٧ - ٩.

وعلى الصعيد الشخصي للإنسان : وازن القرآن الكريم بين متطلبات النفس، والجسد، والروح والعقل، والفرد، والمجتمع.

ولتحقيق التوازن بين أبعاد الشخصية للحصول على جودة الحياة، نبه القرآن إلى حث الروح والسعي بها إلى الدار الآخرة، كما نبه إلى حاجة التزود من الحياة الدنيا وملذاتها بما شرع الله وسخر، قال تعالى: ﴿وَأَبْتَعْ فِيْمَاءَ آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ سورة القصص، آية: ٧٧.

ونذب الإنسان إلى الدعاء الجامع الذي يلائم بين احتياج الدنيا والأخرى، فقال عز وجل: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ سورة البقرة: الآية ٢٠١.

وجعل لكل شيء حقه بتوازن محكم، فلا يطغى حق الفرد على حق الأسرة أو المجتمع، وكذا العكس كما قال ﷺ: (إن لربك عليك حقًا، وإن لنفسك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًا فأعط كل ذي حق حقه)^(١).

فالإسلام يوازن بين هذه العناصر، ويجب أن يكون الاتزان دقيقًا كي لا يطغى أحدهما على الآخر، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَّكَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ سورة الانفطار، آية: ٦-٧.

فالتوازن يضبط السير في الحياة، و لا يبتعد بصاحبه عن الصراط المستقيم، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ

١- أخرجه البخاري، ج٤، رقم ١٩٦٨، ج١٠، الأدب، رقم ٦١٣٩.

وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٣﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤٤﴾ سورة النازعات، الآيات: ٣٧-٤١. من خلال التوازن يُضبط السلوك الإنساني في الحياة، فلا يجوز أن تغطي كفة على أخرى، والمفتاح لاستعادة التوازن هو أن تُعطي الأولوية للأهم فالمهم وهكذا.

٢- التكامل: مهما ظهر بأن لكل مكون من مكونات الإنسان احتياجاته الخاصة إلا أنها تكمل الاحتياج للمكون الآخر، فالروح لها احتياجاتها الخاصة من غذاء الوحي، لكنه مكمل لاحتياجات الجسد، والجسد بدون الروح يتغول في المادية إلى درجة البهيمية: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ سورة الفرقان، آية: ٤٤. " لأن الأنعام تنقاد لأربابها التي تعلقها وتتعهدها، وتعرف من يحسن إليها ممن يسيء إليها، وتطلب ما ينفعها، وتجتنب ما يضرها، وتهدى لمراعيها ومشاريها، وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون إحسانه إليهم من إساءة الشيطان الذي هو عدوهم، ولا يطلبون الثواب الذي هو أعظم المنافع، ولا يتقون العقاب الذي هو أشد المضار والمهالك، ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي" (١)، بل إن الجسد بدون احتياجات الروح يصبح معطل الحواس، فلا ينتفع صاحبها بما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ سورة الأعراف: ١٧٩.

والانغماس في حاجات الروح على حساب حاجة الجسد مضرة بالتعبد والحياة، قال الله عن هذا الصنف ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقًّا رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ سورة الحديد، آية: ٢٧، واستنكر على من يحرم الاستمتاع بما أحل الله من المأكل والملبس، فقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ

١- الرمنشري.. الكشاف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل ٩٢/٣.

زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٣٢﴾
كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ سورة الأعراف، آية: ٣٢.

وعاب النبي ﷺ على الثلاثة الذين أدخلوا بسمة التكامل والتوازن في الحياة كما جاء في الصحيح^(١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا، فأنا أصلى الليل أبدا، وقال آخر: أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا! فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني .

فالتكامل بين مكونات الحياة عامل لاستقرار الحياة وتنميتها في مجالاتها المختلفة. ولن تنهض أمة على الطريق الصحيح إلا إذا تكاملت مجالات حياتها، فإن طغى أحدهما على الآخر اضطربت أحوالها على مقدار نسبة ذلك الطغيان، وتعرضت للعقوبات الإلهية.

٣- الحرص على الأفضل والأجود والأحسن في القول والعمل، معيار مهم لجودة الحياة، فالرقي الدائم لأبعاد جودة الحياة ومجالاتها المتنوعة، ركز عليه القرآن الكريم، ودعا الإنسان إلى تحقيقه كما قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿ فَخَذَّهَا بِقُوَّةٍ وَأْمَرَ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سورة الأعراف: ١٤٥ .

وقال مخاطباً الجماعة المؤمنة: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ سورة البقرة آية: ١٩٥ ، وفي قوله تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ﴿٢﴾ سورة الملك آية: ٢ . إشارة واضحة إلى أن الجزاء لا يتعلق بكمية العمل بل بأحسنه وكيفية أدائه. ومثله قوله تعالى

^١ - البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٢/٧)، رقم: (٥٠٦٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، (٨٠/١)، رقم: ١١٣ .

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِيَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ﴿٧﴾ الكهف: ٧ وحث الرسول على معاملة الناس بالحسنى والتزام الأخلاق الحسنة معهم "اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن".^(١) وعلى هذا المعيار بنى الشارع التكليف وحدد الواجبات، وحرّم المحرمات، وأناط بالملكف القيام بها لأن مؤداها في النهاية جودة الحياة الدنيوية وتحقيق السعادة في الأخرى .

وخلاصة القول من الحرص على الأفضل والأجود، أن الإنسان يطلب الاستمرار في أعمال الخير، إذا أراد الحصول على جودة الحياة، فكل بعد من الأبعاد ليس له نهاية، فالروحانية الإيمانية مطلوب من الفرد أن يسعى لتحقيقها في كل وقت والارتقاء في مسالكها ودروبها من خلال أداء النوافل والسنن وكثرة الأذكار والأوراد، وتحقيق الأمن الاجتماعي والاقتصادي بتطوير وسائله وأساليبه وتنميته في المجتمع وعياً وسلوكاً، والحرية بزيادة الوعي بأهميتها والانطلاق من خلالها في مجالات العمران والبناء والشهود الحضاري .

^١ - الترمذي، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرّة الناس ٤/٣٥٥، رقم ١٩٨٧، و أحمد ٣٥/٢٨٤، رقم ٢١٣٥٤.

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

- ١- مفهوم جودة الحياة في القرآن الكريم : حديث القرآن الكريم وبيانه لوضع الفرد في الحياة وكيف يحقق الحياة المطمئنة، و أهدافه المعنوية والمادية من خلال هدى القرآن الكريم وتعاليمه، والتي توضح تحقيق اهتماماته المتعلقة بصحته البدنية، وحالته النفسية، واعتقاداته الشخصية، وعلاقته بمن حوله من المخلوقات.
- ٢- الشخصية الإنسانية تركز على بعدين تتحقق جودة الحياة بهما:
 - أ. البعد الروحي
 - ب. البعد المادي.
- ٣- ينتج عن البعد الروحي أبعاداً تفصيلية أهمها : إثبات الذات والأمل وعدم اليأس والنمو الفكري السليم للفرد، والحرية، والتي بدورها تنتج الشخصية المتوازنة مع المتطلبات الروحية للحياة .
- ٤- بالبعد المادي المتعلق بقيام الحياة وأداء دور الإنسان في عملية الاستخلاف، ينتج الأمن الاقتصادي والاجتماعي والذي يعتبر وجوده مؤشر على جودة الحياة في بعدها الروحي والمادي .
- ٥- تمثل سمات جودة الحياة الضابط والرابط لها وأبرزها : التوازن والتكامل والحرص على الأجداد في كل ركن ومجال للحياة.

ثانياً: التوصيات: في ضوء مضامين البحث ونتائجه يوصي الباحث بما يلي:

- ١- يوصي القائمين على التوعية الدينية بتبصير المجتمع بوسطية واعتدال، وبناء العقول، وتهذيب النفوس بما يحقق جودة الحياة.
- ٢- يحث المعلمين وأهل التربية الحرص على الربط بين قيم الحياة، وتأصيلها في نفوس الطلبة بتوازن وتكامل .

- ٣- يدعو وسائل الإعلام خصوصا الهادفة منها إلى معالجة قضايا جودة الحياة وفق هدى الإسلام وشرعه، ونظمه المتكاملة في بناء الحياة البشرية.
- ٤- الكتابة عن جودة الحياة خصوصا من المنظور الإسلامي تحتاج إلى مزيد بحث واستقراء، خصوصا في قصص الأنبياء وعلاقة استقرار الأمم وكذا الهلاك الذي أصابها وعلاقتها بجودة الحياة . ولذا نوصي الباحثين والمهتمين بالنظر والتدبر في كتاب الله والخروج برؤى اسلامية ناضجة تساهم في حل المشكلات المتنوعة خصوصا في المجتمعات الإسلامية، انطلاقا من هدى القرآن الكريم وتعاليه وصلاحيته لكل زمان ومكان .

المصادر والمراجع

- ١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، مجموع الفتاوى، دار الكتب العلمية، ط ٢.
- ٢- ابن حجر؛ أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١- ابن فارس، معجم المقاييس في اللغة، دار النشر: دار الجليل - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- ٢- أبو داود؛ سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، سنن أبي داود، دار النشر: دار الفكر، بيروت - تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- ٣- البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٤- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية: طريق المهجرتين وباب السعادتين الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.
- ٥- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة سنة الطبع ١٤١٤ هـ.
- ٦- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، تونس، دار سحنون للنشر والتوزيع، د، ت.
- ٧- الحاكم، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرک على الصحيحين، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- ٨- أحمد عكاشة، جودة الحياة والنسيج الاجتماعي. ورقة مقدمة ضمن فعاليات المؤتمر السنوي الخامس للمركز المصري للعلوم الطبية بالاشتراك مع، جامعة الأزهر وعنوانه: "نحو أعصاب سليمة". المنعقد في الفترة من ٣ إلى ٤ مايو ٢٠٠٧.
- ٩- جوناثان كلر، أفنعة بارت، ص ٢٠، ترجمة السيد إمام، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط ١ ٢٠١٣م.
- ١٠- الحافظ، نوري: تكوين الشخصية (بغداد: المعارف، ١٩٦١).
- ١١- حسين الدريني، "المدخل إلى علم النفس"، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣.
- ١٢- الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط ٣ (القاهرة: مكتبة المدبولي، ٢٠٠٠).
- ١٣- الحفني، عبد المنعم، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة المدبولي، القاهرة (١٩٧٨).
- ١٤- الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، سنة النشر: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

- ١٥- الراغب الأصفهاني، الحسين بن مُجَدِّد، المفردات في غريب القرآن لمحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: الدار الشامية - دمشق الطبعة: الأولى سنة الطب ١٤١٢ هـ .
- ١٦- الزبيدي؛ مُجَدِّد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار النشر: دار الهداية، تحقيق: مجموعة من المحققين.
- ١٧- السعدي، عبدالرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبدالرحمن بن معلل اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٨- فعالية استخدام استراتيجيات علم النفس الإيجابي في التخفيف من قلق المستقبل"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٥٨، القاهرة، ٢٠٠٨ .
- ١٩- صالح، أحمد زكي: علم النفس التربوي، ط٧ (القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٦٦)
- ٢٠- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، (قم: منشورات ذوي القربى، ١٩٦٤).
- ٢١- فعالية استخدام استراتيجيات علم النفس الإيجابي في التخفيف من قلق المستقبل"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٥٨، القاهرة، ٢٠٠٨ .
- ٢٢- قاسم، عبد المريد عبد الجابر الأمل في مرحلة الشيخوخة وعلاقتها بالاكئاب لدى المسنين والمسنات، مجلة الإرشاد النفسي، ٢٠١٢ م .
- ٢٣- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، الدار الشامية، ٢٠٠٢ .
- ٢٤- عبد الرسول، عبد النبي بن: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون الملقب بدستور العلماء، ط٣ (بيروت: مؤسسة الاعلى للمطبوعات، ١٩٧٥).
- ٢٥- عبدالمنعم مرسى، "جودة الحياة والذكاء الخلفي لدى عينة من طلاب كلية التربية"، المجلة المصرية للدراسات النفسية، العدد ٧٢، القاهرة، ٢٠١١ .
- ٢٦- مايكل أرجيل، "سيكولوجية السعادة"، ترجمة فيصل يونس، عالم المعرفة، العدد ١٧٥، الكويت، ١٩٩٣ .
- ٢٧- مُجَدِّد روااس قلعه جي/حامد صادق قنبي، معجم لغة الفقهاء - - صدر: ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م
- ٢٨- مُجَدِّد الحيدري، الأفعال المتداولة - - صدر: ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م.
- ٢٩- مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٠- مصطفى، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ج ١ (اسطنبول: دار الدعوة، ب ت).
- ٣١- مذكور، إبراهيم: المعجم الفلسفي (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع، ١٩٨٣) .
- ٣٢- مُجَدِّد الجوهري، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية. ٢٠١٠ .

٣٣- مجموعة من الباحثين بإشراف علوي بن عبدالقادر السقاف (تعريف الإيمان لغة) الدرر السنية- الموسوعة العقدية، و صالح الفوزان، التعليقات المختصرة على متن العقيدة الطحاوية، الرياض، دار العاصمة للنشر والتوزيع.

٣٤- موقع قناة الجزيرة الاخبارية، ١ يونيو ٢٠١٥م.

٣٥- لوك فيري، الإنسان المؤله- أو معنى الحياة، ترجمة مُجد هشام، نشر أفريقيا الشرق، ط ١ ٢٠٠٢ م .

٣٦- لوك فيري، أجمال قصة في تاريخ الفلسفة، ص ١٥، بتصرف، ترجمة محمود بن جماعة، نشر دار التنوير، ط ١ ٢٠١٥م.

٣٧- Taylor, S.J. & Bogdan R. ١٩٩٦. Quality of life and the individual's perspective. In Quality of Life: Conceptualisation and measurement. Ed. R. Schalock. American Association on Mental Retardation. Washington D.C..

٣٨- Vreeke, G.J., Janssen, S., Resnick, S., & Stolk J. ١٩٩٧. The quality of life of people with mental retardation: in search of an adequate approach. International Journal of rehabilitation Research...٢٠٠٧

٣٩- WHOQOL Group (١٩٩٥). The World Health Organisation Quality of Life Assessment. Murphy, Murphy, ٢٠٠٦

٤٠- Rothmann S, Coetzer EP (٢٤ October ٢٠٠٣). "The big five personality dimensions and job performance". SA Journal of Industrial Psychology.. .

٤١- Goldberg LR (January ١٩٩٣). "The structure of phenotypic personality traits"...

٤٢- Ford, ١٩٩٤. richarson(٢٠٠٥); ford(١٩٩٤); fulton(١٩٩٢)

٤٣- Paul Thagard Ph.D. (٢٠١٤-٦-٢٣)، "What Is the Self"

٤٤- www.psychologytoday.com, Retrieved ٢٠١٨-٣-٢٢. Edited. , WHAT IS SELF,.



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

ISSN: 26117-5894 (2020/12) (18) مجلة علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن

تأثير المستجدات على الحكم الشرعي في ختان الإناث

د/أحمد صالح علي بافضل

رئيس مركز البحوث ودراسات التنمية

جامعة القرآن والعلوم الإسلامية- اليمن

asayht@hotmail.com

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة الى إبراز التناول الشرعي قديماً لختان الإناث، وما طرأ عليه حديثاً مما قد يؤثر عليه. وتمثلت مشكلة البحث في مدى تأثير التطورات والأنظار المستجدة على الحكم الشرعي المتعلق بختان الإناث. وتهدف الدراسة إلى: بيان تأثير التطورات الحديثة على حكم ختان الإناث، وإعادة بحث قضية الختان وإبرازها، ليتم تسليط الضوء عليها من الأمة. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي الاستنتاجي، لتحقيق تلك الأهداف. وتوصلت الدراسة إلى نتائج منها: مع ثبوت مشروعية الختان لكن يبقى هذا حكم قابل للتأثر بمتعلقات كثيرة، ولم يثبت من وجهة نظر البحث وجود مبررات كافية للمنع والإجبار على المنع، ولا توجد مبررات كافية للضغط على المجتمعات التي تقوم بعملية ختان الإناث، وتتطلب عملية الختان دراستها والتعمق في معرفة أبعادها وآثارها وفوائدها وسلباتها من قبل خبراء ثقات، والحاجة الشديدة إلى التوعية بممارسة الختان على الوجه الشرعي الصحيح ووفقاً لأقصى ما يمكن من وسائل وقائية وبيئة طبية ممتازة.

"Effect of developments on legitimate judgment in female circumcision"

Summary of the study:

The study to show what Shara said about the newly female circumcision, and what happened to him, which he would affect him. The problem of research was the impact of developments and emerging issues on the forensic judgment on female circumcision. The researcher used an analytical descriptive approach, The study aims to: Statement of the impact of modern developments on female circumcision, re-examination and thinking of the case of circumcision, considering the nation. The study reached results, including legitimacy, but this is still affected by many relationships, which were not established from the search point of view, there are sufficient excuses to stop comment and force it, There are not enough justifications to press communities implementing female circumcision, The circumcision requires its study and detail in the knowledge of its dimensions, its effects, its benefits and damage to some studies by experts, The need to raise awareness of the exercise of circumcision is properly and in accordance with maximum means of preventive means and an excellent medical environment.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

فطر الله الخليقة على غريزة الجنس . ميل الجنسين كل منهما إلى الآخر . ، وأوجد فيهما . سبحانه . ما يجعل تلك الغريزة نافعة ناجعة فوق أنها ممتعة عذبة، فحري بالإنسان أن يصلح ما تعلق بتلك الغريزة وأن يعاود النظر في متعلقاتها بين آونة وأخرى . وفي هذه الدراسة نتناول حالة من حالات الغريزة، ومؤثراتها ألا وهي ختان الإناث .

موضوع البحث:

دراسة تستعرض بعض المتغيرات الحديثة، وأثرها على الحكم الفقهي في ختان الإناث .

مشكلة البحث:

من الطبيعي حدوث تطورات في الحياة، وفي اجتهادات وأنظار الفقهاء على ممر العصور، ومن هنا يبرز الإشكال في أثر هذه التطورات والأنظار المستجدة على الحكم الشرعي المتعلق بختان الإناث .

والبحث يجيب على تساؤلات منها:

- ١ . ما هو الأصل في حكم ختان الإناث في الشرع؟.
- ٢ . وإذا قلنا بمشروعيته فهل حصل تغيير في العصر الحديث يوجب تغير الحكم الشرعي لختان الإناث؟.

أهداف البحث:

- ١ . بيان تأثير التطورات الحديثة على حكم ختان الإناث .
- ٢ . إعادة بحث قضية الختان وإبرازها ليتم تسليط الضوء عليها من الأمة .

الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي تناولت موضوع ختان الإناث، ودراستنا . هنا . تحاول تتبع أثر المستجدات من حيث على الحكم الشرعي وهو ما لم نجده بارزاً فيما اطلعنا عليه من تلك الدراسات .

منهج البحث:

يتخذ البحث في دراسته المنهج الوصفي التحليلي الاستنتاجي، حيث يعتمد الباحث في وصف الحالة المستجدة ثم تحليلها واستنتاج أثر المستجد في الحكم.

خطة البحث:

وهي تتكون من مقدمة وتمهيد ومبحثين.

المقدمة: وفيها مشكلة البحث وأهدافه ومنهجيته والدراسات السابقة والخطة.

تمهيد: مفهوم ختان الإناث.

المبحث الأول: حالة ختان الإناث في منظومة المجتمع وفي الشرع قديماً وفي الأصل.

المبحث الثاني: المتغيرات الحادثة في متعلقات قضية ختان الإناث وأثرها على الحكم الشرعي.

التمهيد:

مفهوم ختان الإناث

أصل الختن في اللغة القِطْع (١)، و "ختن الغلام والجارية، والاسم الختان والختانة، وقيل: الختن للرجال، والخفض للنساء" (٢).

وعرف الختان شرعاً بكونه قطع جزء من اللحم التي في أعلى الفرج فوق مخرج البول (٣)، ومن الفقهاء من جعله "أخذ جلدة فوق محل الإيلاج تشبه عرف الديك" (٤)، وهذا هو المعنى الأدق وهو أخذ الجلدة التي على رأس البظر (٥) وليس إطلاقاً أخذ جزء من البظر إلا إن قلنا بأن الجلدة التي على رأس البظر هي من البظر.

المبحث الأول:

حالة ختان الإناث في منظومة المجتمع وفي الشرع قديماً وفي الأصل

ونتناول فيه أمرين، أولهما: ختان الإناث ومنظومة المجتمع، والثاني: ختان الإناث في الإسلام.

أولاً: الختان ومنظومة المجتمع:

تكمن أهمية تناول حالة ختان الإناث في عدة أنظار؛ منها:

١. ربط اللحمية الاجتماعية، فالزواج الذي يعني ارتباط رجل بامرأة أو ذكر بأنثى هذا الزواج هو الموجد للأسرة، والمجتمعات ما هي إلا مجموعة من الأسر (٦)، والعلاقة

(١) ابن منظور: مُجَّد بن مكرم، لسان العرب (١٣ / ١٣٨).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (١٣ / ١٣٧).

(٣) النووي: يحيى بن شرف، روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٠ / ١٨١).

(٤) البهوتي: منصور بن يونس، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (١ / ٤٤)، و (عرف الديك لحمة مستطيلة في أعلى رأسه (الفيومي: أحمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢ / ٤٠٥).

(٥) البظر بسكون الظاء هو (لحمية بين شفري المرأة) الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١ / ٥٢).

(٦) أبو عليان: بسام مُجَّد، الحياة الأسرية ص ٧ + ١٣.

الزوجية من عناصرها الرئيسة للقاء الجنسي، فلا ربط حقيقياً للأسرة بجزئها الذكوري والأنثوي بغير وجود علاقة متلائمة في هذا الجانب، والختان مؤثر على تلك العلاقة بالتأكيد.

٢. بالنظر للواقع المجتمعي فإن هناك خلافاً في العلاقات الجنسية بين الأزواج حاصل للأسف في بعض المجتمعات التي تمارس عملية الختان^(١)؛ مما يتطلب النظر في الأسباب واقتراح النتائج وبمحت علاقة ممارسة الختان بذلك.

٣. يتعلق ختان الإناث بجزء من أجزاء المجتمع ألا وهو المرأة أو البنت، وحالتها الجسمية والصحية والمعيشية، ومباشرة شؤونها، فلا بد من تناوله والتصدي له بما ينتج نفعاً، ويجنبها الضرر والنقص.

ثانياً: ختان الإناث في الإسلام:

نستعرضه عبر ثلاثية: أولها: الإطار الإسلامي لختان الإناث، والنصوص المتعلقة بختان الإناث، والثالثة: تناول الفقه لختان الإناث.

١. الإطار الإسلامي لختان الإناث:

يتصدى الإسلام لكل جوانب حياة الإنسان، ومن أولها حياته الاجتماعية ومتعلقاتها، فالوضع الاجتماعي، كان له اهتمام كبير لما يمثله من مرتكز حياة البشر، فلذا حرص الإسلام على تكوين مجتمع تكون كل عناصره إيجابية فاعلة؛ فأمر بالتواصل وشرع الزواج، وحث على العشرة الحسنة بين الزوجين.

قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ (النساء: ١).

(١) وهذا ما أكد وجوده دراستان اجتماعيتان أحدهما للأستاذ هاشم حسين الحامد بمحضر موت الساحل، والثانية للأستاذ حسين عبد الله باحريش بمحضر موت الوادي؛ عبر مقابلي الشخصية معهما.

ووصف العلاقة بين الذكر والأنثى بالتمازج فقال تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧).
يقول الشعراوي: "الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعلمنا أن المرأة لباس سائر للرجل، والرجل لباس سائر للمرأة"^(١).

فكان كل من جزئي الحياة يمتزج بالآخر ويكمله ويعطيه المقدار الذي يحتاجه لسير حياته. ومن ثم جاءت معالجة ما يرتبط بنواحي الإنسان الاجتماعية التي تمكنه من العيش السليم مع غيره، والإنسان مدني بطبعه كما يقول ابن خلدون.

٢. النصوص المتعلقة بختان الإناث:

الإسلام هو القرآن والسنة، وبالنظر لحالة ختان الإناث نجد عددا من النصوص؛ منها:

١. عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول ﷺ « إذا جلس بين شعبها الأربع ومس الختان الختان فقد وجب الغسل » رواه مسلم^(٢).

فدل على وجود الختان في الجانبيين، قال ابن القيم "إذا التقى الختانان وجب الغسل قال أحمد وفي هذا أن النساء كن يختتن"^(٣).

٢. وروى أبو داود في سننه أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي ﷺ « لا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب إلى البعل »^(٤)، وفي رواية بزياده لفظ أشمي (لا تنهكي) بفتح التاء والهاء أي لا تبالغي في القطع^(٥)، وهذا الحديث له طرق متعددة ومختلفة فلذا اختلفت أنظار المحدثين فمنهم من ضعفه كالعراقي في تخريج الإحياء^(٦)، وقال أبو داود عنه (ليس بالقوي) قال الحافظ ابن حجر مستدركا " (وقال) (أي أبو داود) إنه ليس بالقوي (قلت وله

(١) تفسير الشعراوي (٢/ ٧٩١)، تُنظر على هذا الرابط <https://2u.pw/Z2gzN>.

(٢) مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (١/ ٢٧١).

(٣) ابن القيم، تحفة الودود بأحكام المولود ص ٢٠٦.

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٣٦٨).

(٥) النووي: يحيى بن شرف، المجموع (١/ ٣٠٤).

(٦) العراقي: عبد الرحيم بن الحسين، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (١/ ١٦٨).

شاهدان من حديث أنس ومن حديث أم أيمن عند أبي الشيخ في كتاب العقيقة آخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقي " (١) .

وقال الهيثمي: " رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن " (٢) .

وقال بعض المعاصرين: " مجيء الحديث من طرق متعددة ومخارج متباينة لا يبعد أن يعطي ذلك للحديث قوة يرتقي بها إلى درجة الحسن لاسيما وقد حسن الطريق الأولى الهيثمي " (٣) .

٣. قال رسول الله صلى عليه وسلم « خمس من الفطرة الاستحداد والختان... » رواه الجماعة^(٤)، نقل الشيخ جاد الحق رحمه الله، شيخ الأزهر عن البيضاوي عمومية اللفظ في هذا الحديث للذكر والأنثى^(٥)، وقال الشيخ علام نصار مفتي مصر الأسبق: " هو عام للذكر والأنثى " (٦) .

٣. تناول الفقه لختان الإناث .:

رأى علماء الإسلام قاطبة في القديم السماح بختان الأنثى .. فقد أجمع أهل العلم على مشروعية ختان الإناث وإنما اختلفوا في كونه واجباً أو سنة أو مجرد مكرمة أي مستحب وممن

(١) ابن حجر: أحمد ابن علي العسقلاني، فتح الباري (١ / ٣٤٠) .

(٢) الهيثمي: علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٥ / ١٧٢) .

(٣) هو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في كتابه السلسلة الصحيحة (٢ / ٣٤٧) .

(٤) البخاري: محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه . صحيح البخاري .

(٥) (١٦٠ / ٧) ، ومسلم في الصحيح (١ / ٢٢١) .

(٦) تُنظر فتواه على هذا الرابط <http://aman.dostor.org/show.aspx?id=7549>

(٧) تُنظر الفتوى على هذا الرابط

http://ahmadkelhy.blogspot.com/2013/04/blog-post_3408.html

نقل هذا الإجماع المرتضى في البحر الزخار^(١)، ومن المعاصرين مفتي مصر الأسبق الشيخ علام نصار^(٢)، كما نقل الإجماع على الإباحة ابن حزم رحمه الله^(٣).

ومن العسير أن يتمكن المرء من تجاوز هذه النصوص المتقدمة إلى منع الختان.

وإن تفاوت حكم العلماء فيما بينهم على درجة طلب ختان الإناث:

فمن العلماء من قوى طلب فعل ختان الإناث وجعله واجبا وهو مذهب الشافعية؛

قال النووي " الختان واجب على الرجال والنساء عندنا " ^(٤).

ومنهم من جعلها مندوبا إليه، ومن هؤلاء المالكية :

قال في الشرح الكبير " خفاض الأثني فمندوب: ويندب أن لا تنهك أي لا تجوز في

قطعها الجلدة "

ومنهم من جعله مكرومة: أي حالة مطلوبة راقية^(٥)، لمن أرادها وليس هناك طلبا من

الشرع لفعالها بل هو الأليق أن يفعل الختان؛ ومن هؤلاء الحنفية :

قال في تحفة الملوك " والختان للنساء مكرومة " ^(٦).

وعن الحنابلة :

قال في المحرر الحنبلي: " ويجب الختان ما لم يخف منه وعنه . أي أحمد . لا يجب على

النساء " ^(١).

(١) المرتضى: أحمد بن يحيى، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار (٤/٣٧٠).

(٢) تُنظر الفتوى على هذا الرابط

http://ahmadkelhy.blogspot.com/2013/04/blog-post_3408.html

(٣) ينظر كتاب ابن حزم: مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات ص ١٥٧. وقد أقر مشروعيته مجمع الفقه

الإسلامي الدولي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي، يُنظر قراره

في <https://www.iifa-aifi.org/ar/4879.html>

(٤) النووي، المجموع (١٣٤٩).

(٥) قال المطرزي: (ومكرومة) للنساء أي محل لكرههن يعني بسببه يصرن كرائم عند أزواجهن (المغرب في ترتيب المغرب ص:

٤٠٦.

(٦) الرازي: مُجَدِّد بن أبي بكر، تحفة الملوك (١/٢٤٠).

وقال في المغني: " (فصل) الختان فواجب على الرجال ومكرمة في حق النساء" (٢).
وهناك اتجاه محدود ظهر مؤخراً من المعاصرين ذهب إلى منع ختان الإناث سيأتي ذكره
في المبحث القادم (٣).

(١) ابن تيمية الجدل: عبد السلام بن عبد الله ، المحرر (١١/١).

(٢) ابن قدامة: عبد الله بن أحمد المقدسي ، المغني (١/٦٤).

(٣) عند النقطة الثانية فتاوى الفقهاء.

المبحث الثاني:

المتغيرات الحادثة في متعلقات قضية ختان الإناث وأثرها على الحكم الشرعي:

من مرونة الشريعة أن الأحكام الشرعية تؤثر فيها عوامل المستجدات والأوضاع المرتبطة بالواقع ولكن عبر ضوابط دقيقة ومعايير منضبطة، وموضوع ختان الإناث حكم من الأحكام فيتأثر بالطبع كغيره من الأحكام.

ومن هذه العوامل:

- النظر الجديد في النصوص الشرعية: ثبوتها، ودلالة.
- قوانين الدولة وأوامرها.
- المعلومات الطبية المستجدة.
- الأوضاع الاجتماعية الحديثة.
- العصر وما فيه من متغيرات.
- الفتاوى الفقهية الحديثة.
- التأثير الخارجي سواء بالضغط السلبي أو العطاء الإيجابي.
- تماسك الأسرة وأثر العلاقة السريرية.

فإلى أي حد أثرت هذه العوامل الطارئة أو المستجدة أو المعرفة التي لم تكن موجودة سابقاً على حكم ختان الإناث وهل نقلته إلى حكم آخر، أو أنها لم تستطع المساس به لضعفها وعدم قوتها.

هذا ما نحاوله في هذا المحور مقدمين توطئة بآراء عن حصول التغير المؤثر.

توطئة: آراء في حصول التأثير في الحكم الشرعي حديثاً:

يقول أمين دار الإفتاء المصرية: مبررا المنع: "الاختلاف العصر والعوائد والأجسام المختلفة فمنعه" (١).

(١) د. خالد عمران أمين الفتوى بالإفتاء المصرية، على قناة mbc ٢٠١٩/٢/٨ م تنظر على الرابط

<https://www.youtube.com/watch?v=-zPPLYJq-gk>

وجاء في فتوى موقع دار الإفتاء المصرية : "وأن يعلموا أن الفتوى تتصل بحقيقة الواقع، وأن موضوع الختان في حق الإناث قد تغير وأصبحت له مضارٌ كثيرة: جسدية ونفسية؛ مما يستوجب معه القول بجرمته والاتفاق على ذلك" (١).

المؤثرات على الحكم الشرعي:

هناك متغيرات تؤثر على الحكم الشرعي، فإلى أي حد أثرت حكم ختان الإناث، ومن ذلك نورد الآتي:

١. النظر الجديد في النصوص الشرعية: ثبوتها، ودلالة.

٢. الفتاوى الفقهية الحديثة.

٣. المعلومات الطبية المستجدة.

٤. الأوضاع الاجتماعية المستجدة.

٥. الجديد في الممارسة العملية في ختان الإناث.

٦. أثر الختان على العلاقة السريرية.

٧. قوانين الدولة وأوامرها.

٨. التأثير الخارجي سواء بالضغط السلبي أو العطاء الإيجابي.

أولاً: الجديد في النظر إلى الأدلة الشرعية وأثره على تغير الحكم الشرعي:

الشرع هو الكتاب والسنة، وكل منهما يُثمر الأحكام عبر النظر لمسلكين فيهما،

أولهما: الثبوت، والثاني الدلالة، وعلى حسب هذين المسلكين يدور الحكم،

١: الثبوت:

يقصد بالثبوت الوثوق من صحة نقل هذه الأخبار عن مصدرها.

(١) أمانة الفتوى بالإفتاء المصرية، فتوى رقم ٤٦٧٨، على الموقع <https://2u.pw/skmJJ>

والقرآن تام الثبوت بحفظ الله قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ

﴾ (الحجر: ٩).

وأما السنة ففيها الثابت، ومنها ما نقده المحدثون، فهل طراً جديد على النظر لثبوت النصوص الدالة على ختان الإناث، سواء في الرواة، أو التلقي والسند؟
لم نعلم طروء شيء من ذلك على النصوص التي أوردناها سابقاً.

٢: الدلالة:

معنى الدلالة " كون اللفظ بحيث إذا أطلق فهم منه المعنى " (١)، ف "دلالة اللفظ: ما يقتضيه عند إطلاقه" (٢) أي ما يحتويه اللفظ من المعاني.

ودلالة ما ورد في ختان الإناث مما تقدم في الحث عليه أو كونه مشروعاً موجوداً في فترة التشريع.

ومما استجد طرح بعض المعاصرين كون ختان الإناث يؤثر على اللذة وليس على الشهوة حيث لم يرد في النصوص ما يوجه إلى أين تكون فائدته يقول سيد السقا "خبر أبي داود وغيره أنه قال للخاتنة: « أثنِي ولا تنهكي؛ فإنه أحظى للمرأة وأحب للبعل »؛ أي: لزيادته في لذة الجماع" (٣).

ومن الجديد أن عبارة - ولا تنهكي: توجه إلى القلفة وليس إلى البظر، فليس المطلوب أخذ شيء من البظر بل المطلوب تركه وترك شيء من القلفة "فالمطلوب إذًا هو الاستئصال بالقدر المطلوب، بحيث يُكشَف عن البظر، فيتم المطلوب من زيادة المتعة الجنسية، ولكن ليس لدرجة تجعله مكشوفاً تماماً، فيستثيره كلُّ ما يُحيط به، ولا لدرجة تجعله مُحاطاً بالندبات

(١) الإسنوي: عبد الرحيم بن الحسن، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول ص ١٩٢.

(٢) قلعجي: مُجَد رواس، معجم لغة الفقهاء ص: ٢١٠.

(٣) رابط الموضوع <https://www.alukah.net/culture/./٣٧٠٥١/#ixzz٦bNTvBbul> .:

المزعجة والمؤلمة... إنَّ تقليص هذا الجلد يُقلِّل من تغطية البظر؛ مما يجعله يُستثار بسهولة أثناء الممارسة الجنسيَّة، ولا ينبغي أبداً إزالة كلِّ الجلد" (١).

ثانياً: تناول الفقهاء فيما يؤثر على حكمنا:

نحى عدد من الفقهاء المعاصرين منحى القول بمنع ختان الإناث، ومن هؤلاء الشيخ سيد طنطاوي شيخ الأزهر سابقاً رحمه الله، والشيخ علي جمعة مفتي مصر الأسبق، وما أورد للمنع، الضرر الحاصل من ختان الإناث، وعدم ثبوت دليل (٢).

وقد أثبت الشيخ علي جمعة نفسه الحديث سابقاً وقال عنه حديث حسن بل أضاف: "وكل العلل التي أوردوا أن يخرجوه فيها ليست ثابتة وعلماء الحديث حكموا بحسنه" (٣).

بل نقض فتواه مع قرب الزمان: ففي سنة ٢٠٠٣ قال الختان مكرومة وله أصل في الشريعة والسنة، وفي سنة ٧٠٠٢ قال: الختان حرام ولم يرد فيه نص شرعي. وأما وجود الضرر فسيأتي بيان ذلك في نقطة تطور المعارف الصحية الحديثة وأثرها على الحكم.

ثالثاً: تطور المعارف الصحية وأثره على الحكم الشرعي:

الختان يتعلق بمجال الطب، فهل أثبت الطب عدم نفعه، باعتبار وجود ضرر في إزالة الزائد، ومن ثم يكون مستنداً لماعني ختان الإناث، وهو فعلاً حيث إن وجود الضرر هو مما استند عليه المانعون كالشيخ علي جمعة (١).

(١) رابط الموضوع <https://www.alukah.net/culture/٠/٣٧٠٥١/#ixzz٦bNTvBbuI> .:

(٢) يُنظر: حول فتوى سيد طنطاوي وعلي جمعة: في مقال جبهة علماء الأزهر تنتقد فتوى طنطاوي والمفتي بتحريم ختان الإناث منذ ٢٠٠٧-٠٨-٠٢. رابط المادة: <http://iswy.co/e48kb>

وينظر كلام الشيخ علي جمعة نفسه في اليوتيوب في مقال: حرب الختان وموقف متناقض للمفتي

<https://2u.pw/817XQ>

(٣) يُستمع لكلامه في مقال: حرب الختان وموقف متناقض للمفتي <https://2u.pw/817XQ>

والسؤال ما الضرر الذي اكتشف الآن مع العلم التطبيق في المستشفيات يتحسن تنفيذاً، ويتحسن وعي الناس في الذهاب، وإذا كان الأمر كذلك معه دولة تضبط أين الضرر وتمنع بالقوة.

وإلى أي حد توجد الثقة فيما قرر من أضرار أبرزها السرطان^(٢).

وبالمقابل فهناك تقارير كثيرة وأقوال لأطباء تبين عدم ضرر ختان الإناث، ولنقف مع بعضها.

أطباء يؤكدون لا ضرر من الممارسة: ومن ذلك:

١. الدكتورة ست البنات اختصاصية أمراض النساء والتوليد بجامعة الخرطوم بالسودان، وكتابها مشهور في هذا^(٣).

٢. الدكتور علي سليم من إيرلندا، فقد "نشرت صحيفة "ذا إيريش تايمز" الإيرلندية، حواراً أجري مع أحد الأطباء المسلمين بإيرلندا، حيث دافع خلاله عن عمليات ختان الإناث، مطالباً الحكومة بعدم تجريمه.

وقال الطبيب علي سليم والذي يعمل بالمركز الثقافي الإسلامي في إيرلندا، إنه يدعم ختان الإناث في بعض الحالات الطبية المعينة.

وخلال حوارهِ قال الطبيب: "هناك فرق بين عملية تشويه الأعضاء التناسلية للفتيات وبين عملية الختان، وأنا أؤيد تلك الأخيرة. فأنا أرى عملية ختان الإناث مشابهة لتلك التي

(١) يُنظر كلامه في: عنوان: علي جمعة: ختان الإناث "حرام" لضرره الصحي.. والرسول لم يختن بناته الإثنين، ٣٠ أكتوبر

٢٠١٧، اليوم السابع <https://2u.pw/HSv3c>

(٢) يُنظر في مقال ١٠ أضرار تظهر على الفتاة بسبب الختان.. أبرزها أورام سرطانية وصدمة نفسية ٢٠١٦/٦

<https://2u.pw/tK956>

(٣) عنوانه: ختان الإناث الشرعي رؤية طبية د/ست البنات خالد مجد علي، يُنظر على هذا الرابط

<http://umatia.org/images/last4.ppt>

تجرى للذكور. وتلك العملية قد تكون ضرورية لبعض الأشخاص دون غيرهم. ويجب أن تجرى بواسطة طبيب متخصص في إطار صحي آمن".

وتابع سليم: "نفس الأسباب الطبية التي تدعو إلى ختان الذكور، هي التي تقرر ما إذا كان ضروريا ختان الإناث أم لا. هي ليست إجبارية ولكنها ضرورية لدواع طبية وصحية في بعض الحالات. ولذلك يجب أن تسمح بها السلطات"

وأكد سليم أن موقفه من عملية ختان الإناث لا يأتي من منظور ديني، بقدر ما هو منظور طبي. (١)

٣. الدكتور حاتم الحاج استشاري طب الأطفال في كتابه ختان الإناث بين الفقه والطب، ومما قاله: "المطلب العاشر: أثر تطور المعارف الطبية على الفتوى بشأن الختان: يظهر مما سبق أن الختان السني لم يثبت الطب ضرره؛ ولم يشمر المتخصصون من أطباء المسلمين عن سواعد الجد لبيان فوائده بأبحاث علمية تتسم بالدقة والتجرد، وإن ذكر البعض من الأطباء له فوائد مبنية على المقارنة مع الرجال والنظر في تكوين ووظيفة قلفة البظر أو بعض الدراسات المحدودة.

أما عن حد الختان، فلقد أيدت المعلومات الطبية قول من قال من فقهاءنا رحمهم الله بأن المقطوع في الختان هو قلفة البظر لا البظر ذاته ولا شيء منه. وإن كان الظاهر من كلام من قال من فقهاءنا بقطع بعض البظر أنهم عنوا تلك القلفة وجعلوها من البظر. ولكن ليس هناك من الدراسات الموثقة ما يثبت ضرر قطع جزء من البظر، وإنما يظهر أن ذلك ليس المقصود بالختان الشرعي من النظر في تكوين البظر ووظيفته ومقارنة ذلك مع الآثار الواردة في الختان. (٢)

(١) طبيب أيرلندي يطالب الحكومة بعدم تجريم ختان الإناث <https://2u.pw/4alUa>

(٢) ينظر ص ٥٤، على الرابط <https://2u.pw/P2XMB>.

- ٤ . وقد أخبرني أحد الأكاديميين السودانيين أن باحثة أمريكية أتت إلى المركز الذي يعمل فيه تبحث مسألة الختان وأخبرتهم بصلاحيه ختان الإناث ونفعه^(١).
- ٥ . ومن ذلك " نشرت إحدى المجلات بحثاً طبياً قام به مجموعة من الأطباء الفرنسيين والبلجيكيين يؤكد على سلامة ختان البنات، حيث إنه يَهْدب كثيراً من شطحات الجنس لا سيما عند المراهقات، وأن المرأة التي تُعرض عن الختان تعيش حالة عصبية حادة المزاج " (٢).
- ٦ . " وفي جريدة المسلمون (١١) ربيع الثاني (١٤١٦هـ) (٨) سبتمبر (١٩٩٥م) ألقى الدكتور (رافل ظاهر) نائب رئيس مجلس أمناء التجمع الإسلامي بأمريكا الشمالية محاضرة استشهد فيها من واقع خبرته العلمية كطبيب مسلم أن هناك أكثر من (١٧٠) بحثاً علمياً صدر في المجلات والدوريات الغربية في السنوات الأخيرة تثبت أن الهدي النبوي في ختان النساء لا يؤدي إلى أي ضرر جسدي أو نفسي على الفتاة المسلمة " (٣)
- ٧ . نشر الدكتور (ALTER) عام ٢٠٠٨ نتائج دراسة أجراها على نساء أُجريت عليهن عملية تقليم للشفرين مع إزالة للقلفة، وهذه عملية صارت أكثر انتشاراً في الغرب بغرض التجميل وزيادة المتعة الجنسيّة، وقد ردّ على استبيانته - الذي بعثه لـ ٤٠٧ امرأة - ١٦٦ منهنّ، وقد لاحظ ٧١ % من هؤلاء النسوة المشاركات في الاستبيان تحسُّناً ملحوظاً في حياتهنّ الجنسيّة^(٤).

(١) عبر التواصل المباشر معه.

(٢) د. أبو الفتح شرف الدين، الختان بين الشرائع السماوية والعلم الحديث، المجلة العربية عدد ١٢٠ سنة ١١ ص ٥٣.

(٣) بحث حول مشروعية ختان المرء للشيوخ عمر أبي بكر الخطيب، موجود على الرابط الآتي:

<https://www.ye1.org/forum/threads/١٧٤٩٩٦/>

(٤) رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/culture/٠/٣٧٠٥١/#ixzz٦bNT٣sKGm>

٨. في دراسة أخرى أيضاً تناول موضوع عملية تقليم الشفرين المصاحبة لعملية إزالة القلفة، نُشرت في مجلة الطب الجنسي الأمريكية (JOURNAL OF SEXUAL MEDICINE) عام ٢٠١٠م: تَمَّ سؤال ١٧٧ امرأة أُجريت على ١٠٤ منهنَّ عملية تقليم للشفرين، وعلى ٢٤ منهنَّ عملية إزالة للقلفة، وعلى ٤٩ منهنَّ عملية تقليم الشفرين المصاحبة لعملية إزالة القلفة، وتَمَّ حَلْطُ أجوبة هؤلاء النسوة، وقد لاحظ ٤٠% منهنَّ تحسُّناً ملحوظاً في حياتهنَّ الجنسيَّة^(١).

رابعاً: أثر الأوضاع المجتمعية عامة على المجتمعات التي تمارس ختان الإناث:

هل هناك في العادات المجتمعية تغير بحيث يؤثر على الحكم؟

الناظر لا يجد أن هناك ضرورة عامة تصل إلى ما يسمى في الفقه بعموم البلوى.

ومعنى عموم البلوى " الحالة أو الحادثة التي تشمل كثيراً من الناس ويتعذر الاحتراز عنها، وعبر عنه بعض الفقهاء بالضرورة العامة، وبعضهم بالضرورة الماسة، أو حاجة الناس، وقال بعضهم: هو ما تمس الحاجة إليه في عموم الأحوال. " ^(٢).

وعموم البلوى تؤثر في الحكم^(٣) لكن بما يكون فيه الحرج فعلاً، بحيث تكون هناك حالة نفسية عند المختونة وتصير شيئاً عاماً في المجتمع، ولكن حتى هذا يحتاج فتوى خاصة من أهلها.

ثم بعد ذلك اجتماعياً هل هناك مؤثر على الوضع الاجتماعي مثل التغيير الديمغرافي بحيث تكون هناك أعداد مؤثرة من غير المختونات مع النزوح ونحوه ..

(١) رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/culture/٠/٣٧٠٥١/#ixzz٦bNT٣sKGm>

(٢) معنى عموم البلوى أ. د. محمد جبر الألفي [/https://www.alukah.net/sharia/0/122492](https://www.alukah.net/sharia/0/122492)

(٣) وما أصرح قول ابن المهام: (وما قيل إن البلوى لا تعتبر في موضع للنص عنده .. ممنوع، بل تعتبر إذا تحققت بالنص النافي للحرج وهو ليس معارضة للنص بالرأي) فتح القدير (١/ ٢٠٤).

والناظر للمجتمعات التي تحت الأنثى لا يجد أثراً لمثل ذلك يستوجب تفويت النفع العام من الختان؛ يقول الدكتور محمد علي البار: " والختان من المسائل التي تبدو هينة بسيطة . . ولكن في طياته خير كثير " (١).

والمنع من الختان أيضاً يوجد بيئة خصبة للممارسات الطبية الخاطئة، وهو ما ينتج بالطبع في المناطق التي وصل صوت المانعين فيها إلى الحكومات فقررت المنع؛ تقول إحدى الباحثات المصريات وهي " الدكتورة عبير عبده محمد في رسالتها الماجستير عن الختان: إن حكم المحكمة بمنع الختان لا يزيد المشكلات الناتجة عن ختان الإناث إلا تعقيداً مما يؤدي إلى ظهور ما يسمى بالسوق السوداء لمهنة الطب؛ مما يعني أن هذه العملية ستم في ظروف أسوأ بعد أن كنا قد لا حظنا في دراسة القصر العيني أن الأجيال الجديدة اتجهت إلى أداء العملية تحت إشراف طبي " (٢).

خامساً: الجديد في الممارسة العملية في ختان الإناث:

لا شك أن ختان الإناث شرع للحاجة فهو جراحة وأذى كبقية العمليات الجراحية فلا تجوز إلا عند وجود الدواعي، ومن ثم فالحكم الشرعي فيه هو التقليل قدر الإمكان من آثار السلبية كالأذى والأوجاع، وتوفير ما يتطلبه من بيئة فعل العملية وكذلك الأدوات الصحية. فبالأكيد لا بد أن يؤخذ بالوسائل الحديثة، سواء من حيث بيئة العملية، أو من حيث الأدوات، أو من حيث خبرة المنفذ للعملية وخبرته.

وقد أوردت الدكتورة ست البنات إحصائي النساء والتوليد بجامعة الخرطوم . رحمها الله .

"طريقة يُمكن للطبيب المباشر فعلها وتمثل في الخطوات التالية :

(١) يتم تعقيم سطح الجلد وتحت القلفة بالمحاليل المعقمة المعروفة. وتشد القلفة إلى الخلف ومن الجوانب حتى تنفصل أي التصاقات.

(١) البار: محمد علي، خلق الإنسان بين الطب والقرآن ص ٣٢-٣٤.

(٢) بحث ختان الإناث، مجلة البلاغ العدد ١٣٠١، ص ١٩، ١٤١٩-١٩٩٨.

١. يحقن بواسطة حقنه صغيرة ما يعادل ١ مل من البنج الموضعي.
٢. تقوم بسحب القلفة إلى أعلى لإبعادها عن البظر بواسطة ملقاط تشريح ثم يقبض الجزء المخدر الذي يراد قطعه خاصة نهاية القلفة بواسطة جفت ضاغط بحيث يكون الجزء المراد أزالته فوق الجفت الضاغط، يتم إزالة هذا الجزء بواسطة مقص معقوف، يترك الجفت الضاغط لفترة ٥-١٠ دقائق حتى نطمئن لعدم حدوث نزيف ثم يزال الجفت. توضع قطعة نظيفة من شاش الفازلين مع القطن تثبت فقط بواسطة الملابس الداخلية للطفلة . لا توجد أي خياطة لطربي الجرح مع بعضهما البعض^(١).

ولا يبعد القول بوجود مثل هذه الطريقة إذا توفرت اللوازم الطبية لذلك أو ما يماثلها إذ بها يتم تجاوز المخدور، وتجاوز المخدور . هنا . يُعد محرماً بل جُرمًا كما في قرار مجمع الفقه الإسلامي^(٢) .

وإذا قلنا بأن الإنهاك المنهي عنه في الحديث هو موجه إلى القلفة لا إلى البظر فسيكون الطلب على الدقة أكثر.

سادساً: ما أثر ختان الإناث على العلاقة الزوجية بما يؤثر على الحكم:

كثيراً ما يقال عن أثر الختان على برودة العلاقة الجنسية، ولكن الطرح يختلط فيه أثر أصل الختان عن أثر الكيفية التي تتم في عملية الختان. وهناك دراسات متعددة في هذا المجال تبين أن المشكلة قد تكون من ممارسة عملية الختان بطريقة غير سليمة وليس لأصل عملية الختان.

ومن ذلك " دراسات نظرت مباشرة إلى أثر إزالة القلفة على الحياة الجنسية للنساء:

(١) ختان الإناث الشرعي رؤية طبية د/ست البنات خالد مُجَّد علي، تُنظر على هذا الرابط:

<http://umatia.org/images/last4.ppt>

(٢) يُنظر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثالثة والعشرين المنعقدة سنة ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٨ م، على هذا

الرابط <http://www.iifa-aifi.org/ar/4879.html>

١. أجرى الدكتور (RATHMAN) في عام ١٩٥٩ دراسة بعث فيها استبياناً لعدد من النساء في الولايات المتحدة، أُجريت عليهنَّ عمليَّة إزالة القلفة؛ إذ إن هذه العملية كانت أكثر شيوعاً في الولايات المتحدة في مطلع وأواسط القرن المنصرم، وردَّ على استبيانه ١١٢ امرأة، ومن نتائج هذه الدراسة الآتي:

أ- كانت ٧٢ امرأة من المشاركات في الاستبيان تُعانين من العجز الجنسي الكامل، ولم يسبق لهنَّ أن وصلنَّ إلى الذروة الجنسيَّة على الإطلاق في علاقاتهنَّ الجنسيَّة، وبعد هذه العمليَّة تعالج ٨٨% منهنَّ من هذه المشكلة.

ب- كانت ٣٩ امرأة من المشاركات في الاستبيان يُعانين من عجزٍ جنسي جزئي، وأخف حِدَّة من المجموعة الأولى؛ إذ كان بإمكانهنَّ الوصول إلى الذروة الجنسيَّة، ولكن ذلك كان بصعوبة، بعد العملية لاحظ ٨٧% من هؤلاء النسوة تحسُّناً ملحوظاً في هذا الأمر.

٢. في عام ١٩٧٣ أجرى الدكتور (WOLLMAN) دراسة على ١٠٠ امرأة أُجريت عليهنَّ عمليَّة إزالة القلفة، وقد لوحظ الآتي:

قبل العملية كان ٤٩ فقط من النساء المشاركات بإمكانهنَّ الوصول إلى الذروة الجنسيَّة، و زاد العدد بعد العمليَّة إلى ٩٢، وقد لاحظ هؤلاء النسوة ٩٢% أنَّ لذَّة الجماع قد ازدادت، و زادت سرعة استجابتهنَّ الجنسية ومعدَّلات الوصول إلى الذروة الجنسية بعد العملية، كما لوحظ أنَّ معدلات الجماع قد ازدادت في المتوسط من ٣ مرات إلى ٥ مرات أسبوعياً بين هؤلاء النسوة، أمَّا النسوة الثمانية المتبقيات، فواحدة فقط منهنَّ أحسَّت بأنَّ حالتها قد ساءت بعد العمليَّة، بينما لم تلاحظ أيُّ من النسوة السبعة المتبقيات أيَّ فرقٍ يُذكر بعد إجراء هذه العمليَّة^(١).

(١) <https://2u.pw/Ybxc1> ، سيد، ختان الإناث بين الطب والشرع والدائرة المفقودة.

سابعاً: قوانين الدولة وقراراتها:

هل يحق للدولة إصدار قانون يمنع ختان الإناث، بعدما ذكرنا الاتفاق على مشروعيته، وهل يكون لها ذلك عبر ما يسمى السياسة الشرعية والتي تعني: " ما يراه الإمام أو يصدره من الأحكام والقرارات زجراً عن فساد واقع، أو وقاية من فساد متوقع، أو علاجاً لوضع خاص " (١).

والواقع أن هناك عدداً من الدول أصدرت قوانين تمنع ممارسة ختان الإناث.

فقد صدر قانون المنع في مصر سنة ٢٠٠٨م، وعدل بتشديد سنة ٢٠١٦ م فقد "حدد عقوبة ختان الإناث السجن ٥ سنوات إلى السجن ٧ سنوات، مع معاقبة كل من طلب ختان لأنثى أو شارك في تسهيل هذه الجريمة" (٢).

وفي اليمن: "قامت وزارة الصحة في عام ٢٠٠١ بمنع إجراء عمليات ختان الإناث في العيادات الخاصة والمرافق الصحية العامة" (٣).

فالناظر لا يجد تبريراً واقعياً يستند إلى كلام خبراء ثقات، حيث لم تسبق القرارات فيما نعلم دراسات دقيقة، ومن ثم ترى أن ذلك يمشي وفق السير مع المنظومة الدولية رغماً أو رهباً، وعلى هذا لا يوجد ما يبرر هذا التجريم والتشديد.

ومن الواضح وجود ضغوطات خارجية شديدة، فهل هذه الضغوطات تُعطي جديداً يؤثر على الحكم، هذا موضوع النقطة الآتية.

ثامناً: أثر الضغط الخارجي على الحكم الشرعي: جزرته وعصاه:

يهتم الخارج كثيراً بعملية الختان عند المسلمين، ويحاول الضغط حتى بالتهديد بمنع القمح في بعض المناطق، فهل يؤثر ذلك على الحكم.

(١) القرضاوي: يوسف، السياسة الشرعية ص ٣١ ، ط ١.

(٢) <https://2u.pw/yrbzE>.

(٣) من مقال اليمن: هيئة حكومية تتحرك لوقف ختان الإناث ١/٦/٢٠٠٨ <https://u.pw/YD.Z>

ومعلوم أن الأصل عدم الرضوخ لكن هناك توازن بين المفاسد المتوقعة والأعمال المطلوبة.

ومن حالات الرضوخ في التوازن ما حصل في غزوة الخندق حيث " اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائدا غطفاء، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا المفاوضة في ذلك. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه، فقالا له: يا رسول الله، أمرا تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئا تصنعه لنا؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يارسول الله، قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى أو يبعوا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا (والله) ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم؛ قال رسول الله ﷺ: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب " (١).

وبالطبع للأسف هناك ما يوحي بوجود ضغوطات ومضايقات يملئها الخارج، بل هناك أيضاً جزرة وإغراءات، وعلى سبيل المثال ففي مؤتمر القاهرة للسكان سنة ١٩٩٤م "اتفق

(١) ابن هشام: عبد الملك بن هشام، سيرة ابن هشام (٢/ ٢٢٣)،.

المجتمع الدولي على تخصيص مبلغ سنوي قدره ١٨.٥ بليون دولار بحلول عام ٢٠٠٥ لبرامج السكان والصحة الإنجابية في البلدان النامية" (١).

بل في البيان الختامي لهذا المؤتمر ورد أن منظومة الأمم المتحدة وصندوقها للسكان "على استعداد لتوفير ما تطلبونه من مساعدة حينما وكيفما تطلبونها" (٢).

ولا أرى أن هناك مبرراً في مثل هذه القضية، وأن الحكومات يمكنها عدم التفاعل مع المشروع الأممي لو رغبت ودرست ما تريده هي لا ما يملى عليها؛ لأن القضية ليست بتلك الذي قد يُصعد لها الآخر بدرجة عالية كبيرة، كما أن الهامش الممكن للمراوغة من الدول المستهدفة أيضاً أوسع لو رغبت.

(١) مقال مؤتمر البرلمانين الدولي لعام ٢٠٠٦ المعني بتنفيذ برنامج عمل المؤتمر الدولي للسكان والتنمية <https://2u.pw/VRYKa>.

(٢) قرارات مؤتمر السكان القاهرة ١٩٩٤م، ص ١٩٧، على الرابط https://www.unfpa.org/sites/default/files/event-pdf/icpd_ara.pdf

الخاتمة

هدف الدراسة هو فتح ملف قضية الختان في الجانب الإجرائي العملي، وما يمكن أن يتم فيها بعيدا عن العاطفة أو السير مع الإملاءات. وقد حاول الباحث ذلك رغم صعوبة التناول بسبب تعقد الموضوع بين النظري والتطبيقي. ومن النتائج التي وصلت إليها:

١. مع ثبوت مشروعية الختان لكن يبقى هذا حكم قابل للتأثر بمتعلقات كثيرة.
٢. لم يثبت من وجهة نظر الورقة وجود مبررات كافية للمنع والإجبار على المنع.
٣. لا توجد مبررات كافية للضغط على المجتمعات التي تقوم بعملية ختان الإناث.
٤. تتطلب عملية الختان دراستها والتعمق في معرفة أبعادها وآثارها وفوائدها وسلبياتها في نظر بعض الدراسات من قبل خبراء ثقات.
٥. الحاجة الشديدة إلى التوعية بممارسة الختان على الوجه الشرعي الصحيح ووفقا لأقصى ما يمكن من وسائل وقائية وبيئة طبية ممتازة.

ويوصي الباحث بأمر:

١. السعي لبحث عملية ختان الإناث من قبل الخبراء والمراكز الطبية الموثوق بها، وأن تتبنى الحكومات ذلك بشكل جاد وبكفاءة عالية بعيدا عن العاطفة أو الإملاءات الخارجية.
٢. زيادة توعية المجتمعات التي تمارس الختان بالكيفية السليمة، عبر الدورات والدراسات.

مصادر البحث

١. الإسنوي: عبد الرحيم بن الحسن، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، (ط ١)، نهاية السؤل شرح منهاج الوصول، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢. الألباني: مُحَمَّد ناصر الدين، السلسلة الصحيحة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، مكتبة المعارف، الرياض.
٣. أبو داود: السنن، المكتبة العصرية، بيروت.
٤. أبو عليان: بسام مُحَمَّد، ٢٠١٣ م، (ط ١)، الحياة الأسرية.
٥. البار: مُحَمَّد علي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، (ط ١٠)، خلق الإنسان بين الطب والقرآن.
٦. البخاري: مُحَمَّد بن إسماعيل، ١٤٢٢ هـ، (ط ١)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه . صحيح البخاري .، دار طوق النجاة.
٧. البهوتي: منصور بن يونس، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، (ط ١)، دقائق أولي النهى لشرح المنتهى، عالم الكتب.
٨. ابن تيمية الجد: عبد السلام بن عبد الله ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، (ط ٢)، المحرر، مكتبة المعارف، الرياض.
٩. ابن حجر: أحمد ابن علي العسقلاني، ١٣٧٩ هـ، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت.
١٠. ابن حزم: علي بن أحمد، مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. ابن قدامة: عبد الله بن أحمد المقدسي، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م، المغني، مكتبة، القاهرة.
١٢. ابن القيم، تحفة الودود بأحكام المولود، دار الجيل.
١٣. ابن منظور: مُحَمَّد بن مكرم، ١٤١٤ هـ، (ط ٣)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
١٤. ابن هشام: عبد الملك بن هشام، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م، (ط ٢)، سيرة ابن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
١٥. ابن الهمام: مُحَمَّد بن عبد الواحد، فتح القدير، دار الفكر.
١٦. الدردير: مُحَمَّد بن أحمد، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي عليه، دار الفكر، بيروت.
١٧. الرازي: مُحَمَّد بن أبي بكر، ١٤١٧ هـ، (ط ١)، تحفة الملوك، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

١٨. الشعراوي: مُجَدِّ متولي، تفسير الشعراوي، تُنظر الرابط <https://2u.pw/Z2gzN>
١٩. العراقي: عبد الرحيم بن الحسين، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ط (١)، المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، دار ابن حزم، بيروت.
٢٠. الفيومي: أحمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
٢١. القرضاوي: يوسف، ١٤٢٢ هـ، (ط ١)، السياسة الشرعية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٢. قلعجي: مُجَدِّ رواس، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ط ٢)، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس.
٢٣. المرتضى: أحمد بن يحيى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، (ط ١)، البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، دار الحكمة اليمانية، صنعاء.
٢٤. مسلم: مسلم بن الحجاج، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار إحياء التراث العربي.
٢٥. المطرزي: ناصر ابن عبد السيد، المغرب في ترتيب المغرب، دار الكتب العربي.
٢٦. النووي: يحيى بن شرف، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، (ط)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٧. النووي: يحيى بن شرف، المجموع، دار الفكر، بيروت.
٢٨. الهيتمي: علي بن أبي بكر، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة.

الدوريات:

٢٩. أبو الفتوح شرف الدين، (محرم ١٤٠٨ هـ - سبتمبر ١٩٨٧ م)، الختان بين الشرائع السماوية والعلم الحديث، المجلة العربية، عدد ١٢٠ سنة ١١، الرياض.



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة-علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ٥٨٩٤-٢٦١٧:ISSN

ظلم النفس وتوجه المسؤولية الفردية عليه دراسة لنماذج من القرآن الكريم

د/عبدالرقيب عبده خالد عبدالله
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
اليمن - فرع إب

dr.abdulrkib@gmail.com

www.uqs.me

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان حقيقة ظلم النفس، وما يترتب عليه من مسؤولية فردية؛ وذلك من خلال دراسة نماذج من القرآن الكريم. وقد اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي؛ من أجل الوصول إلى ما يهدف إليه هذا البحث. وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد فيه بيان مصطلحات البحث، وخمسة مباحث، فيها بيان النهي عن ظلم النفس، وذكر نماذج قرآنية لمن وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، ودعوة الله تعالى من ظلم نفسه للتوبة إليه، وعاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى عدة نتائج، منها: أن الله نهي الناس عن ظلم أنفسهم، وبين لهم مخاطر وعواقب هذا النوع من الظلم في الدنيا والآخرة، وذكر الله تعالى لنا - في كتابه الكريم - نماذج متنوعة لمن ظلموا أنفسهم؛ حتى نحذر من سلوك مسلكهم والوقوع فيما وقعوا فيه، وأن اليهود والكفار أكثر الناس وقوعاً في ظلم أنفسهم، وظلم النفس يقع فيه كثير من المسلمين بنسب متفاوتة، وظلم النفس لا تصل آثاره إلى آخرين، بل يضر صاحبه في الدنيا والآخرة، وأن الله فتح باب التوبة لمن ظلموا أنفسهم قبل الندامة يوم الوقوف بين يديه.

كلمات مفتاحية: الظلم، النفس، القرآن الكريم.

Abstract

The present study aims at recognizing the oppression of one's soul and its aftermaths and personal duties through the study of some models from the Holy Quran. The research method of this study is the descriptive and analytical method. This study introduction including the terms related to 'consists of a prelude and five chapters. These chapters include a 'the topic of study declaration of the avoidance of the oppression of one's soul. More models are presented to support the topic and to behave according to the Allah's approach in this regard. The results obtained from this study can be found that Allah has prohibited the oppression of one's soul. Allah has disclosed for all humans the terrible results of this oppression in this life and the life hereafter. Allah has given us some examples of those who oppressed themselves to be away from them and to warn others 'from their oppressed behaviour. Among these are the Jewishes Christians and some mistaken Muslims with relative percentage. This oppression goes beyond the oppressor himself or herself. The solution for this dilemma is totally in repentance which is still open for all the sinners before it is too late. This study concluded with the major results and recommendations.

Keywords:

Holy Quran ' Soul' Oppression

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أما بعد:

فإن المسلم مطلوب منه أن يسعى لتخليص نفسه من عذاب الله وعقابه في الآخرة، ولن يحصل على هذه الأمنية العزيزة إلا إذا ابتعد عن الوقوع في ظلم نفسه - وذلك بتجنب الوقوع في المعاصي والسيئات وكل ما يجلب له سخط الله وعقابه - فعلى المسلم الطالب للنجاة أن يُلم بأطراف هذا الموضوع، من خلال التأمل في النماذج القرآنية التي ذكرها الله في كتابه الكريم لمن وقعوا في ظلم أنفسهم؛ وأن يتعرّف على مخاطر ظلمه لنفسه، وعاقبة ذلك عليه في الدنيا والآخرة.

أهمية البحث

حذر الله عباده من الوقوع في الظلم بكل صوره وأنواعه - سواء كان هذا الظلم بين العبد وبين ربه سبحانه تعالى، أو بينه وبين الخلق، أو وقع العبد في ظلم في حق نفسه. والنوعان الأولان من أنواع الظلم قد حظيا بالدراسة والبحث بشكل كبير، وظلم النفس لم يحضَ بدراسة مستوفاة - حسب علمي - فكانت هذه الدراسة مساهمةً مني لسد هذه الفجوة.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث لتحقيق ما يلي:

- ١: بيان حقيقة ظلم النفس.
- ٢: ذكر مدى خطورة هذا النوع من أنواع الظلم.
- ٣: ذكر نماذج قرآنية لمن وقعوا في ظلم أنفسهم.
- ٤: بيان أهمية التوبة من ظلم النفس.
- ٥: ذكر عاقبة ظلم النفس في الدنيا والآخرة.

مشكلة البحث

ظلم النفس قد يتساهل بالوقوع فيه الكثير من الناس، رغم أن له عواقب ومخاطر متعددة في الدنيا والآخرة؛ فكان لا بد من بيان تلك العواقب والمخاطر من خلال القرآن الكريم، ومعرفة طريق التوبة إلى الله تعالى من ظلم النفس.

تساؤلات البحث

يجيب هذا لبحث عن الأسئلة التالية:

- ١- ما حقيقة ظلم الإنسان لنفسه؟
- ٢- ما النماذج الإنسانية التي ذكرها القرآن الكريم لمن ظلموا أنفسهم؟
- ٣- ما الطريق إلى التوبة من ظلم النفس؟
- ٤- ما العواقب المترتبة على ظلم النفس في الدنيا والآخرة؟

حدود البحث

نماذج من الآيات القرآنية المتعلقة بظلم النفس في القرآن الكريم.

منهجية البحث

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، وذلك من خلال تتبع الآيات التي تدل على الموضوع، وتقسيمها بحسب دلالاتها إلى مباحث، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وآرائهم.

الدراسات السابقة

موضوع الظلم - بشكل عام - كتب فيه أهل العلم كتباً كثيرة في القديم والحديث، ومن أبرز الكتب التي وقفت عليها في هذا الموضوع ما يلي:

١. معاملة الظالم، لابن رجب الحنبلي، وهي رسالة طبعت ضمن مجموعة رسائل لابن رجب، وقد ذكر فيها مجموعة من الأحاديث النبوية، التي فيها بيان كيفية التعامل مع الظالم السارق.

٢. ذم البغي، لابن أبي الدنيا، أيضاً عالج موضوع البغي والظالم مستدلاً على ذلك بالأحاديث النبوية، وقد حوى الكتاب على أكثر من ثلاثين نصاً نبوياً في ذلك، وهي دائرة ما بين الحديث الصحيح والضعيف، ولم يتناول الموضوع من ناحية قرآنية.
٣. الظلم والظالمون، للشيخ محمد متولي الشعراوي، تحدث فيه الشيخ بصورة اجمالية عن الظلم ومخاطره، وذكر عقوبات الله للظالمين في الدنيا الآخرة.
٤. الظلم وانعكاساته على الإنسانية، وهو عبارة عن بحث ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادر عن إدارة البحوث الإسلامية في دولة قطر، للأستاذ الدكتور عثمان محمد غنيم، وقد تناول فيه الباحث حديثاً عن صور من صور الظلم المعاصرة كالظلم السياسي والظلم الاجتماعي، وآثارهما في الحياة المعاصرة.
- ومع كثرة الكتب والبحوث التي كُتبت حول الظلم، إلا أن الباحث لم يجد بحثاً موضوعياً مستقلاً في ظلم النفس، وإنما يُشير إليه أهل العلم في كتبهم إشارات سريعة - في القديم والحديث - فكان هذا البحث مساهمة من الباحث لبيان هذا النوع من الظلم ودراسة بصورة مستقلة.

خطة البحث

اقتضت خطة البحث أن يتكون من مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة:

المقدمة: ذكرت فيها، أهمية البحث، وأهدافه، مشكلة البحث، تساؤلاته، وحدود البحث، منهجية الباحث التي سار عليها، والدراسات السابقة في الموضوع، وخطة البحث.

التمهيد: يشتمل على التعريف بمصطلحات البحث

المبحث الأول: النهي عن ظلم النفس.

المبحث الثاني: نماذج قرآنية لمن ظلموا أنفسهم.

المبحث الثالث: ظلم اليهود لأنفسهم.

المبحث الرابع: التوبة من ظلم النفس.

المبحث الخامس: عاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

التعريف بمصطلحات البحث

أولاً: الظلم في اللغة

قال ابن فارس: "الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وَضَعُ الشَّيْءِ غيرَ موضعه تعدياً"^(١).

وقال ابن منظور: "الظُّلْمُ وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غيرِ موضِعِهِ، وَأصلُ الظُّلْمِ الجَوْزُ ومُجَاوِزَةُ الحدِّ ومنه حديث الوُضوءِ: "من زاد فقد أساء وظلم أو اعتدى وظلم"^(٢) أي أساء الأدب بتركه السُّنَّةَ والتَّأدُّبَ بِأدبِ الشَّرْعِ وظلَمَ نَفْسَهُ بما نَقَصَهَا من الثواب بِتَرْدَادِ المَرَاتِ فِي الوُضوءِ، وفي التنزيل العزيز ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ {الأنعام: ٨٢}، قال ابن عباس وجماعة أهل التفسير لم يخلطوا إيمانهم بشرك"^(٣).

ثانياً: الظلم في الاصطلاح

عرّفه الجرجاني بقوله: "وضع الشيء في غير موضعه، وفي الشريعة: عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاورة الحد"^(٤) وقال المناوي: "الظلم التصرف في ملك الغير ومجاورة الحد، وقيل وضع الشيء بغير محله بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه"^(٥).

ثالثاً: أنواع الظلم

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة. ٣/ ٣٦٦.

(٢) مُجَدُّ بن إِسْحَاقَ بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، برقم (١٧٤)، وتام الحديث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن أعرابياً أتى النبي ﷺ، فسأله عن الوضوء، فتوضأ رسول الله ﷺ ثلاثاً ثلاثاً، فقال: « من زاد فقد أساء وظلم أو اعتدى وظلم »

(٣) مُجَدُّ بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب. ١٢/ ٣٧٣.

(٤) علي بن مُجَدُّ بن علي الزين الشريف الجرجاني، التعريفات، ص ٤٦٤.

(٥) مُجَدُّ عبد الرؤوف المناوي التوقيف على مهمات التعاريف، ص ٢١٤.

قال الإمام الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى " الظُّمُّ ثلاثةٌ: الأول: ظلمٌ بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشرك والتفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ {لقمان: ١٣}، والثاني: ظلمٌ بينه وبين الناس، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوتِيَكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {الشورى: ٤٢}، والثالث: ظلمٌ بينه وبين نفسه، وإيَّاه قصد بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ {فاطر: ٣٢} (١) وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " فالظلم ثلاثة أنواع، فالظلم الذي هو شرك لا شفاعاة فيه، وظلم الناس بعضهم بعضا لا بد فيه من إعطاء المظلوم حقه لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يعطى المظلوم من الظالم، كما قد يغفر لظالم نفسه بالشفاعة، فالظالم المطلق ما له من شفيع مطاع، وأما الموحد فلم يكن ظالما مطلقا بل هو موحد مع ظلمه لنفسه، وهذا إنما نفعه في الحقيقة إخلاصه لله فيه صار من أهل الشفاعاة" (٢).

والدليل على تقسيم الظلم إلى هذه الأنواع الثلاثة ما جاء في ذلك من أحاديث نبوية، فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " الظلم ثلاثة، فظلم لا يتركه الله وظلم يغفر وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر، فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر، فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يترك، فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض" (٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: " قال رسول الله ﷺ: «الدواوين ثلاثة،

(١) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٣٧، باختصار.

(٢) أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحراني، مجموع الفتاوى، ٧/٧٨

(٣) أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٥٢٠٤هـ)، مسند أبي داود الطيالسي برقم (٢٢٢٣)،

وحسنه محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة برقم (١٩٢٧).

فديوان لا يغفر الله منه شيئاً، وديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئاً فالإشراك بالله عز وجل قال الله عز وجل قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ {النساء: ٤٨}، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً قط فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فمظالم العباد بينهم القصاص لا محالة»^(١) وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "وأما حديث الدواوين فإنما فيه أن حق الرب تعالى لا يؤوده أن يهبه ويسقطه ولا يحتفل به ويعتني به كحقوق عباده، وليس معناه أنه لا يؤاخذ به البتة، وأنه كله صغائر، وإنما معناه أنه يقع فيه من المسامحة والمساهلة والإسقاط والهبة ما لا يقع مثله في حقوق الآدميين"^(٢)

رابعاً: معنى ظلم الإنسان لنفسه

بعد أن علمنا أنواع الظلم، بقي أن نعلم معنى ظلم الإنسان لنفسه، قال الإمام ابن القيم: "ظلم النفس إنما هو بالمعاصي، واتباعها شهواتها وإيثارها لها على طاعة ربها"^(٣)؛ ذلك أن النفس تلحقها العقوبات الربانية بسبب ارتكابها لتلك لذنوب والمعاصي؛ لهذا قال الإمام ابن الجوزي: "ذكر أهل التفسير أن الظلم في القرآن على ستة أوجه... ومنها الأضرار بالنفس، ومنه قوله تعالى ﴿وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ {هود: ١٠١}،^(٤) ويؤيد هذا ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للنبي ﷺ: "علمني دعاء أدعوه في صلاتي

(١) أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري (المتوفى: ٤٠٥ هـ)، المستدرک علی الصحیحین وبذیلہ التلخیص، للذهبي برقم (٨٨٦٨)، وقال عنه الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الحافظ الذهبي في التلخيص معلقاً على هذا الحديث: فيه صدقة بن موسى الدقيقي ضعفوه، وابن بابنوس فيه جهالة.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ٣٢٧/١.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية، طريق المهجرتين وباب السعادتين، ص ٢٩٤، باختصار وتصرف يسير.

(٤) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص ٤٢٨ باختصار.

قال: «قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمي إنك أنت الغفور الرحيم»^(١)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوا فإنه يحى بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة ونحو ذلك بخلاف ديوان الشرك فإنه لا يحى إلا بالتوحيد وديوان المظالم لا يحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها"^(٢)

وأنواع الظلم الثلاثة في الحقيقة هي ظلم للنفس، ويدل على هذا المعنى حديث أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما قالوا يا رسول الله: هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما؟ قال تأخذ فوق يديه»^(٣)، "قال ابن بطال: النصر عند العرب الإعانة، وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم من تسمية الشيء بما يؤول إليه، وهو من وجيز البلاغة، وقال البيهقي: معناه أن الظالم مظلوم في نفسه فيدخل فيه ردع المرء عن ظلمه لنفسه حسا ومعنى^(٤) .

وبهذا يتبين لنا أن ظلم الإنسان لنفسه أحد أنواع الظلم الثلاثة التي جاء النهي عنها، وأنه أخف أنواع الظلم - لأنه يجري فيه من المسامحة بين العبد وربّه مالا يجري مع غيره من أنواع الظلم الأخرى - وأن ظلم النفس يشمل على فعل صغائر الذنوب وكبائرها، وهو ما سنتناوله في بحثنا هذا، حيث سنذكر نماذج قرآنية لتلك الذنوب والمعاصي التي ارتكبتها جماعة من الناس، فظلموا أنفسهم بذلك؛ فاستحقوا عقوبات الله لهم في الدنيا وعذابه في الآخرة.

(١) مُجَدِّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، صحيح البخاري، برقم (٥٨٥١).

(٢) مُجَدِّد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ٣٣.

(٣) صحيح البخاري برقم (٢٢٦٤).

(٤) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٥ / ٩٥.

المبحث الأول:

النهي عن ظلم النفس

نزه الله تعالى نفسه عن ظلمه لعباده، وبين لنا في كتابه الكريم أن الناس هم الذين يظلمون أنفسهم، بكفرهم بالله تعالى، أو بارتكابهم المعاصي والسيئات، وتركهم لطاعة ربه سبحانه وتعالى، قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٤٤) {يونس: ٤٤}، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "ذكر هذا عقب ما تقدّم من عدم الاهتداء بالأسماع والأبصار، لبيان أن ذلك لم يكن لأجل نقص فيما خلقه الله لهم من السمع والعقل، والبصر والبصيرة، بل لأجل ما صار في طبائعهم من التعصب والمكابرة للحق، والمجادلة بالباطل، والإصرار على الكفر، فهم الذين ظلموا أنفسهم بذلك، ولم يظلمهم الله شيئاً من الأشياء، بل خلقهم وجعل لهم من المشاعر ما يدركون به أكمل إدراك، وركب فيهم من الحواس ما يصلون به إلى ما يريدون، ووفر مصالحهم الدنيوية عليهم، وخلق بينهم وبين مصالحهم الدنيوية" (١)، وعن أبي ذر عن النبي ﷺ، فيما يرويه عنه ربه عز وجل: "يا عبادي، إني حرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا - إلى أن قال في آخره: يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يَلُومَنَّ إلا نفسه". (٢).

ومن رحمة الله تعالى بعباده أن بين لهم طريق الهدى والضلال، وبين لهم أسباب النجاة في الدنيا وسبل السعادة في الآخرة، وحذرهم من أن يقعوا في ظلم أنفسهم؛ حتى لا يتعرضوا لسخط الله تعالى وعقابه قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

(١) مُجَدِّدُ بَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشُّوْكَانِي، فَتْحُ الْقَدِيرِ، ٣ / ٣٧٩.

(٢) مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ أَبُو الْحَسَنِ الْقَشِيرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ، صَحِيحُ مُسْلِمٍ، بِرَقْمِ (٤٦٧٤).

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ {التوبة: ٣٦}، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: إن عدة شهور السنة اثنا عشر شهرا في كتاب الله، الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى ﴿اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةً حُرْمًا﴾، وهذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم، كانت الجاهلية تعظمهن، وتحرمهن، وتحرم القتال فيهن، حتى لولقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه، وهن: رجب مضر وثلاثة متواليات، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أبي بكر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ خطب في حجة الوداع فقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان»^(١)، وأما قوله: ﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْتُمْ﴾، فإن معناه: هذا الذي أخبرتكم به، من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله، وأن منها أربعة حرما: هو الدين المستقيم، وأما قوله: ﴿فَلَا تَظَلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، فإن معناه: فلا تعصوا الله فيها، ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه.

ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه "الهاء" و"النون" في قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾، فقال بعضهم: عاد ذلك على "الاثني عشر شهر، وقال: معناه: فلا تظلموا في الأشهر كلها أنفسكم، وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في الأربعة الأشهر الحرم أنفسكم، و"الهاء والنون" عائدة على "الأشهر الأربعة، قال قتادة: الظلم في الأشهر الحرم عظم خطيئة ووزرا، من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيما، ولكن الله يعظم من أمره ما شاء، فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظم الأمور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل،

(١) صحيح البخاري، برقم (٤٢٩٤).

وقال آخرون: بل معنى ذلك: فلا تظلموا في تصييركم حرام الأشهر الأربعة حلالا وحلالها حراما.

قال الإمام الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسكم، باستحلال حرامها، فإن الله عظمها وعظم حرمتها، وإنما قلنا: ذلك أولى بالصواب في تأويله، لقوله: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة إلى العشرة؛ وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة، إذا كنت عنه: "فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون، ولأربعة أيام بقين" وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت: "فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت، ولأربع عشرة مضت" فكان في قوله جل ثناؤه: ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾، وإخراجه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة، الدليل الواضح على أن "الهاء والنون"، من ذكر الأشهر الأربعة، دون الاثني العشر؛ لأن ذلك لو كان كناية عن "الاثني عشر شهرا"، لكان: فلا تظلموا فيها أنفسكم، فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت، فهل يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا في غيرهن من سائر شهور السنة؟! قيل: ليس ذلك كذلك، بل ذلك حرام علينا في كل وقت وزمان، ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الأشهر وشرفهن على سائر شهور السنة، فخص الذنب فيهن بالتعظيم، كما خصهن بالتشريف، وذلك نظير قوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ {البقرة: ٢٣٨}، ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾، ولم يبح ترك المحافظة عليهن، بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى، ولكنه تعالى ذكره زادا تعظيما، وعلى المحافظة عليها توكيدا وفي تضييعها

تشديداً. فكذلك ذلك في قوله: ﴿ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾^(١).

وذكر الإمام ابن الجوزي أربعة أقوال بالمراد بظلم النفس في الأشهر الحرم، فقال رحمه الله تعالى: " في معنى الظلم فيهن أربعة أقوال أحدها: أنها المعاصي، فتكون فائدة تخصيص النهي عنه بهذه الأشهر، أن شأن المعاصي يعظم فيها أشد من تعظيمه في غيرها؛ وذلك لفضلها على ما سواها، كقوله تعالى: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ {البقرة: ١٩٧}، وإن كان منهيها عن هذه الأمور في غير الحج، هذا قول الأكثرين .

والثاني: أن المراد بالظلم فيهن فعل النسيء: وهو تحليل شهر محرم، وتحريم شهر حلال، قاله ابن إسحاق،

والثالث: أنه الابتداء بالقتال فيهن، فيكون المعنى: فلا تظلموا أنفسكم بالقتال فيهن إلا أن يبدؤوكم بالقتال، قاله مقاتل.

والرابع: أنه ترك القتال فيهن، فيكون المعنى: ﴿ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾ بترك المحاربة لعدوكم، قاله ابن بحر، وهو عكس قول مقاتل، والسر في أن الله تعالى عظم بعض الشهور على بعض، ليكون الكف عن الهوى فيها ذريعة إلى استدامة الكف في غيرها تدريجاً للنفس إلى فراق مألوفها المكروه شرعاً^(٢).

فالنهي عن ظلم النفس - بالمعاصي والسيئات - يشمل سائر الأيام والليالي، إلا أن حرمتها تزداد تأكيداً في الأشهر الحرم؛ لمكانة هذه الأشهر ومنزلتها عند الله تعالى.

(١) مُجَدِّد بن جرير، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ٢٣/١٤، باختصار، وتصرف يسير.

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ٣/١٧٣، باختصار وتصرف يسير.

المبحث الثاني:

نماذج قرآنية لمن ظلموا أنفسهم

ذكر الله تعالى - في كتابه الكريم - لنا نماذج كثيرة لمن ظلموا أنفسهم، وذكُر هذه النماذج حتى نعتبر بها، ولا نقع فيما وقعوا فيه، وهي نماذج متنوعة، فمنهم من ظلم نفسه فقاده ظلمه لنفسه للكفر بالله تعالى وإلى الإعراض عن نعم الله تعالى، ومنهم من قاده ظلمه لنفسه فأنكر قدرة الله تعالى ولقائه، منهم من وقع في هذا النوع من الظلم فبعد غير الله تعالى، ومنهم من ظلم نفسه بصدده عن سبيل الله تعالى وظلمه لغيره، وسوف ينتظم الحديث في هذا المبحث في أربعة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:

ظلم قوم سبأ لأنفسهم، بإعراضهم عن نعم الله تعالى

ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم، قصة قوم سبأ الذين ظلموا أنفسهم بإعراضهم عن نعم الله تعالى، وسميت سورة كاملة باسمهم "سورة سبأ"، وأخبر تعالى أنه أنعم عليهم بنعم كثيرة، فأعطاهم جنتين عن أيما نعم وشمائلهم، فيهما كل ما تهواه أنفسهم، فقابلوا كل هذه النعم بالإعراض عن الله تعالى وكفران نعمه، وبذلك وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، واستحقوا عقاب الله، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ. بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ } سبأ: ١٥ - ١٩ {، قال ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية: "وكان لأهل سبأ سد عظيم قرب بلاد مأرب يعرف بسد مأرب، وكان أعظم السداد في بلاد اليمن التي كانت فيها سداد كثيرة متفرقة،

وكانوا قد جعلوا هذه السدود لحزن الماء الذي تأتي به السيول في وقت نزول الأمطار في الشتاء والربيع ليسقوا منها المزارع والجنات في وقت انحباس الأمطار في الصيف والخريف.. وكان سد مأرب - الذي يحفظ فيه سيل العرم - شرع في بنائه سبأ أول ملوك هذه الأمة، ولم يتمه فأتمه ابنه حمير، وكان يصب في سد مأرب سبعون وادياً^(١)، وجعلوا هذا السد بين جبلين يعرف كلاهما بالبلق، فهما البلق الأيمن والبلق الأيسر، وأعظم الأودية التي كانت تصب فيه اسمه "إذنه"، ولا يعرف وقت انهدام هذا السد ولا أسباب ذلك، والظاهر أن سبب انهدامه اشتغال ملوكهم بحروب داخلية بينهم ألهتهم عن تفقد ترميمه حتى تخرب، أو يكون قد خربه بعض من حاربه من أعدائهم.

وقد ذكر أهل القصص لهذا التفرق سبباً هو أشبه بالخرافات فأعرضت عن ذكره، وهو موجود في كتب السير والتواريخ^(٢)، وعندني أن ذلك لا يخلو من خذلان من الله تعالى سلبهم التفكير في العواقب فاستخف الشيطان أحلامهم فجزعوا من انقلاب حالهم ولم يتدرعوا بالصبر حين سلبت عنهم النعمة ولم يجأروا إلى الله بالتوبة فبعثهم الجزع والطغيان والعناد وسوء التدبير من رؤسائهم على أن فارقوا أوطانهم عوضاً من أن يلموا شعهم ويرقعوا خرقهم فتشتتوا في الأرض، ولا يخفى ما يلاقون في ذلك من نصب وجوع ونقص من الأنفس والحمولة والأزواد والحلول في ديار أقوام لا يرثون لحالهم ولا يسمحون لهم بمقاسمة أموالهم فيكونون بينهم عافين^(٣).

قال الإمام الألويسي: ﴿ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة وغمطوها ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ﴾ جمع أحادثة، وهي ما يتحدث به على سبيل

(١) في مأرب السد المشهور وإليه تسيل أودية مأرب التي تأتي من بلاد رداع وأكثر بلاد دمار، وجميع بلاد الحدا وقاع جهران وحولان العالية وغير ذلك من الأودية، ينظر: مُجَدُّ بن أحمد بن علي الحجري، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ٢/ ٦٨٤.

(٢) ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية. ٣/ ١١٣، باختصار.

(٣) مُجَدُّ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٢/ ١٦٩، باختصار وتصرف.

التلهي والاستغراب لا جمع حديث على خلاف القياس، وجعلهم نفس الأحاديث إما على المبالغة أو تقدير المضاف أي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من أحوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم، وقيل: المراد لم يبق منهم إلا الحديث عنهم، ولو بقي منهم طائفة لم يكونوا أحاديث ﴿وَمَزَقْنَهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ المراد بتمزيقهم تفريقهم بالتباعد، وقد لحقت غسان بالشام وأمار بيثرب وجزام بتهامة والأزد بعمان، وقضاعة بمكة وأسد بالبحرين وخزاعة بتهامة، والحق أن تمزيقهم وتفريقهم في البلاد كان بعد إرسال السيل، نعم لا يبعد خروج بعضهم قبيله حين استشعروا وقوعه، وزعم بعضهم أن تفرقهم كان قبيل مجيء السيل، وفي الحديث أن سبأ أبو عشرة قبائل فلما جاء السيل على مأرب تيامن منها ستة قبائل وتشاءمت أربعة^(١)، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي فيما ذكر من قصتهم ﴿لَايَاتٍ﴾ عظيمة ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ أي شأنه الصبر على الشهوات ودواعي الهوى وعلى مشاق الطاعات، وقيل: شأنه الصبر على النعم؛ بأن لا يبطر ولا يطغى ﴿شَكُورٍ﴾ شأنه الشكر على النعم، وتخصيص هؤلاء بذلك؛ لأنهم المنتفعون بها^(٢).

فقوم سبأ كانوا قوماً كافرين، قادمهم كفرهم إلى ظلم أنفسهم؛ بأن عرضوا عن نعم الله تعالى عليهم، ولم يشكروه عليها؛ فاستحقوا أن يهلكهم الله بسيل العرم، قال تعالى - معلقاً على سبب هلكهم -: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَهُمْ كُفَرُوا إِلَّا الْكَافُرَ﴾ {سبأ: ١٧}.

(١) عن فروة بن مسيك المرادي رضى الله عنه قال أتيت النبي ﷺ... فقال رجل: يا رسول الله وما سبأ أرض أو امرأة قال: "ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجزام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأمار" فقال رجل: يا رسول الله وما أمار؟ قال: الذين منهم خنعم وبجيلة" ينظر: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، برقم (٣٢٢٢)، الحديث مختصراً، وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقال عنه الألباني، في صحيح الترمذي: حديث حسن صحيح برقم (٢٥٧٤)

(٢) شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٦ / ٢٩٣، باختصار وتصرف.

المطلب الثاني:

صاحب الجنة الذي ظلم نفسه بإنكاره قدرة الله تعالى ولقائه

ذكر الله تعالى في كتابه الكريم كثيراً من القصص التي وقعت في الأمم الماضية، والهدف من إيراد هذه القصص أخذ العبرة والعظة، وغرس الإيمان وتثبيتته في نفوس المؤمنين، وبيان عاقبة ظلم النفس، ومن هذه القصص قصة الرجل الذي آتاه الله جنتين فيهما الوان كثيرة من الفواكه والزروع والثمار، فافتتن بجمالهما، وكانتا سببا لظلمه لنفسه؛ بأن جحد نعمة الله عليه، وأنكر البعث والآخرة، ولم يستمع لصاحبه المؤمن الذي ذكره بعظمة الله وقدرته، فعاجله الله تعالى العقوبة في الدنيا، بأن أحاط بجنتيه فدمرهما بما فيهما من الفواكه والثمار، فأصبح نادماً متحسراً على ما حلَّ بجنتيه من هلاك ودمار، وجعل يتحسر على نفقاته الطائلة فيهما، وهو يراهما أمام عينيه وقد أصبحتا خاويتين على عروشهما، فعند ذلك تيقن أن ما أصابه كان بسبب ظلمه لنفسه، وكفره بربه والذي خلقه من تراب، قال الله تعالى واصفا حال هذا الرجل الظالم لنفسه ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِمَّنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ {الكهف: ٣٥ - ٣٨} قال سيد قطب: " قصة الرجلين والجنتين تضرب مثلاً للقيم الزائلة والقيم الباقية، وترسم نموذجين واضحين للنفس المعتزة بزينة الحياة، والنفس المعتزة بالله، وكلاهما نموذج إنساني لطائفة من الناس: صاحب الجنتين نموذج للرجل الثري، تذهله الثروة، وتبطره النعمة، ويجسب هذه النعمة خالدة لا تفتني، فلن تحذله القوة ولا الجاه، وصاحبه نموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه، الذاكر لربه، يرى النعمة دليلاً على المنعم، موجبة لحمده وذكره، لا لجحوده وكفره، وتبدأ القصة بمشهد الجنتين في ازدهار وفخامة: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْثُهُمَا وَلَمْ تَظَلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾﴾ {الكهف: ٣٢ - ٣٣}، وفجأة

ينقلنا السياق من مشهد النماء والازدهار إلى مشهد الدمار والبوار، ومن هيئة البطر، والاستكبار إلى هيئة الندم والاستغفار، فلقد كان ما توقعه الرجل المؤمن: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا بَنِيَّ لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّيٰ أَحَدًا ﴿٤٣﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ {الكهف: ٤٢-٤٤}، وهو مشهد شاخص كامل، الثمر كله مدمر كأنما أخذ من كل جانب فلم يسلم منه شيء، والجنة خاوية على عروشها مهشمة محطمة، وصاحبها يقلب كفيه - أسفاً وحرناً - ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾﴾ {الكهف: ٤٣-٤٤}، ويسدل الستار على مشهد الجنة الخاوية على عروشها، وموقف صاحبها يقلب كفيه أسفاً وندماً، وجلال الله يظلل الموقف، حيث تتوارى قدرة الإنسان^(١).

قال السعدي: "يقول تعالى لنبية ﷺ: اضرب للناس مثل هذين الرجلين، الشاكر لنعمة الله، والكافر لها، وما صدر من كل منهما، من الأقوال والأفعال، وما حصل بسبب ذلك من العقاب العاجل والآجل، والثواب، ليعتبروا بحالهما، ويتعظوا بما حصل عليهما.. وفي القصة إرشاد إلى التسلي عن لذات الدنيا وشهواتها، بما عند الله من الخير، وفيها الدعاء بتلف مال ما كان ماله سبب طغيانه وكفره وخسرانه، خصوصاً إن فضل نفسه بسببه على المؤمنين، وفخر عليهم، وفيها أن ولاية الله وعدمها إنما تتضح نتيجتها إذا انجلي الغبار وحق الجزاء، ووجد العاملون أجرهم"^(٢).

(١) سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، ٦٤/٥، باختصار.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٧٦، باختصار.

فصاحب الجنيتين قاده ظلمه لنفسه إلى كفره بالله تعالى وانكاره لقدرة الله تعالى ولقائه؛ ولم يستمع لنصح صاحبه المؤمن الذي ذكره بخالقه وقدرته، فاستحق أن يُحط الله بجنيته وأن يهلكهما.

المطلب الثالث:

الذين ظلموا أنفسهم بإنفاقهم أموالهم للصد عن سبيل الله

يحرص أعداء الله تعالى من الكفار على جمع الأموال الطائلة، ويسخرونها للصد عن سبيل الله تعالى، وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ { الأنفال: ٣٦ }، وربما أنفقوا بعضاً من أموالهم في وجوه يرون أن فيها خيراً ونفعاً للغير، لكن نفقاتهم هذه لن يتقبلها الله منهم؛ لأنهم قد ظلموا أنفسهم بوقوعهم بالكفر والصد عن سبيل الله تعالى، فلا ينفعهم مع ذلك عمل، وقد ذكر الله تعالى حالتهم هذه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مثل ما يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُمَا وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ { آل عمران: ١١٦-١١٧ }، قال الإمام ابن القيم في تفسيره لهذه الآية: " هذا مثل ضربه الله تعالى لمن أنفق ماله في غير طاعة ربه ومرضاته، فشبّه سبحانه ما ينفقه هؤلاء من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الشناء، وحسن الذكر، ولا يبتغون به وجهه، وما ينفقونه ليصدوا به عن سبيل الله وأتباع رسله - بالزرع الذي يزرعه صاحبه يرجو نفعه وخيره، فأصابته ريح شديدة البرد جداً، يحرق بردها كل ما يمر عليه من الزرع والثمار، فأهلكت ذلك الزرع وأبيسته، .. وفي قوله ﴿ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ﴾ تنبيه على

أن سبب إصابتها لحرثهم هو ظلمهم، فهو الذي سلط عليهم الريح المذكورة، حتى أهلكت زرعهم وأبيسته. فظلمهم هو الريح التي أهلكت أعمالهم ونفقاتهم وأتلفتها"^(١)

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "قال مقاتل: لما ذكر تعالى مؤمني أهل الكتاب ذكر كفارهم في هذه الآية، والظاهر أن المراد بذلك: كل من كفر بما يجب الإيمان به، .. وقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر المانع من قبول النفقة التي أنفقوها"^(٢).

فما ينفقه الكفار من أموال - في كل زمان ومكان - للصد عن سبيل الله تعالى وظلم عباده، هو في الحقيقة ظلما لأنفسهم؛ لأنهم سيتحملون تبعات ذلك في الدنيا والآخرة.

المطلب الرابع:

ظلم بلقىس لنفسها بعبادتها للشمس من دون الله

كانت بلقىس من قوم كافرين بالله تعالى، يعبدون الشمس من دون الله تعالى، فوقع في ظلم نفسها بفعلها هذا، وبعد المراسلات التي جرت بينها وبين سيدنا سليمان عليه السلام، أخذ يدعوها إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الشمس، فشرح الله صدها للإيمان به سبحانه وتعالى، وبذلك نجت من ظلم نفسها، وقد ذكر الله تعالى لنا هذه الحادثة في قوله تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ {النمل: ٤٤}، قال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ قال أبو عبيدة: الصرح: القصر، وقال الزجاج: الصرح: الصحن، يقال: هذه صرحة الدار وقاعتها، قال ابن قتيبة: الصرح: بلاط اتخذ لها من قوارير، وجعل تحته ماء وسمكا، وحكى أبو عبيد في الغريب أن الصرح كل بناء عال مرتفع، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا﴾ أي فلما رأته

(١) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، ص ٢١٨.

(٢) الشوكاني، فتح القدير ١٥/٢ مرجع سابق، باختصار.

الصرح بين يديها حسبت أنه لجة، واللجة: معظم الماء، فلذلك كشفت عن ساقها لتخوض الماء، فلما فعلت ذلك ﴿قَالَ﴾ سليمان: ﴿إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّنَ قَوَارِيرَ﴾ المرمد: المحكوك المملس، ومنه الأمرد، وتمرد الرجل إذا لم تخرج لحيته، قاله الفراء، والمرد أيضا: المطول، ومنه قيل: للحصن مارد، فلما سمعت بلقيس ذلك أذعنت، واستسلمت، و﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ أي بما كنت عليه من عبادة غير الله، وقيل: بالظن الذي توهمته في سليمان؛ لأنها توهمت أنه أراد تغريقها في اللجة، والأول أولى، ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ متابعة له داخله في دينه ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقال الشيخ الشعراوي: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بالكفر أولا، وبظن السوء في سليمان، وأنه يريد أن يغرقني في لجة الماء ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .. وقلها: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ مثل قول سحرة فرعون لما رأوا المعجزة: ﴿ءَأَمْنَا رَبَّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ {طه: ٧٠}؛ لأن الإيمان إنما يكون بالله والرسول دال على الله؛ لذلك قالت: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾^(٢).

فبلقيس وقعت في ظلمها لنفسها؛ لأنها ﴿كَانَتْ مِّنَ قَوْمٍ كٰفِرِينَ﴾ {النمل: ٤٣} {يعبدون الشمس من دون الله تعالى، لكن رحمة الله تداركتها بأن آمنت بالله تعالى، واستجابت لدعوة نبي الله سليمان عليه السلام؛ فأنقذها الله من ظلمها لنفسها.

(١) الشوكاني، فتح القدير ٥/ ٣٦٤، مرجع سابق، باختصار.

(٢) مُجَدِّ مَثَوِي الشُعْرَاوِي، تَفْسِيرُ الشُعْرَاوِي ص ٦٧٥١.

المبحث الثالث:

ظلم اليهود لأنفسهم

يقف بنوا إسرائيل في مقدمة القوم الذين ظلموا أنفسهم، فقد كانوا خير أمة أخرجت للناس، وفضلهم الله على العالمين في زمانهم، ونالوا هذه المنزلة العالية عندما استقاموا على أمر الله تعالى، وآمنوا برسله الذين بعثهم الله فيهم، لكنهم يوم أن تنكبوا عن صراط الله المستقيم، وبغوا وتحاولوا على شرع الله تعالى، واتبعوا خطوات الشيطان الرجيم، فعبدوا العجل من دون الله تعالى، عند ذلك وقعوا في ظلمهم لأنفسهم، فاستحقوا عقوبات الله عليهم، فمزقهم الله في الأرض أمماً، وحرّم الله تعالى عليهم كثيراً من الطيبات، وقد نالوا كل هذه العقوبات، بسبب ظلمهم لأنفسهم وبيغيهم، وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجين من نماذج ظلم النفس الذي وقع فيه بنوا إسرائيل تتناولهما في المطلبين التاليين على النحو الآتي:

المطلب الأول:

ظلم اليهود لأنفسهم بعبادتهم العجل

أرسل الله سيدنا موسى - عليه السلام - نبياً إلى بني إسرائيل؛ لاستنقاذهم من بطش فرعون وكفره، وقد بذل في سبيل ذلك جهداً كبيراً، ولاقى في سبيل تحقيق هذه الغاية من العنت من فرعون وملائته ما لاقى، وفي النهاية أغرق الله فرعون وجنوده في اليم، ونجى الله موسى - عليه السلام - ومن آمن معه، وبعد ذلك ترك سيدنا موسى - عليه السلام - بني إسرائيل وذهب لمناجاة ربه في جبل الطور، ولما عاد إليهم وجد كثيراً منهم قد عبدوا العجل من دون الله تعالى، فظلموا أنفسهم بذلك، وقد ذكر الله لنا هذه الحالة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَيْنَمَا نَزَلْتُمْ أُنْفُسُكُمْ فَلْيُنْهَيْكُمْ عَنْ مَقَامِكُمْ إِذَ النُّزُولِ وَمَا يُخْلِقُ الْإِنْسَانَ إِلَّا فِي خَيْرٍ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا قَوْمٌ يَكْفُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٤]، قال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ﴿ أَي واذكروا إذ قال موسى لقومه بعدما رجع من الموعد الذي وعده ربه فرآهم قد اتخذوا العجل ﴾ يَنْقُومِ إِيَّاكُمْ

ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴿ أي بعبادتكم للعجل، فلما عبدوا العجل كانوا قد أضروا بأنفسهم؛ لأن ما يؤدي إلى ضرر الأبد من أعظم الظلم، ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ {لقمان : ١٣}، لكن هذا الظلم من حقه أن يقيد؛ لئلا يوهم إطلاقه إنه ظلم الغير؛ لأن الأصل في الظلم ما يتعدى، فلذلك قال: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، أما قوله تعالى: ﴿بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾ المراد باتخاذكم العجل إلهاً، وقوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ فيه بل بيان أن توبتهم لا تتم ولا تحصل إلا بقتل النفس؛ وإنما كان كذلك لأن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن شرط توبتهم قتل النفس، كما أن القاتل عمداً لا تتم توبته إلا بتسليم النفس حتى يرضى أولياء المقتول أو يقتلوه، فلا يمتنع أن يكون من شرع موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل (١).

وقال الشيخ الشنقيطي: "قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ﴾، ولم يذكر المفعول الثاني للاتخاذ في جميع القرآن، وتقديره: باتخاذكم العجل إلهاً، كما أشار له في سورة طه بقوله: ﴿فَكَذَّبَكَ الْقَوِيُّ السَّامِرِيُّ﴾ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ ﴿ طه : ٨٧ - ٨٨.﴾ (٢).

فظلم النفس الذي وقع فيه بنو إسرائيل، قادهم إلى عبادة العجل من دون الله تعالى؛ فاستحقوا بذلك أن يُنزل الله بهم أفسى العقوبات في الدنيا، بأن لا تُقبل توبتهم حتى يقتل بعضهم بعضاً؛ ليكونوا عبرةً لكل ظالم لنفسه سلك طريقهم واقتفى آثارهم، إلى يوم الدين.

(١) فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت -

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة: الأولى. ١٠٨/٢

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الناشر: دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان، الطبعة: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م / ١٤٥.

المطلب الثاني:

ظلم اليهود لأنفسهم بغيهم

ومما ظلم به بنو إسرائيل أنفسهم: بغيهم، وتمثل ذلك بتعديهم على حدود الله، وانتهاكهم حرمانه، فتوالت عليهم عقوبات الله المتنوعة؛ بأن حرّمهم من بعض الطيبات، وقطعهم في الأرض أما متفرقة إلى قيام الساعة كما قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ {الأنعام: ١٤٦}، وقد ذكر الله تعالى لنا في كتابه الكريم بعضاً من تلك العقوبات التي أنزلها ببني إسرائيل بسبب ظلمهم لأنفسهم وبغيهم، وسوف نتناول تلك العقوبات على النحو التالي:

العقوبة الأولى: حرّم الله عليهم بعض الطيبات

وهذه الطيبات - التي حرّمها الله تعالى على بني إسرائيل - هي في الأصل كانت حلالاً لهم ولغيرهم، لكن الله حرّمها على بني إسرائيل بسبب ظلمهم لأنفسهم قال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ {النحل: ١١٨}، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "وحرّمنا من قبلك يا محمد على اليهود، ما أنبأناك به من قبل في سورة الأنعام^(١)، وذاك كلّ ذي ظفر، ومن البقر والغنم، حرّمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا، أو ما اختلط بعظم ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ﴾ بتحرّمنا ذلك عليهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فجزيناهم ذلك ببغيهم على ربهم، وظلمهم أنفسهم بمعصية الله، فأورثهم ذلك عقوبة الله"^(٢)

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمًا عَلَيْهِمْ شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ {الأنعام: ١٤٦} (٢) الطبري، جامع البيان ١٧/٣١٥، مرجع سابق.

وقال الشيخ الشعراوي: "اليهود عاقبهم الله بتحريم هذه الأشياء، مع أنها حلال في ذاتها، وهذا تحريم خاصٌ بهم كعقوبة لهم، وقوله تعالى: ﴿ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ مِمَّا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.. حَرَّمَهُ عَلَيْهِمْ عِقَابَهُ لِمَ عَلَى ظَلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ، وَأَوَّلُ الظلم وقمته الشرك بالله تعالى : ﴿ إِنَّكَ الْتَمَرْتُ لَظُلْمٍ عَظِيمٍ ١٣٠ ﴾ {لقمان : ١٣}، ومن ظلمهم: ما قالوه لموسى عليه السلام بعد أن عبر بهم البحر، ومروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ١٣٨ ﴾ {الأعراف: ١٣٨}، ومن ظلمهم لموسى عليه السلام: أنهم لم يؤمنوا به، كما قال تعالى : ﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَكْتُمُوا آيَاتِهِ ١٦١ ﴾ {يونس: ٨٣}، ومن ظلمهم ﴿ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ {النساء: ١٦١}، ومن ظلمهم: أنهم عبدوا العجل من دون الله.

إذن: بسبب ظلمهم وأخذهم غير حرم الله عليهم أشياء كانت حلالاً لهم؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ ظلموا أنفسهم، بأن أعطوا لأنفسهم متاعاً قليلاً عاجلاً، وحرموها من المتعة الحقيقية الباقية^(١). عقوبة لهم على ما اقترفوه.

العقوبة الثانية: تفريقهم في الأرض

الاجتماع بين الأهل والأقارب وأبناء الدين الواحد، نعمة من نعم الله تعالى، ولا يعرف قيمة هذه النعمة إلا من ذاق مرارة الفراق والاعتراب، لهذا كتب الله على بني إسرائيل الفرقة والشتات في الأرض - عليهم يقوموا اعوجاجهم ويصلحوا انحرافهم ويعودوا إلى جادة الصواب - كما قال تعالى ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ {الأعراف: ١٦٨}؛ قال الإمام الألوسي عند هذه الآية: "﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ ﴾ أي فرقنا بني إسرائيل أو صيرناهم ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ وجعلنا كل

(١) الشعراوي، تفسير الشعراوي ص ٥٠٦٢ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

فرقة منهم في قطر من أظفارها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم حتى لا يكون لهم شوكة، ﴿وَمَنْهُمْ أَصْلَحُونَ﴾ وهم آمن بالله تعالى ورسوله وثبت على دينه قبل بعث عيسى عليه الصلاة والسلام، وقيل هم الذين أدركوا النبي ﷺ وآمنوا به ونسب ذلك إلى ابن عباس ومجاهد، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ أي منحطون عن أولئك الصالحين غير بالغين منزلتهم في الصلاح وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر وخالفوا بعضاً مع كونهم مؤمنين، ﴿وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ الخصب والعافية ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ الجذب والشدة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي يتوبون عما كانوا عليه مما نھوا عنه^(١)، وعقوبة تفريق الله لبني إسرائيل في الأرض تُضاف لعقوبة أخرى ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِبِعْنَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

{الأعراف: ١٦٧} ، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ﴾ تَفَعَّلَ من الإذن أي: أعلم، قاله مجاهد. وقال غيره: أمر، ﴿لِبِعْنَنَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ أي: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتياهم على المحارم، وقد كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكلدانيين، ثم صاروا في قهر النصراني، ثم جاء الإسلام، ومُجِّد، عليه أفضل الصلاة والسلام، فكانوا تحت صفاره وذمته يؤدون الخراج الجزية^(٢)، قال ابن عباس في تفسير سوء العذاب: هي المسكنة، وأخذ الجزية منهم، ثم إنهم في آخر الزمان يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم، عليه السلام، وذلك آخر الزمان^(٣)، وعقوبة الله لليهود - بضرَب الذلة والمسكنة عليهم - لا تتنافى مع رفعها عنهم في بعض الأوقات، إذا أراد الله ذلك، أما بعث من يسومهم سوء

(١) الألويسي، روح المعاني ٦/ ٤١٢، باختصار وتصرف يسير.

(٢) قلت: وفي عصرنا الحاضر سلب الله عليهم هتلر ألمانيا، فسامهم سوء العذاب، وقتل منهم خلقاً كثيراً، حتى إنهم إلى اليوم لا يزالون يندبون حُضْمَهُمْ، ويتباكون على ما يسمونها المحرقة النازية التي وقعت لهم في ألمانيا، وما علموا أنها جزء من العقاب الإلهي الذي توعدهم الله به إلى يوم القيامة، فسبحان من تجري الأمور وفق إرادته ومشيئته.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٩٧، باختصار، وتصرف يسير.

العذاب فهذا مستمر معم إلى يوم القيامة، وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام الرازي حيث قال: " واحتج بعض العلماء على لزوم الذل والصغار لليهود بقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ { آل عمران: ١١٢ }، إلا أن دلالتها ليست قوية لأن الاستثناء المذكور في هذه الآية يمنع من القطع على لزوم الذل لهم في كل الأحوال، أما آية ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَنَ عَلَيْهِمَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَنَعْفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾، لم يحصل فيها تقييد ولا استثناء، فكانت دلالتها على هذا المعنى قوية جداً^(١)، وقد ذكر الله في كتابه الكريم بأن تلك العقوبات التي أنزلها الله ببني إسرائيل إنما كانت بسبب ظلمهم لأنفسهم، وعدم شكره على نعمه التي أنعم بها عليهم كما قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ آبِضٍ أَنْضَبَ عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَبِيبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ { الأعراف: ١٦٠ }. وما تجدر الإشارة إليه أن عقوبة الله لليهود - بضرب الشتات عليهم وتفريقهم في الأرض - لا يتنافى مع تجمع الشتاتهم وتكوين دولتهم، وهذا من العلو في الأرض الذي يجعله الله لليهود في آخر الزمان قبل قيام الساعة، وهو دليل على قرب نهايتهم، وصدق الله القائل: ﴿ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِيَنبِي إِسْرَائِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴾ { الإسراء: ١٠٤ }.

(١) الرازي ، مفاتيح الغيب / ٢٨٥ ، مرجع سابق، بتصرف يسير

المبحث الرابع:

التوبة من ظلم النفس

كل إنسان في هذه الدنيا معرض لأن يظلم نفسه، بأن يقع في الخطأ، ويصدر منه الزلل، وهذه طبيعة بني آدم، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى، فعن أنس أن النبي ﷺ قال: «كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»^(١)، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة ودعاهم إلى العودة إليه سبحانه وتعالى - والعبد الصادق مع ربه - عليه أن يستجيب لهذه الدعوة ويسارع للعودة إلى الله تعالى - مهما صدر منه من خطأ أو زلل - لأنه يعلم أن باب التوبة مفتوح وأن رحمة الله تعالى واسعة، وقد جاءت دعوة الله لعباده الظالمين لأنفسهم إلى التوبة إليه في مواضع متعددة في كتابه الكريم، نذكر منها ثلاثة مواضع، وهي التي جاء ذكرها عقب ظلم الإنسان لنفسه في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:

التوبة من ظلم النفس إذا ارتكبت فواحش الذنوب

رَكَّبَ اللهُ فِي اللهُ تَعَالَى فِي النَّاسِ كَثِيرًا مِنَ الْغَرَائِزِ، وَشَرَعَ لَهُمْ - لِإِشْبَاعِهَا - طَرَقًا مَشْرُوعَةً وَنَظِيفَةً، وَمِنْ هَذِهِ الْغَرَائِزِ الْغَرِيزَةُ الْجَنَسِيَّةُ، وَإِشْبَاعُ هَذِهِ الْغَرِيزَةِ شَرَعَ الْإِسْلَامَ الزَّوْجَ، فَإِذَا انْحَرَفَ النَّاسُ عَنِ هَذَا الطَّرِيقِ الْمَشْرُوعِ - وَسَعَوْا لِإِشْبَاعِ غَرَائِزِهِمْ بِالْحَرَامِ - فَقَدْ تَعَدَّوْا حُدُودَ اللهِ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وَقَدْ أَشَارَ اللهُ تَعَالَى إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجِيسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ { آل عمران: ١٣٥ }.

(١) الترمذي، سنن الترمذي برقم (٢٤٩٩) مرجع سابق، قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة، وقال الألباني عنه: حسن، وينظر: محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٣١٣٩)

قال الإمام ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ في سبب نزولها

أقوال :

أحدها: أن امرأة أتت إلى نبهان التمار تشتري منه تمرًا فضمها، وقبلها، ثم ندم، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. **والثاني:** أن المسلمين قالوا للنبي ﷺ: بنو إسرائيل أكرم على الله منا! كان أحدهم إذا أذنب، أصبحت كفارة ذنوبه مكتوبة في عتبة بابه، فقال النبي ﷺ: «ألا أخبركم بخير من ذلك» فقرأ هذه الآية، هذا قول عطاء^(١)، وقال الإمام القرطبي في تفسيره لهذه الآية: "أو" في قوله: ﴿ أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ المراد به ما دون الكبائر، ﴿ ذَكُرُوا اللَّهَ ﴾ معناه بالخوف من عقابه والحياء منه، قاله الضحاك: ذكروا العرض الأكبر على الله، وقيل تفكروا في أنفسهم أن الله سائلهم عنه، قاله الكلبي ومقاتل، وعن مقاتل أيضا: ﴿ ذَكُرُوا اللَّهَ ﴾ باللسان عند الذنوب، ﴿ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ أي طلبوا الغفران لأجل ذنوبهم، فالاستغفار عظيم وثوابه جسيم، حتى لقد روى الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غفر له، وإن كان قد فر من الزحف»^(٢)، وروى مكحول عن أبي هريرة قال: ما رأيت أكثر استغفارا من رسول الله ﷺ، قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْفِرْ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ أي ليس أحد يغفر المعصية ولا يزيل عقوبتها إلا الله، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا ﴾ أي ولم يثبتوا ويعزموا على ما فعلوا، وقال مجاهد: أي ولم يعضوا، ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ الإصرار هو العزم بالقلب على الأمر وترك الإقلاع عنه، وقال قتادة: الإصرار الثبوت على المعاصي، والإصرار هو التسوية، والتسوية أن يقول: أتوب غدا، وهذا دعوى النفس، كيف يتوب غدا وغدا لا يملكه، وقال

^(١) ابن الجوزي، زاد المسير، ١/ ٤١٧. مرجع سابق باختصار وتصرف، وينظر: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر

العسقلاني، العجائب في بيان الأسباب ص ٢٩٣.

^(٢) صحيح الترمذي برقم (٣٥٧٧).

غير سهل: الإصرار هو أن ينوي أن يتوب فإذا نوى التوبة النصوح خرج عن الإصرار، وقول سهل أحسن. (١).

ففي هذه الآية العظيمة فتح الله باب التوبة لمن ظلم نفسه فوقع في فواحش الذنوب والمعاصي، فمن ظلم نفسه ووقع في شيء من ذلك فباب التوبة أمامه مفتوح، فليسارع إلى الولوج فيه، وليستغل هذا العرض الرباني له بالمغفرة، بل ويُلحقه بركب المتقين، متى ما صدق في الإقبال على ربه، وكانت توبته خالصةً يبتغي بها رضوان الله ومغفرته.

وصدور الذنوب والمعاصي أمر يقع فيه كل إنسان، لكن العبد الصادق يجعل من الذنب دافعاً له للعودة إلى ربه والانطراح بين يديه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو لم تذبوا، لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم» (٢).

المطلب الثاني:

التوبة من ظلم النفس بعدم طاعة رسول الله والاحتكام للطاغوت

جعل الله تعالى طاعة رسوله ﷺ، من طاعته سبحانه وتعالى، فقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (٨٠) {النساء: ٨٠}؛ لهذا من أطاع الله تعالى ولم يطع رسوله فقد ظلم نفسه؛ لأن إيمانه لم يكتمل، ومن وقع في مخالفة أمره صلى الله عليه وسلم، ولم يطعه في كل ما أمره به، مطلوب منه أن يسارع إلى التوبة إلى الله تعالى من هذا الفعل، وقد جاء في هذا الصدد قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن ٤/٢١٠، باختصار، وتصرف

يسير

(٢) صحيح مسلم برقم ٠ (٤٩٣٦).

يَا ذِينَ اللَّهِ ؕ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ {النساء: ٦٤}،

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية "يعني بذلك جل ثناؤه: ولو أن هؤلاء المنافقين الذين وصف صفتهم في هاتين الآيتين، الذين إذا دعوا إلى حكم الله وحكم رسوله صدوا صدوداً، ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾، باكتسابهم إيها العظيم من الإثم في احتكامهم إلى الطاغوت، وصدودهم عن كتاب الله وسنة رسوله إذا دعوا إليها ﴿جَاءُوكَ﴾، جاؤوك تائبين منيبين، فسألوا الله أن يصفح لهم عن عقوبة ذنبهم بتغطيته عليهم، وسأل لهم الله رسوله ﷺ مثل ذلك، فلو فعلوا ذلك فتابوا من ذنبهم ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ بهم، في تركه عقوبتهم على ذنبهم الذي تابوا منه، وقال مجاهد: عني بذلك اليهودي والمسلم اللذان تحاكما إلى كعب بن الأشرف" (١).

وقال الشيخ السعدي: "أخبر تعالى عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقرتوا السيئات أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ﴾ أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها، ﴿فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المحيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك" (٢).

والمأمل في السياق الذي جاءت فيه هذه الآية يجد أنها جاءت في سياق الحديث عن المنافقين الذين يزعمون الإيمان برسول الله ﷺ، ثم لا يتحاضرون إلى منهجه، وابتدأ سياق

(١) الطبري، جامع البيان ٨ / ٥١٧ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ١٨٤ مرجع سابق.

هذه الآيات بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَكَلًا بَعِيدًا...﴾ {النساء: الآيات من ٦٠ - ٦٣}. فطاعة الرسول ﷺ واجبة في كل ما يأمر به، وكل من يترك طاعته ﷺ . راغباً عنها، مختاراً لغيرها - يُعدُّ ظالم لنفسه؛ لأنه ترك طاعة رسول الله ﷺ التي هي من طاعة الله تعالى، وعليه التوبة من ذلك والاستغفار مما فعل؛ حتى يقبل الله توبته، ولا يرد استغفاره.

المطلب الثالث:

التوبة من ظلم النفس بعمل السوء عموماً

استمرار السوء من الأمراض الخطيرة التي من تلبس بها فقد ظلم نفسه؛ وذلك لأنه سوف يتعرض لسخط الله وعقابه في الدنيا والآخرة، ورغم خطورة هذا المرض إلا أن الله تعالى دعا أصحابه إلى التوبة من ذلك والعودة إليه سبحانه وتعالى، وفي هذا الصدد يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ {النساء: ١١٠}، هذه الآية نزلت في رجل منافق، ظلم نفسه بسرقة درع رجل يهودي^(١)، قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: "ومن يعمل ذنباً، وهو السوء" ﴿أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ﴾، يكسبه إياها ما يستحق به عقوبة الله ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾، يقول: ثم يتوب إلى الله بإنابته مما عمل من السوء وظلم نفسه، ومراجعتة ما يحبه الله من الأعمال الصالحة التي تمحو ذنبه وتذهب جرمه ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، يقول: يجد ربه ساتراً عليه ذنبه بصفحه له عن عقوبة جرمه، رحيماً به، واختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية، فقال بعضهم: عني بها الذين وصفهم الله بالخيانة بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ {النساء:

(١) ينظر: علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، أسباب نزول القرآن، ص ١٨٣.

١٠٧} وقال آخرون: بل عني بما الذين كانوا يجادلون عن الخائنين، الذين قال الله لهم: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤُلَاءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ {النساء: ١٠٩}، والصواب من القول في ذلك عندنا: أنه عني بما كل من عمل سوءاً أو ظلم نفسه، وإن كانت نزلت في أمر الخائنين والمجادلين عنهم الذين ذكر الله أمرهم في الآيات قبلها^(١).

وقال الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية: " المراد بالسوء القبيح الذي يسوء به غيره كما فعل طعمة من سرقة الدرع ومن رمي اليهودي بالسرقة والمراد بظلم النفس ما يختص به الإنسان كالحلف الكاذب، وإنما خص ما يتعدى إلى الغير باسم السوء؛ لأن ذلك يكون في الأكثر إيصالاً للضرر إلى الغير، والضرر سوء حاضر، فأما الذنب الذي يخص الإنسان فذلك في الأكثر لا يكون ضرراً حاضراً؛ لأن الإنسان لا يوصل الضرر إلى نفسه، واعلم أن هذه الآية دالة على حكيمين:

الأول: أن التوبة مقبولة عن جميع الذنوب سواء كانت كفراً أو قتلاً، عمداً أو غصباً

للأموال؛ لأن قوله ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ﴾ عم الكل،

(١) الطبري، جامع البيان ٩/ ١٩٤، مرجع سابق، باختصار.

المبحث الخامس:

عاقبة من لم يتب من ظلمه لنفسه

فتح الله تعالى باب التوبة لعباده، دعا من ظلم نفسه بالعودة إليه، ومن أعرض عن هذه الدعوة - ولم يستجب لها - سوف يندم يوم لقاء ربه، يوم لا ينفع الندم، وستكون عاقبة إعراضه عن التوبة في الآخرة وخيمة، وقد تحدث القرآن الكريم عن عواقب الذنوب والمعاصي في الآخرة في موطن متعددة، ونحن سوف نذكر ثلاثة نماذج من هذه الذنوب، وهي التي جاء ذكرها مقترناً بظلم النفس في ثلاثة مطالب على النحو التالي:

المطلب الأول:

عاقبة من ظلم نفسه بترك الهجرة إذا توفرت الدواعي وانتفت الموانع

يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿١٩﴾﴾ {النساء: ٩٧-٩٩}، مطلوب من المسلم في هذه الحياة، أن يعبد الله وحده لا شريك له، وعليه أن يعمل على إظهار شعائر هذا الدين الذي يؤمن به، وأن يعبر عن اعتزازه بمظاهر الإسلام الذي ينتمي إليه، فإذا لم تتوفر له الحرية الكاملة لعبادة ربه بما شرع، أو خاف على نفسه من الفتنة في الدين، عند ذلك أوجب عليه الإسلام أن يترك ذلك البلد، وأن يهاجر إلى بلد يسمح له بعبادة ربه سبحانه وتعالى، وإذا أصر على البقاء في بلد يُنتقص فيه الدين، ويحارب فيه المؤمنين - مع قدرته على الهجرة - ولم يكن من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان - عند ذلك يكون قد وقع في ظلمه لنفسه وتعرض لعقاب شديد إن توفي ولم يتب.

سبب نزول هذه الآية:

في سبب نزول الآية أقوال منها:

الأول: أن هذه الآية نزلت في قوم تخلفوا عن رسول الله ﷺ، ولم يخرجوا معه مهاجرين، فمن مات منهم قبل أن يلحق بالنبي، ضربت الملائكة وجهه ودبره، رواه العوفي عن ابن عباس^(١).

الثاني: عن ابن عباس أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرن سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم فيقتله أو يضرب فيقتل فأنزل الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، قال الإمام الزمخشري - وهو يتحدث عن المهاجرين الذين عناهم الله في هذه الآية - : " وهم ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة. فقالوا: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف، وأنهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء، فبكتتهم الملائكة بقولهم ﴿الَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا﴾ أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا دليل على أن الرجل إذا كان في بلد لا يتمكن فيه من إقامة أمر دينه كما يجب - لبعض الأسباب والعوائق عن إقامة الدين - أو علم أنه في غير بلده أقوم بحق الله وأدوم على العبادة، حقت عليه المهاجرة"^(٣)

وقال سيد قطب: " لقد كان هذا النص يواجهه حالة واقعة في الجزيرة العربية - في مكة وغيرها - بعد هجرة رسول الله ﷺ - وقيام الدولة المسلمة، فقد كان هناك مسلمون لم يهاجروا، حبستهم أموالهم ومصالحهم، أو حبسهم إشفاقهم وخوفهم من مشاق الهجرة، وجماعة حبسهم عجزهم الحقيقي، من الشيوخ والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة للهرب ولا يجدون سبيلا للهجرة .. وهكذا نزلت هذه النصوص تسمي هؤلاء القاعدين: ﴿

(١) الواحدي، أسباب النزول، مرجع سابق باختصار وتصرف يسير ص ١٨٠ ، وينظر: ابن الجوزي، زاد المسير، ٢ / ٩٠ .

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٢٣٠).

(٣) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ١ / ٥٥٥ . باختصار يسير

ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴿٩٨﴾، وتوعدهم بـ ﴿جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٩٨﴾، مما يدل على أنها تعني الذين فنوا عن دينهم بالفعل هناك، ثم يستثنى من لا حيلة لهم في البقاء في دار الكفر؛ والتعرض للفتنة في الدين؛ والحرمات من الحياة في دار الإسلام من الشيوخ الضعاف، والنساء والأطفال، فيعلقهم بالرجاء في عفو الله ومغفرته ورحمته؛ بسبب عذرهم البين وعجزهم عن الفرار: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ {النساء: ٩٨ - ٩٩}، ويمضي هذا الحكم إلى آخر الزمان؛ متجاوزا تلك الحالة^(١).

إن هذه الآية تطلب من كل مسلم أن يعيش حراً كريماً، فإذا وُجِدَت بيئة وعلم المسلم أنه سوف يُستَندَل فيها، أو لا يستطيع أن يعبد الله بكامل حرّيته وإرادته، أو أرغم على التعامل بغير الأحكام الإسلامية، ففي هذه الحالة يكون من الواجب عليه الهجرة من تلك البلد إلى أي بلد يستطيع أن يعبد الله فيها بما شرع، وإن لم يفعل فقد ظلم نفسه مرتين: إحداها بالهوان في الدنيا، والثانية بعذاب الآخرة.

المطلب الثاني:

عاقبة من لم يتب من ظلم نفسه بالكفر بالله تعالى

الكفر بالله تعالى من أقبح الظلم الذي يُوقعه إنسان على نفسه؛ وذلك لما يجره على صاحبه من وبال وعذاب في الدنيا والآخرة، حيث تبدأ عاقبة الكافرين الظالمين لأنفسهم من اللحظات الأولى لخروجهم من دنياهم، فتتلقاهم ملائكة الموت بالعذاب والإهانة والضرب، وتستمر هذه العاقبة في قبورهم، وتنتهي عاقبته كفرهم بأن تكون نار جهنم مثواهم وبئس القرار، وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه العاقبة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلِ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن ٢/ ٢٢٢ مرجع سابق، باختصار، وتصرف.

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٨﴾ {النحل: ٢٨-٢٩}، قال الإمام ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: "يخبر تعالى عن حال الكافرين الظالمى أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم: ﴿فَأَلْقُوا السَّلَمَ﴾ أي: أظهروا السمع والطاعة والانقياد قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ قال الله مكذبا لهم في قلوبهم ذلك: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ {النحل: ٢٨ - ٢٩} أي: بغس المقييل والمقام والمكان من دار هوان، لمن كان متكبرا عن آيات الله واتباع رسله، وهم يدخلون جهنم من يوم مما تم بأرواحهم، ويأتي أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم، وخلدت في نار جهنم، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ {فاطر: ٣٦} (١).

وقال الشيخ الشعراوي: "﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ أي: تتوفاهم في حالة كونهم ظالمين لأنفسهم، وفي آية أخرى قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ {النحل: ١١٨}، فالإنسان الكافر حينما يعطي نفسه متعة في الدنيا الزائلة المنقطعة، يُفَوِّت عليها المتعة الباقية في الآخرة، وهذا منتهى الظلم للنفس، ثم يقول الحق سبحانه: ﴿فَأَلْقُوا السَّلَمَ﴾، أي: خضعوا واستسلموا ولم يعد ينفعهم تكبرهم وعجرفتهم في الدنيا، ذهب عنهم كل هذا بذهاب الدنيا التي راحت من بين أيديهم، ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾، والواقع أنهم بعد أن ألقوا السلم

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم / ٥٦٧، باختصار وتصرف يسير.

ورفعوا الراية البيضاء واستسلموا، أخذهم موقف العذاب فقالوا محاولين الدفاع عن أنفسهم:
﴿ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾^(١)

فالكافرين بالله تعالى وإن تمتعوا في دنياهم بأنواع الملذات، وعملوا على راحة أنفسهم - بزعمهم - بكل المشتبهات، هم في الحقيقة من الظالمين لأنفسهم؛ لما يجروه عليها من أليم العذاب والحسرات في دنياهم وعند الممات، وفي الآخرة مصيرهم النار وبئس القرار.

المطلب الثالث:

عاقبة من لم يتب من ظلم نفسه بالشرك

الشرك بالله تعالى أعظم الذنوب، ومن وقع فيه فقد ظلم نفسه ظلماً عظيماً؛ لأن عاقبة شركه في الآخرة وخيمة؛ وذلك بأن يُحَرِّمَ الله عليه الجنة ويدخله النار، عند ذلك يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب الله تعالى في ذلك اليوم بكل ما يملكه، وقد جاء في هذا لصدد قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾^(٥٤) {يونس: ٥٤}، قال ابن عاشور: ومعنى ﴿ ظَلَمَتْ ﴾ أشركت، وهو ظلم النفس، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ {لقمان: ١٣}، والمعنى أن هذا العذاب لا تتحملة أية نفس على تفاوت الأنفس في احتمال الآلام، ولذلك ذكر لكل نفس دون أن يقال ولو أن لكم ما في الأرض لافتديتم به، ﴿ مَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعم كل شيء في ظاهر الأرض وباطنها؛ لأن الظرفية ظرفية جمع واحتواء، و﴿ لَافْتَدَتْ ﴾ مرادف فدى، وفيه زيادة تاء الافتعال لتدل على زيادة المعنى، أي لتكلفت فداءها به، وقوله تعالى: ﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾، ومعنى: ﴿ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴾ قضي فيهم، أي قضي على كل واحد منهم بما

(١) تفسير الشعراوي ص ٤٨٧٨ مرجع سابق، باختصار وتصرف.

يستحقه بالعدل، فالقضاء بالعدل وقع فيهم، وليس المعنى أنه قضي بين كل واحد وآخر؛ لأن القضاء هنا ليس قضاء نزاع ولكنه قضاء زجر وتأنيب، إذ ليس الكلام هنا إلا على المشركين وهم صنف واحد، وجملة: ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ حالة^(١).

وقال الإمام الشوكاني في تفسيره لهذه الآية: "أي: ولو أن لكل نفس من الأنفس المتصفة بأنها ظلمت نفسها بالشرك بالله، وعدم الإيمان به ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾، من كل شيء من الأشياء التي تشتمل عليها من الأموال النفيسة، والذخائر الفاتقة لافتدت به: أي جعلته فدية لها من العذاب، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ {آل عمران: ٩١}؛ الضمير راجع إلى المشركين، الذين سياق الكلام معهم، وقيل: راجع إلى الأنفس المدلول عليها بكل نفس، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ أي: قضى الله بين المؤمنين وبين الكافرين، أوبن الرؤساء والأتباع، أوبين الظالمين من الكفار والمظلومين، وقيل: معنى القضاء بينهم: إنزال العقوبة عليهم، والقسط: العدل"^(٢).

فليحذر المسلم من أن يقع في الشرك أوفي أي صورة من صوره؛ حتى لا يظلم نفسه، بأن يُعرضها لسخط الله وعذاب في الدنيا والآخرة.

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٩٧/١١ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

(٢) الشوكاني، فتح القدير ٣/٣٨٦ مرجع سابق، باختصار وتصرف يسير.

الخاتمة

أولاً: النتائج: حُلِّصَ البحث إلى النتائج التالية:

١. ظلم النفس من أنواع الظلم التي نهى الله عنها، وحذر منها في كتابه الكريم.
٢. هذا النوع من الظلم يقع بين العبد ونفسه ولا يتعلق بحقوق الآخرين.
٣. النماذج الإنسانية التي ذكرها القرآن الكريم - لمن ظلموا أنفسهم - قابلة للظهور في كل زمان ومكان
٤. اليهود والكفار أكثر الناس ظلماً لأنفسهم.
٥. يقع في ظلم النفس بعض أهل الإسلام بدرجات متفاوتة.
٦. دعا الله في كتابه الكريم من ظلم نفسه إلى التوبة إليه.
٧. ظلم النفس له عواقب وخيمة على الإنسان في الدنيا والآخرة.

التوصيات

١. يوصي الباحث، بدراسة الأنواع الأخرى من أنواع الظلم دراسة موضوعية من خلا القرآن الكريم.
٢. يوصي الباحث الدعاة والخطباء ببيان هذا النوع من الظلم، وتوعية الناس بمخاطره.

المراجع والمصادر

- ١ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢ م، الطبعة الثانية)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت .
- ٢ أبو الحسن علي بن أحمد بن مُحَمَّد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (١٤١١ هـ، الطبعة الأولى)، أسباب نزول القرآن، تحقيق كمال بسيوني زغلول، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، (١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م الطبعة: الأولى) البداية والنهاية، تحقيق، علي شيري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- ٤ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م الطبعة: الثانية)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن مُحَمَّد سلامة، دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٥ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، (١٤٢٢ هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٦ أبو الفضل أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن أحمد بن حجر العسقلاني، (١٩٩٧ م الطبعة: الأولى) العجائب في بيان الأسباب تحقيق، عبدالحكيم مُحَمَّد الأنيس، دار النشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية.
- ٧ أبو القاسم الحسين بن مُحَمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني، (١٤١٢هـ الطبعة: الأولى) المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت.
- ٨ أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (١٤٠٧هـ - الطبعة الثالثة) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٩ أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، (١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م الطبعة: الأولى) مسند أبي داود الطيالسي تحقق: الدكتور مُحَمَّد بن عبد المحسن التركي دار النشر: دار هجر - مصر.
- ١٠ أبو عبد الله الحاكم مُحَمَّد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن حمدويه النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین وبذیلہ التلخیص، للذهبي، دار النشر: دار المعرفة، بيروت.
- ١١ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م الطبعة الثانية)، الجامع لأحكام القرآن تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار النشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.
- ١٢ أبو عيسى مُحَمَّد بن عيسى الترمذي (١٩٩٨ م الطبعة: الثانية) سنن الترمذي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ادار النشر: دار الجليل - بيروت + دار العرب الإسلامي - بيروت.
- ١٣ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م) معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام مُحَمَّد هارون، دار النشر: اتحاد الكتاب العرب .

- ١٤ أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحرانی، (٢٠٠٥ م الطبعة الثالثة) مجموع الفتاوى، تحقق: أنور الباز، عامر الجزائر، دار النشر: دار الوفاء - مصر.
- ١٥ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م الطبعة الثانية) فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش دار النشر: دار المعرفة - بيروت.
- ١٦ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م الطبعة: الأولى)، زهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، تحقيق، محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٧ سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار النشر: دار الشروق، القاهرة .
- ١٨ شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألوسي، (١٤١٥هـ، الطبعة الخامسة) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٩ عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحي، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٢٠ علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م الطبعة: الأولى)، التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت
- ٢١ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة : الأولى)، مفاتيح الغيب، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٢ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبوعبد الله ابن قيم الجوزية، (١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م الطبعة الثانية) ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقي دار النشر: دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٣ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت .
- ٢٤ محمد الطاهر بن عاشور، (١٩٩٧ م)، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
- ٢٥ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية ، (١٤١٤ - ١٩٩٤ الطبعة الثانية) طريق المهجرتين وباب السعادتين، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر، دار النشر: دار ابن القيم - السعودية، الدمام.
- ٢٦ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي أبوعبد الله ابن قيم الجوزية (١٩٨٥ ، الطبعة الأولى)، الوابل الصيب من الكلم الطيب، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي - بيروت.

- ٢٧ مُجَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (١٤١٠ هـ الطبعة: الأولى) التفسير القيم، لا بن القيم، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار النشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- ٢٨ مُجَّد بن أحمد بن علي الحجري (، ٢٠٠٤ م الطبعة الرابعة)، مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ، دار النشر: مكتبة الإرشاد، صنعاء.
- ٢٩ مُجَّد بن إسحاق بن خزيمه أبوبكر السلمي النيسابوري (١٣٩٠ - ١٩٧٠)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د. مُجَّد مصطفى الأعظمي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت
- ٣٠ مُجَّد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (١٤٠٧ - ١٩٨٧ الطبعة الثالثة) ، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت.
- ٣١ مُجَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (١٤٢ هـ الطبعة: الأولى)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد مُجَّد شاکر، دار النشر: مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ٣٢ مُجَّد بن علي بن مُجَّد بن عبد الله الشوكاني اليمني (١٤١٤ هـ الطبعة: الأولى)، فتح القدير، دار النشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
- ٣٣ مُجَّد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (الطبعة الأولى)، لسان العرب، دار النشر: دار صادر - بيروت.
- ٣٤ مُجَّد متولي الشعراوي، (١٩٩٧ م الطبعة الأولى) تفسير الشعراوي دار النشر: مطابع أخبار اليوم.
- ٣٥ مُجَّد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة، دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض.
- ٣٦ مُجَّد ناصر الدين الألباني، (١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى) صحيح الترغيب والترهيب، دار النشر: مكتبة المعارف، الرياض .
- ٣٧ مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، تحقيق : مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.



مجلة جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ٥٨٩٤-٢٦١١٧ ISSN

البقرة الحمراء بين الحقيقة والوهم

د/ أسماء بنت عبد المجيد الزنداني

عضو هيئة التدريس في جامعة الإيمان

ملخص البحث:

هذا البحث بعنوان: البقرة الحمرء بين الحقيقة والوهم، والهدف منه بيان حقيقة البقرة الحمرء فى كتب اليهود، ومعرفة ما يخططون له بناء على ذلك، وقد احتوى البحث على فصلين، تضمن كل فصل ما يلي:

الفصل الأول: ذكرت فى البقرة الحمرء وأحكامها المفصلة فى التوراة والتلمود، وأهميتها عند اليهود فى تطهيرهم من النجاسة عن طريق رمادها، كما ذكرت فى انتظار اليهود لولادة البقرة الحمرء بالمواصفات الواردة فى التوراة والتلمود، والتي ستكون علامة لبناء الهيكل. وختمت هذا الفصل بذكر بقرة بني إسرائيل فى المصادر الإسلامية، وبيّنت التشابه والاختلاف مع ما جاء فى مصادر اليهود، وما هو الراجع.

وأما الفصل الثانى: فذكرت فى الهيكل اليهودى، وأوضحته ما يحدث اليوم من حراك محمود لبناء الهيكل الثالث فى الحرم المقدسى. وذكرت حقيقة الهيكل كمكان لعبادة الله. وبيّنت علاقة ظهور البقرة الحمرء بالهيكل، والألفية السعيدة التي يزعم اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام سيحكم الأرض لمدة ألف عام، ثم بيّنت خطأ ذلك الاعتقاد بأدلة من القرآن والسنة.

وكانت أبرز نتائج البحث بطلان ما يذكره اليهود فى ظهور البقرة الحمرء، وبطلان ما يزعمونه من أحداث مترتبة على ذلك، وتبين أن ظهور البقرة الحمرء مرتبط عندهم ببناء الهيكل، وأن بقرة بني إسرائيل المذكورة فى تختلف عن تلك المذكورة فى كتب اليهود.

الكلمات المفتاحية: البقرة الحمرء - التلمود - المصادر الإسلامية - الهيكل - الألفية السعيدة.

. Research Summary

This research is titled: The Red Cow Between Truth and Illusion, and the purpose of it is to explain the truth of the Red Cow in the books of the Jews and to know what they are planning accordingly .

The research contains two chapters. Each chapter includes the following:

As for the first chapter: the red cow has mentioned its detailed provisions in the Torah and Talmud, and its importance for the Jews to cleanse them of impurity through its ashes, as well it mentioned the Jews waiting for the birth of the red cow according to the specifications contained in the Torah and Talmud, which will be a sign of building the Temple

I concluded this chapter by mentioning the cow of the Children of Israel in the Islamic sources and showed the similarities and differences with what was mentioned in the sources of the Jews, and what is more correct.

As for the second chapter: I mentioned the Jewish Temple and explained what is happening today in terms of the feverish movement to build the Third Temple in the Alharam Almaqdesi .

The truth about the temple was mentioned as a place of worshipping God. It showed the relationship between the appearance of the red cow at the temple, and the happy millennium that the Jews and Christians claim that Christ, peace be upon him, will rule the earth for a thousand years, and then the error of that belief was demonstrated by evidence from the Qur'an and the Sunnah.

The most prominent results of the research were the invalidity of what the Jews mentioned about the appearance of the red cow and the invalidity of what they claim of the consequential events, and it was found that they link the appearance of the red cow with the construction of the temple and that the cow of the children of Israel mentioned in it differs from that mentioned in the books of the Jews.

Keywords: The Red Cow - Talmud - Islamic Sources - The Temple - The Happy Millennium.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فيعتقد اليهود أن المسيح عليه السلام لم يأت بعد، وأن المسيح الذي جاء ليس هو المسيح المذكور في التوراة، بل هو مدع كذاب، وقد قتلوه وانتهى أمره بزعمهم الباطل؛ وقد أكذبهم الله في القرآن الكريم بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۗ﴾ (النساء: ١٥٧).

وما يزال اليهود ينتظرون المسيح إلى يومنا هذا، ويتحدثون عن ظهور بقرة حمراء تسبق مجيئه، وتبشرهم بحلول نهاية التاريخ، وحلول الألفية السعيدة والأخيرة على الأرض، والتي يقيم لهم المسيح فيها مملكة إسرائيل الكبرى، التي تحكم العالم بقيادة المخلص لمدة ألف عام. سيطرت هذه الأسطورة الدينية على الفكر الصهيوني، وتغلغت في مخيلة الصهاينة، وتحولت معها الصهيونية العالمية إلى واقع جغرافي وسياسي في فلسطين، في إطار مؤامرة كبرى على العرب والمسلمين خاصة.

وقد قمت بكتابة بعض ما أفدركني الله على تقديمه في هذا البحث الذي لا يفني بحق الموضوع؛ لكن لعله يسهم ولو بجزء يسير مما يجب إيضاحه وبيانه للمسلمين، فأسأل الله العلي العظيم أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم.

أهمية الموضوع:

بحسب نصوص الكتاب المقدس عند اليهود (التوراة)؛ فإن قدوم ملك اليهود المنتظر لا يكون إلا بعد بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى، وبناء هذا الهيكل لا يتم إلا بعد التطهير الذي يقوم على أنقاض البقرة الحمراء، والتي وردت بصفات محددة عند اليهود؛ سواء في التوراة أو التلمود، فوجدت ضرورة لدراسة حقيقة هذه النبوءة اليهودية، ومقارنتها بما ورد عندنا من نصوص الكتاب والسنة، واستخلاص النتائج المترتبة لهذه المقارنة، والتي أرجو أن تكون إسهاماً في تبين الحق للناس، وتنبههم لما يحاك ضدّهم من مؤامرات مستندتها ظهور هذا الحيوان المزعوم.

أسباب اختيار البحث:

عدم وجود دراسة علمية جامعة لما عند اليهود من نصوص حول البقرة الحمراء ومقارنتها بما لدينا من نصوص شرعية من الكتاب والسنة مع تفنيد دعواهم الزائفة بشكل مفصل وعلمي.

تمثل البقرة الحمراء لدى اليهود أهمية كبيرة بحسب معتقداتهم المحرفة، ولا يخفى علينا ما لهم اليوم من التأثير الواضح والقوي في مجريات الأحداث والتحويلات السياسية في كثير من البلدان؛ فكان من المهم تناول هذا الموضوع بشكل تفصيلي حتى نعرف أبعاده وخطورته. حاجة الدعاة اليوم إلى دراسة علمية موثوقة وموثقة بالأدلة الثابتة نقلاً وعقلاً للاسترشاد بها في مسيرتهم الدعوية والتوعية الفكرية.

أهداف البحث:

- ١- معرفة حقيقة البقرة الحمراء كما وردت في كتب اليهود.
- ٢- معرفة ما يخططه اليهود والنصارى على الأمة الإسلامية بحجة ظهور هذه البقرة الحمراء، وما يترتب عليهم من التزامات تجاه هذا الظهور حتى تتحقق لهم النبوءات التي يعتقدونها.
- ٣- بيان بطلان معتقد اليهود والنصارى حول هذه البقرة وبالتالي بطلان ما سيجري من أحداث مزعومة بسبب ظهورها.

مشكلة البحث:

نظراً لاهتمامي بدراسة الأديان المختلفة والتي من ضمنها اليهودية، ومن خلال ممارساتي في مجال تفنيد عدد من شبهاتهم، لاحظت غفلة كثير من الناس عن أسباب الحرب الصهيونية القائمة ضد المسلمين اليوم، وعدم فهمهم للتسارع الكبير في محاولات اليهود الصهاينة هدم المسجد الأقصى لبناء الهيكل مكانه، فجاءت الحاجة الماسة لبحث يساهم في الإجابة على التساؤلات التالية:

- ما هى حقىقة البقرة الحمراء؟
 — وما هى النصوص التى ذكرتها؟
 — وما هى نقاط الاتفاق والاختلاف بىن المسلمين واليهود فىها؟
 — وهل هى موجودة اليوم فعلاً؟
 — وما الذى بىنيه اليهود على هذا الوجود؟

منهجىة البحت:

ىعمد هذا البحت على المنهج التحلىلى الاستنباطى والنقدى، والذى سأقوم من خلاله بدراسة النصوص الواردة حول البقرة الحمراء وتحلىلها، ثم نقدها بطرىقة علمىة وموضوعىة.

الدراسات السابىقة:

لا بوجد حسب علمى كتاب أو بحت علمى تطرق لبيان أحكام البقرة الحمراء بالتفصىل، وبىن خطورة ولادتها وما ىترتب علىه من ضرورة بناء الهىكل بتدمىر المسجد الأقصى والتداعىات الكونىة التى تحل على الأرض.
 لكن وجدت ذكر للبقرة الحمراء كمواضع فرعىة، لا ىكتمل معها التصور العام لموضوع بحتى هذا.

ومن الكتب التى نفعتنى:

١- كتاب: النبوءة السىاسىة: (الإنجىولىون العسكرىون فى الطرىق العالمىة)، للكتابة والصحفىة: جرىس هالسىل، ترجمة: مٌجد السماك - طبعة دار الشروق - القاهرة، ط: ١- ٢٠٠٣م.

وهو من أهم الكتب التى استفدت منه فى فهم الفكر الحماسى الصهىونى لتنفىذ النبوءات التوراتىة لتصبح حقىقة واقعة على الأرض.

٢- كتاب: موسوعة اليهود والىهودىة والصهىونىة، د. عبد الوهاب المسىرى - الناشر: دار الشروق - ط: ١.

وقد استفدت منه فى فهم فلسفة الألفىة السعىدة فى الفكر الىهودى الصهىونى.

٣- كتاب: عالم ىتغىر برسالة لا تتغىر (قراءة جدىة لمعظم عقائد الكتاب المقدس)، المؤلف: القس نبىل سمعان یعقوب - مطبعة باب توما - دمشق، ط: ١، ق. ٢٠١٦.

وقد استفدت منه فى فهم معظم التأوىلات لنبوءات الكتاب المقدس التى ىسعى لتحقىقها النصارى.

خطة البحث: قسمت هذا البحث إلى: مقدمة، وفصلين، وخاتمة:
المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث.

الفصل الأول: شريعة بقرة بني إسرائيل: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: البقرة الحمراء بحسب التلمود: وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: صفات متعلقة بالبقرة.

المطلب الثاني: شروط وصفات خارجية.

المطلب الثالث: كيفية ذبح البقرة وحرقتها.

المطلب الرابع: الذين يجب أن يتطهروا برماد البقرة الحمراء.

المطلب الخامس: البحث عن البقرة الحمراء العاشرة.

المبحث الثاني: أحكام البقرة الحمراء في التوراة: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تشريع البقرة الحمراء لإزالة النجاسة.

المطلب الثاني: شروط البقرة الحمراء وكيفية ذبحها.

المبحث الثالث: بقرة بني إسرائيل في المصادر الإسلامية. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بقرة بني إسرائيل في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: ملخص التشابه والاختلاف بين البقرة في المصادر الإسلامية

والمصادر اليهودية.

المطلب الثالث: شبهة ورد.

الفصل الثاني: علاقة البقرة ببناء الهيكل والألفية السعيدة: وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الهيكل اليهودي: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الهيكل.

المطلب الثاني: بناء الهيكل الثالث.

المطلب الثالث: حقيقة الهيكل.

المبحث الثاني: الألفية السعيدة عند اليهود والنصارى: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نشأة الألفية السعيدة ومستنداتها عند اليهود.

المطلب الثاني: الألفية السعيدة عند النصارى.

الفصل الأول

شريعة بقرة بني إسرائيل

المبحث الأول:

البقرة الحمراء بحسب التلمود^(١)

يزداد التشديد والتدقيق في أحكام البقرة الحمراء على لسان الحاخامات من علماء بني إسرائيل؛ كي تكون البقرة مقبولة، ويفصل التلمود شروطها تفصيلاً دقيقاً، وسأبين بعضها في المطالب الخمسة التالية إن شاء الله.

المطلب الأول:

صفات متعلقة بالبقرة

١- السن:

وقد اختلف علماء اليهود إذا ذبحت البقرة الحمراء في سنٍ أصغر أو أكبر من ثلاثة أعوام، فمنهم من قال: تبطل الذبيحة. ومنهم من قال: تجزئ ما لم تكن أصغر من سنة أو أكبر من خمس سنوات^(٢).

٢- الحمل:

تبطل ذبيحة البقرة الحمراء إذا حملت، وخالف الراي اليعيزري بقية الحاخامات، فقال: تجزئ^(١).

(١) زعم أحبار اليهود أن الله تعالى أوحى إلى موسى الكليم عليه السلام وهو بطور سيناء، نوعين من الوحي: الأول: الشريعة المكتوبة (أسفار التوراة).
الثاني: الشريعة المكررة (التعاليم الشفهية).

وهي تعاليم سرية - في زعمهم - وتتضمن التفسير الحقيقي الصحيح الذي يعنيه الله ويريده من النصوص الظاهرة المكتوبة في أسفار التوراة، ويزعمون أن هذه التعاليم تنوقلت شفاهاً عن موسى عليه السلام عبر أربعين جيلاً حتى انتهت إلى (يهودا هانسي) فدونها خشية ضياعها، وسميت: (المشناة). ثم عكف الأحبار على شرح (المشناة) في أورشلين، وفي بابل، وسميت الشروح باسم: (الجمارا). ومن المتن وشرحيه جاء ما يعرف (بالتلمود). ينظر: د. عبد الستار فتح الله سعيد، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، (ص ٣٧-٣٨).

(٢) د. مصطفى عبد المعبود، ترجمة متن التلمود (المشناة)، (٦/٢٩٧).

٣- القرون والأظلاف:

إذا كان قرناها وأظلافها سوداء، فيجب أن تقطع قرونها وأظلافها^(٢).

٤- الزائدة في الجسم:

إذا كان بها زائدة في الجسم، فيقول (راي) ^(٣) يهوذا: إنها باطلة، ويقول (راي شعون):

يقطع الزائد، وإذا نبت مكان القطع شعراً أحمر قبلت، وإلا فلا فتبطل^(٤).

٥- وجود شعرتين بلون آخر:

أ- إذا كان بها شعرتان سوداوان أو بيضاوان في نفس المكان، فإنها تبطل.

أو حتى شعرتان كل شعرة على حدة لكنهما متقابلتان في تحويفين؛ كفتحتي الأنف أو

العينين؛ فإنها كذلك تبطل.

ويقول (راي يوشع بن بتيرا): بل لو كانت شعرة في رأسها وأخرى في ذيلها؛ فإنها

تبطل^(٥).

ب- يقول (راي عقيبا): إن كانت أربع أو خمس شعرات متناثرة، فيجب أن تزال، ولا تبطل.

ويقول (راي اليعيزر): إن كانت متناثرة كل واحدة على حدة، فلا تبطل، ولو كانت

٥٠ شعرة^(٦).

(١) المصدر السابق، (٣٠١/٦).

(٢) المصدر نفسه .

(٣) معنى كلمة (راي): [ر ب ب]. [منسوبة إلى الرب]: جَلَسَ الرَّبُّ يَغْتُوبُ يَقْرَأُ فَضُولاً مِنَ التَّوْرَةِ: الْمُتَصَوِّفُ الْيَهُودِيُّ

الْعَارِفُ بِاللَّهِ وَالتَّوْرَةِ. ينظر: عبد الغني أبو العزم، معجم الغني، موقع معاجم صخر. وجاء في إنجيل يوحنا: [قَالَ لَهُنَّ

يَسُوعُ: يَا مَرْيَمُ؛ فَالْتَقِنْتِ تِلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: "رَبُّونِي!" الَّذِي تُفْسِرُهُ: يَا مُعَلِّمَ]. ينظر: [إنجيل يوحنا، ٢٠: ١٦].

(٤) د. مصطفى عبد المعبود، مصدر سابق (٣٠١/٦).

(٥) المصدر نفسه (٣٠١/٦).

(٦) المصدر نفسه، (٣٠٢/٦).

المطلب الثانى:

شروط وصفات خارجية

١- موضع ولادتها، وثمنها: إذا كانت ولدت من جنب [يشق بطن الأم]، تبطل، وإذا كانت من أجرة زانية أو من ثمن كلب فتبطل^(١).

٢- العمل عليها: تبطل إذا استخدمت في العمل، حتى لو علق إنسان عليها شاله؛ فإنها باطلة^(٢).

٣- عزل الحاخام الذي سيحرق البقرة لمدة ٧ أيام:

يعزل الحاخام الذي سيحرق البقرة في الهيكل لمدة سبعة أيام قبل أن يقوم بحرق البقرة، ويظهر برماد جميع ذبائح الخطيئة التي ذبحت من قبل في الهيكل^(٣).

٤- ولادة أطفال طاهرين قبل ذبح البقرة بثمان سنين:

يقول التلمود: إنهم كانوا يحضرون الأمهات الحوامل إلى القدس؛ ليلدن أطفالهن في أفنية مبنية فوق الصخور، وكان تحتها فراغ خشية وجود قبر في الأعماق، وكان يقمن بتربية أطفالهن هناك، ثم عند بلوغ الأطفال سن الثامنة يحضرون ثيران ليغلبوا الماء الطاهر من عين شيلوه^(٤)، ثم يأخذ أحد الأطفال رماد البقرة ويخلطه بالماء الطاهر^(٥).

(١) المصدر نفسه، (٣٠١/٦).

(٢) المصدر نفسه، (٣٠٢/٦).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) مياه شيلوه بركة في الجزء الجنوبي من اورشليم [القدس]؛ سميت في العهد الجديد سلوام. ينظر: القس وليم مارش، السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم- شرح سفر إشعيا، وتسمى: عين سلوان؛ فهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي، يشرف عليها سور المسجد القبلي. ينظر: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العلمي الحنبلي، الأئسن الجليل بتاريخ القدس والخليل، (٤٠٧/٢).

(٥) د. مصطفى عبد المعبود، مرجع سابق، (٣٠٣/٦ - ٣٠٤).

المطلب الثالث:

كيفية ذبح البقرة وحرقتها

- ١- يأتي الكاهن نهاراً لذبح البقرة، ويؤتى بخشب [الأرز - الصنوبر - السرو - قطع من شجرة التين الملساء]، ويجعلها على شكل برج به نوافذ^(١).
 - ٢- تربط البقرة بجبل من الليف، وتوضع على كومة الخشب، ثم يذبحها ويتلقف دمها بيده اليسرى، ثم يغمس إصبعه اليمنى في الدم ويرش قدس الأقداس^(٢) سبع مرات، وفي كل مرة يغمس إصبعه، وإلا تكون الذبيحة باطلة. وبعد انتهائه من الرش سبع مرات يمسح يده في البقرة، ثم ينزل ويشعل الخشب بسعف النخل، ويأخذ خشب [زرفا - قرمز - أرز]، ويربطها جميعاً بأطراف القرمز، ويلقيها في حريق (البقرة).
 - ٣- ثم ينخل الرماد، ويقسم إلى ثلاثة أقسام:
 - أ- قسم يوضع عند سور الهيكل.
 - ب- قسم يوضع في جبل الزيتون.
 - ج- قسم يوزع على جميع خدام الهيكل من الكهنة^(٣).
 - ٤- ملابس الكاهن الذي يذبح البقرة:
- يجب أن يرتدي الكاهن الذي يقوم بذبح البقرة وحرقتها ملابس بيضاء خاصة بالكاهن [قميص - سروال - عمامة - حزام]، وإلا فالذبيحة باطلة^(٤)، ويصبح الكاهن نجساً بعد حرق البقرة^(٥).

(١) المصدر نفسه، (٣٠٥/٦).

(٢) وقدس الأقداس عند اليهود مكان من الهيكل كان يدخله عظيم الأحبار عندهم مرة في السنة . ينظر: بستاني، بطرس، محيط المحيط: أي (قاموس مطول للغة العربية)، (١٦٧٤/٢).

(٣) د. مصطفى عبد المعبود، مرجع سابق، (٣٠٦/٦).

(٤) د. مصطفى عبد المعبود، مرجع سابق، (٣٠٧/٦).

(٥) المصدر نفسه، (٣٠٩/٦).

٥- خلط رماد الذبيحة بالمياه:

يؤتى بوعاء من الفخار مباشرة من الفرن الذي تم صنع الفخار فيه، ثم يُعَبَّأ الوعاء الفخاري بمياه ينبوع طاهرة، ويخلط فيه رماد البقرة الحمراء^(١).
وهناك تفاصيل كثيرة ودقيقة تشرح أسباب بطلان مياه الطهارة هذه.

عدد البقرات الحمر التي ذبحت:

أول من ذبح بقرة حمراء هو موسى عليه السلام.

والثانية عزرا بن هارون عليه السلام.

يقول الحاخام (رابي مائي): أحرقت خمس بقرات بعد عزرا بن هارون، وبهذا يكون عددها سبعة، والذين أعدوا طقوس حرق البقرات بعد عزرا: [شمعون الصديق - حنان الكاهن الأعظم - النبي الياهو عيني بن هاقوف - حنمئيل المصري - إسماعيل بن يياي].
ويقول بقية الحاخامات: بل سبع بعد عزرا، فيكون عددها تسع بقرات: شمعون حرق اثنتين، وحنان الكاهن الأعظم اثنتين^(٢).

المطلب الرابع:

الذين يجب أن يتطهروا برماد البقرة الحمراء

من العجيب أن رماد البقرة الحمراء المخلوط "بماء يؤتى به من نهر جار"^(٣)، هو الوسيلة الوحيدة ليتطهر به اليهود من نجاسة لمس الميت، أو تواجده في مكان فيه ميت ولو لم يمسه، بل ولو سار بقرب مقبرة، ومن لم يتطهر فيجب قتله بحسب التوراة! وكذلك تتنجس الأواني المفتوحة والأمتعة، ويجب تطهيرها.

(١) المصدر نفسه، (٣٠٩/٦)..

(٢) د. مصطفى عبد المعبود، مرجع سابق (٣٠٤/٦).

(٣) دكتورة ليلى إبراهيم، مدخل إلى دراسة التلمود مع ترجمة فصول مختارة (ص: ٣٧).

جاء في سفر العدد في الإصحاح التاسع عشر ما يلي: «١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢ «هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقْرَةً حَمْرَاءَ صَحِيحَةً لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَعْزَلْ عَلَيْهَا نِيرٌ،... ١١: مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةً إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجَسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ١٢: يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا. وَإِنْ لَمْ يَتَطَهَّرْ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ فَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ لَا يَكُونُ طَاهِرًا. ١٣: كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةً إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَلَمْ يَتَطَهَّرْ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ. فَتَقْطَعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجَسَةً؛ نَجَاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا. ١٤: هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ؛ إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ فِي خَيْمَةٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْخَيْمَةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْخَيْمَةِ، يَكُونُ نَجَسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ١٥: وَكُلُّ إِنَاءٍ مَفْتُوحٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سِدَادٌ بِعَصَابَةٍ فَإِنَّهُ نَجِسٌ. ١٦: وَكُلُّ مَنْ مَسَّ عَلَى وَجْهِ الصَّخْرَاءِ قَتِيلًا بِالسَّيْفِ، أَوْ مَيْتًا، أَوْ عَظْمَ إِنْسَانٍ، أَوْ قَبْرًا؛ يَكُونُ نَجَسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ١٧: فَيَأْخُذُونَ لِلنَّجْسِ مِنْ عُبَارٍ حَرِيقٍ ذَبِيحَةَ الْخَطِيئَةِ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ مَاءً حَيًّا فِي إِنَاءٍ. ١٨: وَيَأْخُذُ رَجُلٌ طَاهِرٌ زَوْفًا وَيَعْمِسُهَا فِي الْمَاءِ، وَيَنْضِجُهَا عَلَى الْخَيْمَةِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَمْتَعَةِ، وَعَلَى الْأَنْفُسِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ، وَعَلَى الَّذِي مَسَّ الْعَظْمَ أَوْ الْقَتِيلَ أَوْ الْمَيْتَ أَوْ الْقَبْرَ. ١٩: يَنْضِجُ الطَّاهِرُ عَلَى النَّجْسِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَالْيَوْمِ السَّابِعِ، وَيُطَهِّرُهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، فَيَعْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحُضُ مِمَّا، فَيَكُونُ طَاهِرًا فِي الْمَسَاءِ. ٢٠: وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الَّذِي يَتَنَجَّسُ وَلَا يَتَطَهَّرُ، فَتُبَادُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ؛ لِأَنَّهُ نَجَسَ مَقْدِسَ الرَّبِّ. مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهِ؛ إِنَّهُ نَجِسٌ. ٢١: فَتَكُونُ هُمْ فَرِيضَةٌ دَهْرِيَّةٌ، وَالَّذِي رَشَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ يَعْسِلُ ثِيَابَهُ، وَالَّذِي مَسَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ يَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٢: وَكُلُّ مَا مَسَّهُ النَّجْسُ يَتَنَجَّسُ، وَالنَّفْسُ الَّتِي تَمَسُّ تَكُونُ نَجَسَةً إِلَى الْمَسَاءِ»^(١).

الشرح:

(١) [سفر العدد، ١٩/١١-٢٢].

- ١- من مَسَّ ميتاً يصبح نجساً يجب تطهيره بماء ورماد البقرة الحمراء؛ في اليوم الثالث منذ أن مَسَّ الميت، ويبقى نجساً لا يطهر إلا في اليوم السابع، يصب عليه ماء فيطهر؛ فهذا معنى قوله: [١١]: مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةً إِنْسَانٍ مَا، يَكُونُ نَجْسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ...، ١٢: يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ، وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَكُونُ طَاهِرًا].
- ٢- إذا لم يتطهر من مَسَّ ميتاً، فإنه يُنَجِّسُ المكان المقدس، وهذا معنى قوله: [١٣]: كُلُّ مَنْ مَسَّ مَيْتًا مَيْتَةً إِنْسَانٍ قَدْ مَاتَ وَمَ يَتَطَهَّرُ، يُنَجِّسُ مَسْكَنَ الرَّبِّ].
- ٣- يجب قتل كل من لم يتطهر بماء ورماد البقر، وهذا ما ينص عليه في قوله: [فَتُقَطَّعُ تِلْكَ النَّفْسُ مِنْ إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ مَاءَ النَّجَاسَةِ لَمْ يُرَشَّ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجْسَةً، نَجَّاسَتُهَا لَمْ تَزَلْ فِيهَا].
- ٤- من مات في مكان ما؛ فجميع من حوله يصبح نجساً؛ حتى الأواني المفتوحة، وهذا معنى قوله: [١٤]: هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ: إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ فِي خَيْمَةٍ، فَكُلُّ مَنْ دَخَلَ الْخَيْمَةَ، وَكُلُّ مَنْ كَانَ فِي الْخَيْمَةِ يَكُونُ نَجْسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ١٥: وَكُلُّ إِنَاءٍ مَفْتُوحٍ لَيْسَ عَلَيْهِ سِدَادٌ بَعْصَابَةٌ، فَإِنَّهُ نَجِسٌ].
- ٥- يتنجس كلُّ مَنْ مَسَّ قتيلاً في الصحراء، أو ميتاً، أو عظماً، أو قبراً؛ وهو ما أفاده النص: [١٦]: وَكُلُّ مَنْ مَسَّ عَلَى وَجْهِ الصَّخْرَاءِ قَتِيلًا بِالسَّيْفِ، أَوْ مَيْتًا، أَوْ عَظْمَ إِنْسَانٍ، أَوْ قَبْرًا؛ يَكُونُ نَجْسًا سَبْعَةَ أَيَّامٍ].
- ٦- يتم التطهير بأخذ رماد البقرة الممزوج بماء طاهر في اليوم الثالث والسابع، وينضحه على جميع مَنْ في الخيمة من ناس وأمتعة، وكذلك يرش الذي مَسَّ العظم أو القتل أو الميت، ويغسلون ثيابهم، فيطهرون مساء اليوم السابع؛ حيث نص على ذلك في قوله: [١٧]: فَيَأْخُذُونَ لِلنَّجْسِ مِنْ غُبَارِ حَرِيقِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيئَةِ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ مَاءً حَيًّا فِي إِنَاءٍ. ١٨: وَيَأْخُذُ رَجُلٌ طَاهِرٌ (زُوفًا)، وَيَعْمِسُهَا فِي الْمَاءِ، وَيَنْضِجُهَا عَلَى الْخَيْمَةِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَمْتَعَةِ، وَعَلَى الْأَنْفُسِ الَّذِينَ كَانُوا هُنَاكَ، وَعَلَى الَّذِي مَسَّ الْعَظْمَ أَوْ الْقَتِيلَ أَوْ الْمَيْتَ

أَوْ الْقَبْرِ. ١٩: يَنْضِحُ الطَّاهِرُ عَلَى النَّجْسِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَالْيَوْمِ السَّابِعِ، وَيُطَهَّرُهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ، فَيَعْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحُضُ بِمَاءٍ، فَيَكُونُ طَاهِرًا فِي الْمَسَاءِ].
وهذا يعني أن جميع اليهود مدنسون الآن بسبب ملامستهم الموتى أو المقابر، ولا بد أن يتم تطهيرهم برماد البقرة الحمراء، وهذا ما يؤمن به اليهود، وللقارئ أن يتساءل: كيف لكمية رماد البقرة الصغيرة الحمراء أن يكفي تطهير جميع اليهود؟!

وهذا سؤال توجهت به صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في (٢/٣/١٩٩٨م)، إلى أحد المحاضرات الكبار، فقال: "سنحرق البقرة قبالة موضع الهيكل من جهة الشرق، وبالإمكان أن نضيف إليها بعض الأشجار، وبعد ذلك نخلط الرماد بعضه ببعض، ومن ثم يتم وضع الرماد في أنابيب، وتوزع في أرجاء البلاد!!" وهذا شيء قريب من توزيع مياه الشرب أو الغاز... إنها ألغاز!! فماذا إذن عن الملايين العشرة الباقين من اليهود خارج البلاد؟! الظاهر أن الرماد سيُصدَّر إليهم في مغلفات معقمة من قوارير، أو أنه سيكون مدعاة قوية لهجرات جديدة إلى أرض الميعاد^(١).

المطلب الخامس:

البحث عن البقرة الحمراء العاشرة

لا بد من ظهور البقرة الحمراء بالموصفات الدقيقة الموضحة في التوراة والتلمود، فإن لم تظهر فلا بُدَّ من إظهارها.
ولادة البقرة (ميلودي):

بعد ما يقرب من ألفي عام، ادعى اليهود أنهم وجدوا ضالتهم! وأن البقرة ظهرت!! ففي شهر أكتوبر/ تشرين أول، من عام ١٩٩٦م، تم الإعلان عن ميلاد بقرة حمراء مطابقة للمواصفات الواردة في التوراة، وأعلن أنها ولدت في مزرعة (كفار حسيديم)، وعلى الفور

(١) د: عبد العزيز بن مصطفى كامل، حُجِّي عام ٢٠٠٠م قبل أن يهدم الأقصى، (ص: ٢٩).

ذهب وفد من الحاخامات لمعاينة حالة (مولود العصر)! ومقارنته بالأوصاف المذكورة في التوراة، ثم أعلنوا وقتها مطابقة المولودة للمواصفات بعد أن باركوها، وأمروا بفرض حراسة مشددة حولها^(١)!

وقد قامت الجماعات الدينية اليهودية المتعصبة بطلب إلغاء الفتوى الحاخامية القديمة التي تحظر على اليهود دخول ساحات المسجد الأقصى، ووقعوا توصية بذلك في المؤتمر السابع لحركة (إعادة بناء الهيكل). وبالفعل قررت لجنة من ٦٠ حاخاماً في شهر أغسطس من عام ١٩٩٧م، تجاوز الحظر الذي كان معمولاً به، وشجعوا اليهود على الصعود إلى ما يسمونه (جبل الهيكل)؛ حيث يوجد المسجد الأقصى ومسجد الصخرة، واحتج هؤلاء بأن لديهم مسوغات كافية تجعل من حق اليهود أن يصعدوا إلى هناك؛ لكي يتسنى لهم البدء في الاستعدادات الخاصة بإعادة بناء الهيكل، وقال المتحدث باسمهم: "إن الحظر العام على الصعود لم يكن يأخذ في اعتباره في السابق الاكتشافات الأخيرة، وأبرزها اكتشاف البقرة الحمراء، ونحن الآن بانتظار الخلاص، وإعادة بناء الهيكل، التي يجب أن تبدأ بسرعة في أيامنا هذه"^(٢).

وتسارع العمل في الإعداد والتحضير لطقوس ذبح البقرة الحمراء بعد أن تبلغ ثلاثة أعوام؛ فدعا مجموعة من الحاخامات: عائلات الكهان؛ لإرسال أولادهم لكي يتم إعدادهم في حجر (العزل الطاهر)؛ ليكونوا جاهزين للعمل في الطقوس المتعلقة بالبقرة، واستجابت أربع عائلات كهنوتية للتبرع بأولادها من أجل هذا الغرض"^(٣).

"وقد كان الإعلان عن العثور على البقرة بداية لمرحلة جديدة ومثيرة من الهوس الألفي عند اليهود وأنصارهم من البروتستانت المتهودين في أمريكا وبريطانيا، وتناولتها وسائل

(١) المصدر نفسه، (ص: ٣٩).

(٢) ظهور بقرة 'نهاية العالم' في إسرائيل، أخبارك.نت/ الخميس ١٣/ سبتمبر/ ٢٠١٨ - <https://akhbarak.net>.

(٣) ظهور بقرة 'نهاية العالم' في إسرائيل، جريدة النباء، الخميس ١٣/ سبتمبر/ ٢٠١٨ - <https://www.elnabaa.net>.

الإعلام الحديث بتغطية متلفعة بالتكهنات والتوقعات والحذر، فقد نشرت (صحيفة الأوبزرفر البريطانية) في عددها الصادر في (١٩٩٧/٧/٩) أخبار الحدث قائلة: (سيكون الذبح الطقسي للبقرة الحمراء بعد ثلاث سنوات من ميلادها، بداية العد التنازلي للعودة الكبيرة لليهود إلى موقع عبادتهم السابق، وتبشيراً بمجيء المسيح المخلص؛ بيد أن محاولة تحقيق هذه العودة ستؤدي إلى بداية لا تُنسى للألف الثالثة)^(١).

حدث يبطل البقرة ميلودي:

"شكك بعض الحاخامات في أن تكون (ميلودي) هي البقرة الحمراء المنتظرة، وأوردت صحيفة معاريف الإسرائيلية الصادرة في (١٩٩٧/١٠/٢٩)، عن الحاخام (شمار ياشوف) تصريحاً أدلى به من المزرعة التي تقيم فيها (ميلودي)، قال فيه: (قد لا تكون هذه البقرة هي الحقيقية بسبب بعض الشوائب)، وأخرج الحاخام عدسة مكبرة ولاطف البقرة وصوّب العدسة نحو ذيلها، وقال: (انظروا هنا تجدون بعض الشعيرات البيضاء)! ثم اتجه إلى رأسها وصوب النظر نحو عينيها، وقال: لاحظوا... إن رموشها تبدأ حمراء وتنتهي سوداء... ثم صوّب العدسة نحو الحافر وقال: هذه شعيرات بيضاء أخرى...؛ إنها ليست البقرة المنتظرة"^(٢).

الإعلان الثاني لولادة بقرة حمراء:

تناقلت وسائل الإعلام اليهودية والعالمية عن ولادة العجلة الحمراء في إسرائيل، بتاريخ ٢٨ أغسطس ٢٠١٨م.

(١) د: عبد العزيز بن مصطفى كامل، مرجع سابق، (ص: ٢٤).

(٢) د: عبد العزيز بن مصطفى كامل، مرجع سابق (ص: ٢٦).

وقد أعلن (معهد الهيكل)^(١): "عن ولادة العجلة الحمراء الموصوفة في التوراة، مبيناً أن ميلادها يطلق تنفيذ نبوءة تطهير العالم، وما يقترن بظهورها من هدم المسجد الأقصى، وبناء الهيكل، ونزول المخلص، ومعركة (هرم جدو) ونهاية العالم"^(٢).

وقال الحاخام شاين ريتشمان، المدير الأسمى لمعهد الهيكل: "إن الوقت حان لبناء الهيكل الثالث، بعد أن تحقّق وعد ولادة العجل الأحمر. وقال بيان المعهد: إن العجل الأحمر سيجري إخضاعه لسلسلة تقصّيات للتأكد من أنه (البقرة الموعودة)"^(٣).

(١) (معهد الهيكل، والمعروف بالعبرية باسم (ماخون همكداش) (بالعبرية: מאחון המכדאש))، هي منظمة في إسرائيل تركز على مسعى إقامة الهيكل الثالث. أما أهداف المعهد طويلة الأجل، فهي بناء المعبد اليهودي الثالث على جبل الهيكل (مكان الحرم القدسي الشريف)، في الموقع الذي تشغله حالياً قبة الصخرة، وإعادة طقوس القران اليهودية. ويطمح المعهد إلى الوصول إلى هذا الهدف من خلال دراسة بناء الهيكل ودراسة الطقوس، ومن خلال بناء آثار المعبد والملابس، ووضع خطط البناء الملائمة ليتم تنفيذها فوراً متى سمحت الظروف بإعادة إعمار المكان) [A House of Prayer for All Nations "جيروزاليم بوست، ١١، ٢٠٠٥، October].

(٢) جريدة فلسطين اليوم/ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات [باختصار]، (ص: ١٤)، العدد ٤٧٣٥ - الخميس ١٣ / ٢٠١٨م.

(٣) سمر صالح؛ جريدة صدى البلد: الأربعاء ١٢/سبتمبر/٢٠١٨ - <https://www.elbalad.news> [

المبحث الثاني:

أحكام البقرة الحمراء في التوراة

من طباع اليهود كثرة الاستفسار والسؤال لأنبيائهم حينما يأمرهم بتنفيذ أمر الله؛ فينتج عن ذلك تشديد من الله عليهم، وعلى سبيل المثال في موضوعنا هذا، ما أمر الله به اليهود على لسان نبيهم موسى عليه السلام من ذبح بقرة، أي بقرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ البقرة: ٦٧

ولو ذبحوا أي بقرة لانتهى الأمر، ولأدوا ما وجب عليهم؛ لكن شددوا فشدد الله عليهم في أوصافها وأحكامها، كما وردت في التوراة؛ يتضح ذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول:

تشريع إزالة النجاسة عند اليهود

تذكر التوراة أن هناك نجاسات لا تزول إلا بتقديم قربان يذبح من أجل ذلك، وهو ما يعني أن له صلة بشريعة البقرة الحمراء، ومن ذلك:

١- نجاسة المرأة بالحيض والاستحاضة والولادة، ولا تطهر بانقطاع الدم، بل يجب عليها أن تقرب قرباناً يذبح في الهيكل كي تطهر (١).

(١) جاء في سفر اللاويين : [١٩: وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ، وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي حَمِيمِهَا، فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْنِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٥... وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي عَيْرٍ وَقَتِ طَمْنِهَا، أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْنِهَا، فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامٍ سَيْلًا نَجَسَتْهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْنِهَا، إِنَّهَا نَجَسَةٌ. ٢٨... وَإِذَا طَهَّرْتَ مِنْ سَيْلِهَا تَحَسُّبَ لِنَفْسِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ تَطْهَرُ. ٢٩: وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَأْخُذُ لِنَفْسِهَا بِمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْحِي حَمَامٍ، وَتَأْتِي بِحِمَا إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمْعِ. ٣٠: فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ: الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ، وَالْآخَرَ مُحْرَقَةً. وَيُكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِ نَجَسَتِهَا. ٣١: فَتَعْرِلَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْ نَجَسَتِهِمْ؛ لِغَلَا بَعُوثُوا فِي نَجَسَتِهِمْ بِتَنْجِيسِهِمْ مَسْكَنِي الَّذِي فِي وَسْطِهِمْ. ٣٢: هَذِهِ شَرِيعَةُ ذِي السَّيْلِ]. ينظر: [سفر اللاويين، ١٥/١٩، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢].

وعن النفساء: [١ وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢: كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَائِلًا: إِذَا حَبَلَتِ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا، تَكُونُ نَجَسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْنِ عَيْتِهَا تَكُونُ نَجَسَةً. ٣: وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْضَلُ لَحْمٌ غُرْبَلِي. ٤: ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا فِي

- ٢- نجاسة الرجل من إفرازاته الجسدية^(١).
- ٣- نجاسة من به داء البرص أو أمراض جلدية^(٢).
- ٤- نجاسة برص البيوت^(٣).

دَمَ تَطْهِرَهَا؛ كُلَّ شَيْءٍ مُفَدَّسٍ لَا تَمَسُّ، وَإِلَى الْمُقَدَّسِ لَا يَجِيءُ حَتَّى تَكْمُلَ أَيَّامَ تَطْهِرَهَا. ٥: وَإِنْ وَلَدَتْ أَنْثَى تَكُونُ نَجَسَةً أَسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَهْمِهَا، ثُمَّ تُقِيمُ سِتَّةً وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِرَهَا. ٦: وَمَتَى كَمَلَتْ أَيَّامَ تَطْهِرَهَا لِأَجْلِ ابْنِ أَوْ ابْنَةٍ، تَأْتِي بِخُرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُخْرَقَةٍ، وَفَرَحٍ حَمَامَةٍ أَوْ بِمَامَةٍ ذَيْبِخَةٍ حَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمْعِ، إِلَى الْكَاهِنِ، ٧: فَيَقْدِمُهَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكْفِّرُ عَنْهَا، فَتَطْهَرُ مِنْ يَبْتُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تَلِدُ ذَكَرًا أَوْ أَنْثَى. ٨: وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدَهَا كِفَايَةً لِشَاةٍ تَأْخُذُ بِمَامَتَيْنِ أَوْ فَرَحِي حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُخْرَقَةٍ، وَالْآخَرَ ذَيْبِخَةَ حَطِيَّةٍ، فَيُكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهَرُ. [ينظر: سفر اللاويين (١/١٢-٨).

(١) جاء في سفر اللاويين: [١: وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢: كَلِّمَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقُولَا لَهُمْ: كُلُّ رَجُلٍ يَكُونُ لَهُ سَيْلٌ مِنْ لَحْمِهِ، فَسَيْلُهُ نَجَسٌ... ١٣: وَإِذَا طَهَّرَ دُمُ السَّيْلِ مِنْ سَيْلِهِ، يُحْسَبُ لَهُ سَبْعَةُ أَيَّامٍ لَطَهْرِهِ، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ حَيٍّ فَيَطْهَرُ. ١٤: وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ بِمَامَتَيْنِ أَوْ فَرَحِي حَمَامٍ، وَيَأْتِي إِلَى أَمَامِ الرَّبِّ، إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمْعِ، وَيُعْطِيهِمَا لِلْكَاهِنِ، ١٥: فَيَقْدِمُهُمَا الْكَاهِنُ: الْوَاحِدَ ذَيْبِخَةَ حَطِيَّةٍ، وَالْآخَرَ مُخْرَقَةً. وَيُكْفِّرُ عَنْهُ الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِهِ. [ينظر: سفر اللاويين، (١/١٥، ٢، ١٣، ١٤، ١٥).

(٢) شريعة تطهير الأبرص: [١: وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ٢: هَذِهِ تَكُونُ شَرِيعَةُ الْأَبْرَصِ: يَوْمَ طَهَّرَهُ، يُؤْتَى بِهِ إِلَى الْكَاهِنِ. ٣: وَيَخْرُجُ الْكَاهِنُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ، فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ وَإِذَا ضَرَبَهُ الْبَرَصُ قَدْ بَرَّتْ مِنَ الْأَبْرَصِ، ٤: يَأْمُرُ الْكَاهِنُ أَنْ يُؤَخِّدَ الْمُنْتَطَهَّرَ عُصْفُورَانِ حَيَّانِ طَاهِرَانِ، وَخَشَبَ أَرْزٍ وَقَرْمِزٍ وَرُوفًا. ٥: وَيَأْمُرُ الْكَاهِنُ أَنْ يَذْبَحَ الْعُصْفُورَ الْوَاحِدَ فِي إِنَاءٍ خَزَفٍ عَلَى مَاءٍ حَيٍّ. ٦: أَمَّا الْعُصْفُورُ الْحَيُّ فَيَأْخُذُهُ مَعَ خَشَبِ الْأَرْزِ وَالْقَرْمِزِ وَالرُّوفَا وَيَغْمِسُهَا مَعَ الْعُصْفُورِ الْحَيِّ فِي دَمِ الْعُصْفُورِ الْمَذْبُوحِ عَلَى الْمَاءِ الْحَيِّ، ٧: وَيَنْضِجُ عَلَى الْمُنْتَطَهَّرِ مِنَ الْبَرَصِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَيَطْهَرُهُ، ثُمَّ يُطْلِقُ الْعُصْفُورَ الْحَيَّ عَلَى وَجْهِ الصَّخْرَاءِ. ٨: فَيَغْسِلُ الْمُنْتَطَهَّرَ ثِيَابَهُ، وَيَخْلُقُ كُلَّ شَعْرِهِ، وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ فَيَطْهَرُ. ثُمَّ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ، لَكِنْ يُقِيمُ خَارِجَ خَيْمَتِهِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ٩: وَفِي الْيَوْمِ السَّابِعِ يَخْلُقُ كُلَّ شَعْرِهِ؛ رَأْسَهُ وَلَحْيَتَهُ وَخَوَاجِبَ عَيْنَيْهِ وَجَمِيعَ شَعْرِهِ يَخْلُقُ، وَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ، وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ فَيَطْهَرُ. ١٠: ثُمَّ فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يَأْخُذُ خُرُوفَيْنِ صَحِيحَيْنِ، وَنَعْجَةً وَاحِدَةً حَوْلِيَّةً صَحِيحَةً، وَثَلَاثَةَ أَشْشَارٍ ذَقِيقٍ ثَقْدِمَةً مَلْتَوْتَةً بَرِيئَةً وَجَّ زَيْتٍ. ١١: فَيُوقِفُ الْكَاهِنُ الْمُنْتَطَهَّرَ الْإِنْسَانَ الْمُنْتَطَهَّرَ وَإِيَّاهَا أَمَامَ الرَّبِّ لَدَى بَابِ خَيْمَةِ الْجَمْعِ. ١٢: ثُمَّ يَأْخُذُ الْكَاهِنُ الْخُرُوفَ الْوَاحِدَ وَيُقْرِبُهُ ذَيْبِخَةَ إِثْمٍ مَعَ لُحِّ الزَّيْتِ. يُرَدِّدُهَا تَرْدِيدًا أَمَامَ الرَّبِّ. ١٣: وَيَذْبَحُ الْخُرُوفَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَذْبَحُ فِيهِ ذَيْبِخَةَ الْحَطِيَّةِ وَالْمُخْرَقَةَ فِي الْمَكَانِ الْمُقَدَّسِ؛ لِأَنَّ ذَيْبِخَةَ الْإِثْمِ كَذَيْبِخَةِ الْحَطِيَّةِ لِلْكَاهِنِ. إِنَّهَا فُذْسٌ أَفْدَاسٍ... ٣٢: هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّذِي فِيهِ ضَرْبَةٌ بَرَصٍ الَّذِي لَا تَنَالُ يَدُهُ فِي تَطْهِرِهِ. [ينظر: سفر اللاويين، (١/١٤-١٣، ٣٢).

(٣) جاء في سفر اللاويين: [٣٣: وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٣٤: مَتَى جِئْتُمْ إِلَى أَرْضِ كَنْعَانَ الَّتِي أُعْطَيْتُكُمْ مَلْئِكًا، وَجَعَلْتُ ضَرْبَةَ بَرَصٍ فِي بَيْتٍ فِي أَرْضِ مَلِكِكُمْ. ٣٥: يَأْتِي الَّذِي لَهُ الْبَيْتُ، وَيُخْبِرُ الْكَاهِنَ قَائِلًا: قَدْ ظَهَرَ لِي شَيْبَةٌ

٥- النجاسة بسبب الميت.^(١) وفي طهارة هذه النجاسة جاء ذكر البقرة الحمراء كما سيبينه المبحث التالي:

المطلب الثاني:

شروط البقرة الحمراء وكيفية ذبحها

هناك شروط دقيقة لتكون البقرة الحمراء قابلة لتُقَدَّم ذبيحة يرفع برادها نجاسات بني إسرائيل.

جاء في سفر العدد: [١: وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى وَهَارُونَ قَائِلًا: ٢: هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقْرَةً حَمْرَاءَ صَحِيحَةً لَا عَيْبَ فِيهَا، وَلَمْ يَعْ لَ عَلَيْهَا نِيرٌ. ٣: فَتُغَطُّونَهَا لِأِعَازَارَ الْكَاهِنِ، فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَتُذَبِّحُ قُدَّامَهُ. ٤: وَيَأْخُذُ أَلْعَازَارُ الْكَاهِنُ مِنْ دَمِهَا بِإِصْبَعِهِ، وَيَنْضِخُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ حَيْمَةَ الْجَمِيعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ. ٥: وَتُحْرَقُ الْبَقْرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ؛ يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَحَمَمُهَا وَدَمُهَا مَعَ فَرْثِهَا. ٦: وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ حَشَبَ أَرْزٍ وَرُوفًا وَقَرْمَزًا وَيَطْرَحُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبَقْرَةِ. ٧: ثُمَّ يَغْسَلُ

صَرِيَّةً فِي الْبَيْتِ. ٣٦: فَيَأْمُرُ الْكَاهِنُ أَنْ يُفْرِغُوا الْبَيْتَ قَبْلَ دُخُولِ الْكَاهِنِ لِيَرَى الصَّرِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ يَنْجَسُ كُلُّ مَا فِي الْبَيْتِ، وَيَعْدُ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْكَاهِنُ لِيَرَى الْبَيْتَ. ٣٧: فَإِذَا رَأَى الصَّرِيَّةَ، وَإِذَا الصَّرِيَّةُ فِي حَيْطَانِ الْبَيْتِ نُقِرَ صَارِيَّةً إِلَى الْخُضْرَةِ أَوْ إِلَى الْحُمْرَةِ، وَمَنْظَرُهَا أَعْمَقُ مِنَ الْخَائِطِ. ٣٨: يَخْرُجُ الْكَاهِنُ مِنَ الْبَيْتِ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ، وَيُعْلِقُ الْبَيْتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. ٣٩: فَإِذَا رَجَعَ الْكَاهِنُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ وَرَأَى، وَإِذَا الصَّرِيَّةُ قَدْ امْتَدَّتْ فِي حَيْطَانِ الْبَيْتِ. ٤٠: يَأْمُرُ الْكَاهِنُ أَنْ يَفْلَعُوا الْحِجَارَةَ الَّتِي فِيهَا الصَّرِيَّةُ، وَيَطْرَحُوهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ فِي مَكَانٍ نَجِسٍ. ٤١: وَيُقَشِّرُ الْبَيْتَ مِنْ دَاخِلِ حَوَالِيهِ، وَيَطْرَحُونَ التُّرَابَ الَّذِي يُقَشِّرُونَهُ خَارِجَ الْمَدِينَةِ فِي مَكَانٍ نَجِسٍ. ٤٨...: لَكِنْ إِنْ أَتَى الْكَاهِنُ وَرَأَى وَإِذَا الصَّرِيَّةُ لَمْ تَمُتْ فِي الْبَيْتِ بَعْدَ تَطْيِينِ الْبَيْتِ، يُطَهَّرُ الْكَاهِنُ الْبَيْتَ؛ لِأَنَّ الصَّرِيَّةَ قَدْ بَرَّتْ. ٤٩: فَيَأْخُذُ لِيَطْهَرِ الْبَيْتَ غُصْفُورَيْنِ وَخَشَبَ أَرْزٍ وَقَرْمَزًا وَرُوفًا. ٥٠: وَيَذْبُحُ الْغُصْفُورَ الْوَاحِدَ فِي إِثْنَاءِ خَرْفٍ عَلَى مَاءٍ حَيٍّ. ٥١: وَيَأْخُذُ خَشَبَ الْأَرْزِ وَالرُّوفَا وَالْقَرْمَزَ وَالْغُصْفُورَ الْحَيَّ، وَيَغْمِسُهَا فِي دَمِ الْغُصْفُورِ الْمَذْبُوحِ وَفِي الْمَاءِ الْحَيِّ، وَيَنْضِخُ الْبَيْتَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. ٥٢: وَيُطَهِّرُ الْبَيْتَ بِدَمِ الْغُصْفُورِ وَبِالْمَاءِ الْحَيِّ وَبِالْغُصْفُورِ الْحَيِّ وَخَشَبَ الْأَرْزِ وَالرُّوفَا وَالْقَرْمَزِ. ٥٣: ثُمَّ يُطْلِقُ الْغُصْفُورَ الْحَيَّ إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ عَلَى وَجْهِ الصَّخْرَاءِ، وَيُكْفِّرُ عَنِ الْبَيْتِ فَيَطْهَرُ. ٥٤: هَذِهِ هِيَ الشَّرِيعَةُ لِكُلِّ صَرِيَّةٍ مِنَ الْبَرَصِ...، هَذِهِ شَرِيعَةُ الْبَرَصِ]. ينظر: سفر اللاويين (١٤/٣٣-٥٤).

^١ - [سفر العدد ١٩/١-١٠].

الْكَاهِنُ ثِيَابَهُ وَيَرْحُضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَدْخُلُ الْمَحَلَّةَ، وَيَكُونُ الْكَاهِنُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٨: وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحُضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ، وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٩: وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبَقْرَةِ، وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ، فَتَكُونُ لِمَجَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي حِفْظِ، مَاءٍ نَجَاسَةٍ؛ إِنَّهَا ذَبِيحَةٌ حَطِيئَةٌ. ١٠: وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبَقْرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ، فَتَكُونُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلِلْغَرِيبِ النَّازِلِ فِي وَسْطِهِمْ فَرِيضَةً دَهْرِيَّةً^(١).

التوضيح:

من النص السابق تتبين الصفات التالية:

١ - بقرة حمراء اللون [بَقْرَةٌ حُمْرَاءٌ].

٢ - يجب أن تكون البقرة بلا عيب؛ [صَحِيحَةٌ لَا عَيْبَ فِيهَا]، وهذا شرط ليس في البقرة الحمراء فقط، بل في جميع القرابين المعتادة^(٢).

٣ - لا تقوم بأي عمل من الأعمال، [وَلَمْ يَعْلُ عَلَيْهَا نِيرٌ]، أي: لا تقوم بالحرث أو غيره، ولو عملاً طفيفاً، فقد جاء في التلمود: [إذا ركبها إنسان، أو اتكأ عليها، أو تعلق

(١) [سفر العدد ١٩/١٠-١١].

(٢) جاء في سفر اللاويين ٢٢: [١٧: وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلًا: ١٨: كَلِمَ هَارُونَ وَبَنِيهِ وَجَمِيعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقُلْ لَهُمْ: كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمِنَ الْعُرَبَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ، قَرَّبَ قُرْبَانَهُ مِنْ جَمِيعِ نُذُورِهِمْ وَجَمِيعِ نَوَافِلِهِمْ الَّتِي يُقَرَّبُونَهَا لِلرَّبِّ مُحْرَقَةً. ١٩: فَلِلرِّضَا عَنْكُمْ يَكُونُ ذَكْرًا صَحِيحًا مِنَ الْبَقْرِ أَوْ الْعَنْمِ أَوْ الْمَغْزِ. ٢٠: كُلُّ مَا كَانَ فِيهِ عَيْبٌ لَا تُقَرَّبُوهُ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ لِلرِّضَا عَنْكُمْ. ٢١: وَإِذَا قَرَّبَ إِنْسَانٌ ذَبِيحَةَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ وَقَاءً لِنَذْرٍ، أَوْ نَافِلَةً مِنَ الْبَقْرِ أَوْ الْأَعْنَامِ، تَكُونُ صَحِيحَةً لِلرِّضَا. كُلُّ عَيْبٍ لَا يَكُونُ فِيهَا. ٢٢: الْأَعْمَى وَالْمَكْسُورُ وَالْمَجْرُوحُ وَالْبَيْتِيُّ وَالْأَجْرَبُ وَالْأَكْلَفُ، هَذِهِ لَا تُقَرَّبُوهَا لِلرَّبِّ، وَلَا تَجْعَلُوهَا مِنْهَا وَقُودًا عَلَى الْمَذْبَحِ لِلرَّبِّ. ٢٣: وَأَمَّا الثَّوْرُ أَوْ الشَّاةُ الرَّوَايِدِيُّ أَوْ الْقُرْمُ فَنَافِلَةٌ تَعْمَلُ، وَلَكِنْ لِنَذْرٍ لَا يُرْضَى بِهِ. ٢٤: وَمَرْضُوضٌ الْحِصْبَةِ وَمَسْحُوقَةٌ وَمَقْطُوعَةٌ لَا تُقَرَّبُوهَا لِلرَّبِّ]. ينظر: [سفر اللاويين ٢٢/١٧-٢٤].

- بذيلها؛ ليعبر النهر، أو طوى عليها حبلاً (لسحب الدابة)، أو وضع شاله عليها -
فإنها باطلة^(١).
- ٤- يتم الذبح خارج المحلة، [فَتُخْرَجُ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَتُذْبَحُ فُذَّامَهُ]، أي: لا تذبح في الهيكل كبقية القرابين، بل خارج البلدة، بإشراف الكاهن.
- ٥- ويرش الدم سبع مرات في مقدمة الخيمة المقدسة، [وَيَنْضِخُ مِنْ دَمِهَا إِلَى جِهَةِ وَجْهِ خَيْمَةِ الْجَمَاعِ سَبْعَ مَرَّاتٍ].
- ٦- تحرق البقرة بالكامل أمام الكاهن، [وَتُحْرَقُ الْبُقْرَةُ أَمَامَ عَيْنَيْهِ - يُحْرَقُ جِلْدُهَا وَخَنَمُهَا وَدُمُّهَا مَعَ فَرْثِهَا].
- ٧- يضاف إلى النار خشب الأرز وزوفا وأرجوان، [وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ خَشَبَ أَرْزٍ وَزُوفًا وَقَرْمَزًا وَيَطْرُقُهُنَّ فِي وَسْطِ حَرِيقِ الْبُقْرَةِ].
- وسياتي التفصيل في الثلاثة الأمور الأخيرة في مطالب آتية.
- ٨- يغتسل الكاهن الذي حرقها ويغسل ملابسه؛ [وَالَّذِي أَحْرَقَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ بِمَاءٍ وَيَرْحَضُ جَسَدَهُ بِمَاءٍ].
- ٩- يجمع رجل طاهر الرماد، ويضعه في مكان طاهر خارج القرية؛ [وَيَجْمَعُ رَجُلٌ طَاهِرٌ رَمَادَ الْبُقْرَةِ وَيَضَعُهُ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ فِي مَكَانٍ طَاهِرٍ].
- ١٠- الرجل الطاهر الذي جمع الرماد يغسل ثيابه؛ [وَالَّذِي جَمَعَ رَمَادَ الْبُقْرَةِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ].

(١) د. مصطفى عبد المعبود، مرجع سابق (ص: ٣٠٢).

المبحث الثالث:

بقرة بني إسرائيل في المصادر الإسلامية

يذكر لنا القرآن الكريم قصة بقرة بني إسرائيل، لإظهار معجزة إحياء الميت؛ لإثبات البعث؛ لعل بني إسرائيل يعقلون ويطيعون الله سبحانه؛ قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ سورة البقرة: ٧٣.

وتوضح لنا مطالب هذا المبحث التشابه والاختلاف بين البقرة الصفراء في القرآن، والبقرة الحمراء في التوراة، وملابسات تلك الاختلافات.

المطلب الأول:

بقرة بني إسرائيل في القرآن الكريم

جاءت قصة البقرة في أكبر سورة في القرآن، وقد سميت هذه السورة باسمها (سورة البقرة)؛ قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوْنُ يَبْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَمَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْفَن جِئْت بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ سورة البقرة: ٦٧-٧٣.

يقول الإمام الطبري في تفسيره: "وهذه الآية مما وبخ الله بها المخاطبين من بني إسرائيل، في نقض أوائلهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه، فقال لهم: واذكروا أيضاً من نكثكم ميثاقي ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، وقومه بنو إسرائيل، إذ ادارعوا في القتل الذي

قتل فيهم إليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُرُوطًا...﴾، ولم يكن لهم أن يظنوا ذلك بنبي الله، وهو يخبرهم أن الله هو الذي أمرهم بذبح البقرة... وبرأ نفسه مما ظنوا به من ذلك فقال: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، يعني من السفهاء الذين يروون عن الله الكذب والباطل" (١).

ويقول الإمام ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِصٌ﴾ يعني: لا هرمة، ﴿وَلَا بَكْرٌ﴾، يعني: ولا صغيرة، ﴿عَوَانٌ يَبِينُ ذَلِكَ﴾، أي: نصف بين البكر والهرمة؛ ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾، أي: صافٍ لونها؛ ﴿تَسْرُ الْأَنْظُرِينَ﴾، أي: تعجب الناظرين؛ ﴿قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَ تَشَبَّهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾، أي: لم يذلها العمل، ﴿يَبِيذٌ﴾، يعني: وليست بذلول تتير الأرض، ﴿وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ﴾؛ يقول: ولا تعمل في الحرث، ﴿مُسَلَّمَةٌ﴾، يعني: مسلمة من العيوب، ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾؛ يقول: لا يبيض فيها، ﴿قَالُوا أَلْقِنِ جِئْتِ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ قال: ولو أن القوم حين أمروا أن يذبحوا بقرة استعرضوا بقرة من البقر فذبحوها؛ لكانت إياها، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم، ولولا أن القوم استثنوا فقالوا: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾؛ لما هدوا إليها أبدا (٢).

ويقول الشيخ السعدي في تفسيره: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مِمَّا كُنْتُمْ تَكْفُمُونَ﴾، أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلاً، وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلفتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد - لولا تبيين الله لكم - يحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبيين القاتل: اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾، فلما ذبحوها، قلنا لهم: اضربوا القاتل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين، أو أي

(١) محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢/١٨٢).

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (١/٢٩٤).

عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضربوه ببعضها فأحياه الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، فتزجرون عما يضركم^(١).

ويقول الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره: "هَذِهِ الْقِصَّةُ مِمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُفْصِّهَ عَلَيْنَا مِنْ أَحْبَابِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي قَسْوَتِهِمْ وَفُسُوقِهِمْ لِلْإِعْتِبَارِ بِهَا"^(٢).

المطلب الثاني:

ملخص التشابه والاختلاف بين البقرة في المصادر الإسلامية والمصادر اليهودية

التشابه بين بقرة بني إسرائيل في القرآن والتوراة

موضوع التشابه	البقرة في القرآن	البقرة في التوراة
١- الأمر من الله بذبح بقرة	﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبُحُوا بَقْرَةً﴾	[هَذِهِ فَرِيضَةُ الشَّرْبِعَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا الرَّبُّ قَائِلًا: كَلِّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقْرَةً... وَتَذْبُحُ]
٢- بقرة لها لون معين	﴿بَقْرَةً صَفْرَاءَ فَاقِعَ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاطِرِينَ﴾	(يَأْخُذُوا إِلَيْكَ بَقْرَةً حُمْرَاءَ)
٣- لم تعمل في الحرث.	﴿بَقْرَةً لَا ذُلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرثَ﴾	أ- (وَلَمْ يَعْلُ عَلَيْهَا نِيرٌ) ب- (عِجْلَةٌ مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا، لَمْ تَجْرُ بِالنَّيْرِ).
٤- صحيحة خالية من أي عيب	﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا﴾	(صَحِيحَةٌ لَا عَيْبَ فِيهَا)
٥- سبب ذبحها متعلق بقتل إنسان لا يعرف قاتله	﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾	أ- (إِذَا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ... لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ...، وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ... فَيُعْفَرُ لَهُمُ الدَّمُ) ب- تشريع آخر للطهارة (مَنْ مَسَّ مَيِّتًا مَيِّتَةً إِنْسَانٍ... يَتَطَهَّرُ بِهِ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ)

(١) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: ٧٠-٧١).

(٢) محمد رشيد بن علي رضا، تفسير المنار، (٢٨٦/١).

الاختلاف بين بقرة بني إسرائيل في القرآن والتوراة والتلمود

بقرة بني إسرائيل في التوراة والتلمود	بقرة بني إسرائيل في القرآن
بينت تفاصيل كيفية ذبح البقرة وكيفية الطهارة برماد البقرة.	ذكرها الله تعالى: ١- لإظهار معجزة إحياء الميت على يد نبي الله موسى عليه السلام، وإثبات قدرة الله عز وجل ووحدانيته. ٢- للعظة والعبرة في تشديد الله على من يتعنّت مع نبيه.

المطلب الثالث :

شبهة ورد

الشبهة: يقول أهل الشبهات في القرآن: إن هذه القصة بين موسى عليه السلام وبني

إسرائيل لا وجود لها في التوراة!

الرد: بل هناك في التوراة حكم عام ينص على أنه: إذا قتل قتيلًا ولم يعرف قاتله،

فيجب أن تذبح بقرة، وفيما يلي نص هذا التشريع: جاء في التوراة في سفر التثنية: [١: إذا وُجِدَ قَتِيلٌ فِي الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِيَّاكَ لِتَمْتَلِكَهَا وَقَعًا فِي الْحَقْلِ، لَا يُعْلَمُ مَنْ قَتَلَهُ.

٢: يُخْرِجُ شُيُوخَ وَفُضَاتِكَ وَيَقِيمُونَ إِلَى الْمُدُنِ الَّتِي حَوْلَ الْقَتِيلِ. ٣: فَالْمَدِينَةُ الْقُرْبَى مِنْ

الْقَتِيلِ، يَأْخُذُ شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ عِجْلَةً مِنَ الْبَقَرِ لَمْ يُحْرَثْ عَلَيْهَا؛ لَمْ تَجْرُ بِالْبَيْرِ. ٤: وَيَنْحَدِرُ

شُيُوخُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِالْعِجْلَةِ إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ لَمْ يُحْرَثْ فِيهِ وَلَمْ يُزْرَعْ، وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ

الْعِجْلَةِ فِي الْوَادِي. ٥: ثُمَّ يَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لَأوِي؛ لِأَنَّهُ إِيَاهُمْ احْتَارَ الرَّبُّ إِيَّاكَ لِخَدِيمُوهُ

وَيُبَارِكُوا بِاسْمِ الرَّبِّ، وَحَسَبَ قَوْلِهِمْ تَكُونُ كُلُّ حُصُومَةٍ وَكُلُّ ضَرْبَةٍ. ٦: وَيَغْسِلُ جَمِيعُ شُيُوخِ

تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقُرْبَى مِنْ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعِجْلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي. ٧:

وَيَصْرُخُونَ وَيَقُولُونَ: أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَ، وَأَعْيُنُنَا لَمْ تُبْصِرْ. ٨: اغْفِرْ لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ

الَّذِي فَدَيْتَ يَا رَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ؛ فَيُعْقَرُ لَهُمُ الدَّمُ. ٩: فَتَنَزَّعُ الدَّمُ الْبَرِيَّ مِنْ وَسْطِكَ إِذَا عَمِلْتَ الصَّالِحَ فِي عَيْنِي الرَّبِّ^(١).

فهذه الرواية والقصة القرآنية متعلقتان بنفس الموضوع؛ ففي القرآن أمرهم موسى عليه السلام بذبح بقرة عندما طلب منه بنو إسرائيل أن يخبرهم من هو القاتل، وفي التوراة تبين أن ذبح بقرة تشريعاً لكل قتيل يقتل ولم يعرف قاتله، فلعل هذا التشريع سببه تلك القصة المروية في القرآن الكريم، أو أن القصة إجراء لتشريع كان ثابتاً عندهم. مما يدل على وجود أساس لذكر البقرة التي ذكرها القرآن.

لكن الرواية التوراتية لم تذكر القصة الأساسية التي لأجلها جاء هذا التشريع بما فيه من إعجاز إحياء الميت؛ ليدل على قاتله.

ولعل هذا بسبب كثرة تدخل أيدي المحرفين في الكتاب المقدس؛ يقول عنهم النبي إرميا في سفره: [أَمَا وَحْيِي الرَّبِّ فَلَا تَذْكُرُوهُ بَعْدُ؛ لِأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ، إِذْ قَدْ حَرَفْتُمْ كَلَامَ إِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَيْنَا]^(٢).

(١) [سفر التثنية، ١/٢١-٩].

(٢) [سفر إرميا، ٢٣/٣٦].

الفصل الثاني

علاقة البقرة الحمراء ببناء الهيكل والألفية السعيدة

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الهيكل اليهودي.

المبحث الثاني: الألفية السعيدة عند اليهود والنصارى.

تمهيد:

يؤمن الصهاينة بأنه يتوجب عليهم بناء ما يسمونه بالهيكل الثالث، بمجرد ظهور البقرة الحمراء، وقبل أن تبلغ سن الثالثة من عمرها مهما كلفهم الأمر؛ كي يأتي المسيح المخلص، وتحل على الأرض الألفية السعيدة، وسيكون البحث في هذا الفصل عن الهيكل اليهودي والألفية السعيدة.

المبحث الأول:

الهيكل اليهودي

المطلب الأول: تعريف الهيكل

إن بيوت الله في الأرض وعمارتها بالصلاة والذكر وإقامة شعائر الله فيها هو أهم ما يجب أن تعتني به البشرية؛ لأن الله عز وجل ما خلقنا إلا لنعبده سبحانه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ الذاريات: ٥٦، وما هيكل اليهود إلا واحدا من المباني التي شيدت في الأرض المباركة لعبادة الله عز وجل.

والهيكل: كلمة عربية يقابلها في العبرية: (بيت همقداش)، أي: بيت المقدس، أو:

(هيخال)، وتعني: البيت الكبير؛ في كثير من اللغات السامية^(١).

(١) د. عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، (٤/١٥٩).

وفي كتاب العين: "هكل: الهَيْكَلُ: الفرس الطويلُ عُلوًّا وَعَدُوًّا؛ قال: «بمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوابِدِ هَيْكَلٍ»^(١). والهَيْكَلُ: بيتٌ للنَّصارَى فيه صَنَمٌ على خِلْقَةِ مريمَ عليها السَّلامُ فيما يُذَكَّرُ، قال: «مَشَى النَّصارَى حولَ بيتِ الهَيْكَلِ»^(٢).

المطلب الثاني:

بناء الهيكل الثالث

منذ تدمير الهيكل الثاني في التاسع من آب (أغسطس) سنة ٧٠م، على يد القائد الروماني طيطس^(٣) واليهود يدعون في صلواتهم أن يعيد الله بناء الهيكل الثالث في أورشليم، أي القدس، وقد "أصبح هذا الدعاء جزءًا لا يتجزأ من صلاة البركات الثماني عشرة (תפילותשמנהעשרה "تفيلات شمونيه عسريه")، المتكررة ثلاث مرات في اليوم حسب الشريعة اليهودية: "وإلى أورشليم مدينتك لتعد وتسكن فيها كما وعدت، وعمرها قريباً في أيامنا عمراناً دائماً، ولتعدّ عرش داود عبدك داخلها في القريب العاجل... إرضَ أيّها الربّ إلهنا بشعبك إسرائيل، واستجب صلواتهم، وأعدّ العبادة إلى بيتك، ولتقبل أناس إسرائيل وصلاتهم عاجلاً ومحبةً، ولترضَ دائماً بعبادة إسرائيل شعبك"^(٤).

ومع أن الصهاينة اليهود علمانيون؛ لكنهم يستخدمون الدين للكسب السياسي، فهذا (ديفيد بن جوربون) مؤسس دولة إسرائيل ورئيس وزرائها الأول، والذي استمر في منصبه لمدة

(١) هذا عجز بيت من معلقة امرئ القيس، وصدر البيت: «وقد أعتدي والطير في وكناهما». ينظر: امرؤ القيس، الديوان، (ص: ١٩).

(٢) ينظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري، العين، (٣/٣٧٧)، مادة (هكل). وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، (٢/٩٨٣)، مادة (هكل).

(٣) طيطس: هو ابن للقيصر أباسيانوس، ضم إليه أبوه عسكرياً كثيراً، ووجهه إلى بيت المقدس، فحاصرها سنتين إلى أن فتحها، وخرّبها". ينظر: تاريخ ابن البطريق، (١/٩٨)، نقلاً عن كتاب: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية الحراني، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، (٢/٦٨).

(٤) المهندس زهدي جمال الدين مُجّد، المؤامرة الكبرى (سرقة وطن) (ص: ١١).

ثلاثين عاماً، ويقال أنه رجل (ملحد)^(١)، ومع ذلك فهو رافع شعار الإيمان بالعاصمة المقدسة، ومن أقواله المشهورة: "نؤمن بأنه لا إسرائيل من دون القدس، ولا قدس من دون الهيكل"^(٢).

فبناء الهيكل في القدس أولوية ملحة لليهود، وقد "تعمدت إسرائيل وبتأييد ودعم أمريكي وأوروبي واضح أن تجعل القدس خارج إطار اتفاقية (كامب ديفيد)، التي عقدها مع الرئيس الراحل أنور السادات، وخارج (اتفاقية أوسلو)، التي عقدها مع منظمة التحرير الفلسطينية...، وقد اتفقت الأحزاب اليهودية كلها -السياسية والدينية- على خطة مدينة القدس الكبرى، العاصمة الأبدية لدولة إسرائيل، وكل ذلك بدعم وبتأييد نصراني أوروبي وأمريكي"^(٣).

معارضة بعض اليهود لبناء الهيكل الثالث:

منذ عام ١٩٤٨م والصهاينة من اليهود يحاولون دفع عجلة بناء الهيكل؛ ولكن هناك بعض الطوائف الرئيسية

ومن حاخامات اليهود من يفتي بمنع إعادة بناء الهيكل، ويحرمون على اليهود دخول المنطقة التي يوجد بها المسجد الأقصى وقبة الصخرة، فقد "أصدر ١٢٠ من كبار الحاخامات الإسرائيليين، فتوى دينية، بتحريم زيارة اليهود إلى المسجد الأقصى، وإقامة الشعائر التلمودية فيه"^(٤).

ومن أشهرهم: حركة الإصلاحيين: التي من أهم تعاليمها:

- ١- إنكار نظرية المسيح المنتظر.
- ٢- إنكار الأمل بالعودة لبناء الهيكل.^(٥)

(١) أحمد المسلماني، ما بعد إسرائيل، (ص: ٣٠٦).

(٢) المهندس: زهدي جمال الدين مجّد، مرجع سابق (ص: ٥٢٨).

(٣) د. عبد العزيز مصطفى كامل، مرجع سابق، (ص: ٢٢٥).

(٤) أرشيف نشرة فلسطين اليوم، التاريخ: الأحد ١١/١١/٢٠١٥م - العدد: ٣٧٣٩ - <https://books.google.com>.

٥ - مقارنة الأديان / د. / مجّد الخطيب / ص ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، باختصار.

و(الأرثوذكس أو الحريديم)، وهم الذين يحملون أفكاراً معارضة لمبدأ تأسيس الدولة، ولهم أنماط حياة أيضاً خاصة، منهم من يتعاملون مع الدولة ومؤسساتها ويشارك هذا التيار في الانتخابات انطلاقاً من مبدأ المصلحة أمثال (شاس، ديغل هتورا، حباد). وقسم آخر يرفض ذلك جملة وتفصيلاً، بل يتهم دعاة الصهيونية بالزندقة والكفر، ولا يحمل بعضهم الهوية الإسرائيلية، أمثال جماعة (ناطوري كارتا)"^(١).

بناء الهيكل الثالث) يستلزم هدم (المسجد الأقصى):

دأب بنو إسرائيل منذ تاريخهم القديم على استغلال الدين، وتوظيفه بما يخدم أهوائهم وأطماعهم، وعلقوا إعادة بناء الهيكل الثالث بضرورة إقامة شريعة البقرة الحمراء التي أظهروها، والتي لا يمكن أن تؤدي إلا في الهيكل، مع أنه لا يوجد نص في التوراة أو حتى في التلمود يحثهم على بناء الهيكل الثالث؛ تقول د. ليلي أبو المجد، أستاذ الدراسات التلمودية بجامعة عين شمس، حول هذا الهيكل المزعوم: "لا يوجد نص في العهد القديم يأمر ببناء الهيكل الثالث، ولا يوجد أحكام في التلمود أيضاً تحث على إعادة بناء الهيكل"^(٢).

بل يعلم اليهود وكذلك النصارى بأن هدم المسجد الأقصى، أو حتى قبة الصخرة، سيشتعل عليهم حرباً عظيمة لم تحدث من قبل، وقد حذرت التوراة والإنجيل بني إسرائيل من ذلك العمل، ووصفته بالرجس؛ جاء في سفر النبي دانيال: [٣١: وَتَقُومُ مِنْهُ أَدْرُجٌ وَتَنْجِسُ الْمَقْدِسَ الْحَصِينِ، وَتَنْزِعُ الْمُحْرِقَةَ الدَّائِمَةَ، وَتَجْعَلُ الرَّجْسَ الْمُحَرَّبَ]^(٣).

(١) المهندس زهدي جمال الدين، زوال الدولة العبرانية (حقيقة قرآنية).

(٢) جريدة الوفد، هيام سليمان - حوار مع: د. ليلي أبو المجد، أستاذ الدراسات التلمودية بجامعة عين شمس - الخميس،

٢٣ يونيو ٢٠١٦ م - <https://alwafd.news>

(٣) [سفر دانيال، ١١:٣١].

وقال أيضاً: [وَيُنَبِّتُ عَهْدًا مَعَ كَثِيرِينَ فِي أَسْبُوعٍ وَاحِدٍ، وَفِي وَسَطِ الْأَسْبُوعِ يُبْطَلُ الدَّبِيحَةُ وَالتَّقْدِيمَةُ، وَعَلَى جَنَاحِ الْأَرْجَاسِ مُحْرَبٌ، حَتَّى يَتِمَّ وَيُصَبَّ الْمَقْضِيُّ عَلَى الْمُحْرَبِ] (١).

وحذر المسيح أيضاً من الإقدام على فعل ذلك مذكراً لليهود ما أخبر به النبي دانيال، فقال: [١٤: فَمَتَى نَظَرْتُمْ «رِجْسَةَ الْخَرَابِ» الَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيَالُ النَّبِيُّ: قَائِمَةٌ حَيْثُ لَا يَنْبَغِي لِيَفْهَمَ الْقَارِئُ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ الَّذِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ إِلَى الْجِبَالِ. ١٥: وَالَّذِي عَلَى السَّطْحِ فَلَا يَنْزِلُ إِلَى الْبَيْتِ وَلَا يَدْخُلُ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا. ١٦: وَالَّذِي فِي الْحُقْلِ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاءِ لِيَأْخُذَ ثَوْبَهُ. ١٧: وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ! ١٨: وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ. ١٩: لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ضَيْقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى الْآنَ، وَلَنْ يَكُونَ] (٢).

يقول الشيخ سفر الحوالي في بحثه عن رجسة الخراب: "كالعادة.. نصوص عن أحداث هائلة؛ لكن غموضها محير، واختلافهم فيها شديد، وذلك بسبب التحريف بالزيادة والنقصان، ومع ذلك فلها تفسير وحيد لا يصح غيره.

(رجسة الخراب) مصطلح كتابي مهم جداً، وهو واضح؛ لكن القوم كالعادة أحاطوه بهالة من الغموض في لفظه وفي تأويله.

وهذا التركيب بصيغة المضاف والمضاف إليه له مترادفات أخرى مثل: "وحشة الخراب"، و"شناعة - أو شنيعة - الخراب"، وله ترجمات بالمعنى مثل: "معصية الخراب"، و"المعصية المدمرة" أو "الخطيئة المدمرة".

(١) [سفر دانيال، ٩:٢٧].

(٢) [إنجيل مرقس، ١٣: ١٤-١٩].

أما بيتز فقد حقق أنها: "المُخْرَبُ الشنيع"، ويمكن ترجمتها بـ: "المُخْرَبُ النجس أو الرجس"، ولعل الأصح في الترجمة والأوفق لكلمات الله أن تسمى: (المفسد الرجس)، أو: (الرجس المفسد)^(١).

المطلب الثالث:

حقيقة الهيكل

لقد بني المسجد الأقصى قبل الهيكل بقرون طويلة، فهو ثاني بيت الله يبنى على الأرض بعد البيت الحرام بمكة المكرمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة آل عمران: ٩٦.. وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ. قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى. قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً»^(٢).

"وقد اختلف العلماء فيمن قام ببناء المسجد الحرام والمسجد الأقصى أول مرة، فمنهم من يقول: إنَّ الملائكة هي أول من قامت ببناء المسجدين، ومنهم من يقول: إنَّ أول من بناهما هو آدم عليه السلام، ومنهم من يقول: إبراهيم عليه السلام؛ ولكن اتفق العلماء على أنَّ الباني المجدد للمسجد الأقصى هو نبي الله سليمان عليه السلام. وهناك من العلماء من يجمع بين الآية والحديث، ويوفق بين الأقوال المختلفة، فيقولون: إنَّ أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام، ثم بنى بعض ولده المسجد الأقصى، ثم بنى إبراهيم عليه السلام الكعبة بعد الطوفان الذي اجتاحت الأرض عقوبة لقوم نوح"^(٣).

(١) د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب، (ص: ٥٧).

(٢) مُجَدِّد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، برقم (٣٣٦٦). ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مرجع سابق، كتاب المساجد، برقم (٥٢٠).

(٣) ينظر: عبد الرحمن بن علي بن مُجَدِّد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (٦/٢). وأبو عبد الله مُجَدِّد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١/). ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (٦/٤٠٨) -

وهذا يعني أن المسجد الأقصى وجد في جبل بيت المقدس قبل أن يكون هناك يهود، وقبل بناء سليمان عليه السلام الهيكل.

فالحقيقة أن النبي سليمان عليه السلام ما هو إلا مجدد لبناء المسجد الأقصى، وهذا ما يجمع عليه المسلمون؛ جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا، فَأَعْطَاهُ اثْنَتَيْنِ، وَنَحْنُ نَرْجُو أَنْ تَكُونَ لَهُ الثَّلَاثَةُ: فَسَأَلَهُ حُكْمًا يَصَادِفُ حُكْمَهُ، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَسَأَلَهُ أَيْمًا رَجُلٍ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لَا يَرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ خَرَجَ مِنْ حَاطَتَيْهِ مِثْلَ يَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ..»^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالمسجد الأقصى كان من عهد إبراهيم عليه السلام؛ لكن سليمان عليه السلام بناه بناءً عظيماً، فكل من المساجد الثلاثة - يقصد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى - بناه نبي كريم؛ ليصلي فيه هو والناس"^(٢).

(٤١١). وشهاب الدين ابن تيميم المقدسي، منير الغرام إلى زيارة القدس والشام، (ص: ١٣١-١٣٤). و مجير الدين الحنبلي، مرجع سابق، (٣٨/١)، ومحمود الألوسي، روح المعاني، (٤/٥).
 (١) أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مرجع سابق، (١٧٦/٢)، وأبو عبد الله الحاكم مُجَدِّد بن عبد الله النيسابوري، المستدرک، (٣٠/١-٣١)، وقال: "حديث صحيح، وقد تداوله الأئمة، وقد احتجا (أي البخاري ومسلم)، بجمع رواته، ثم لم يخرجاه، ولا أعلم له علة"، ووافق الذهبي الحاكم فيما قاله.
 (٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحرائي، مجموع الفتاوى، (٣٥١/٧).

المبحث الثاني:

الألفية السعيدة عند اليهود والنصارى

تمهيد:

يتعلق الإنسان بكل ما من شأنه أن يجلب له السعادة في حياته ولو كان مجرد أمان، ومن أعظم الأمنيات التي يتعلق بها اليهود والنصارى منذ القدم، ما يسمى بـ: الألفية السعيدة، التي تشير لقرب حلولها ولادة بقرة حمراء بمواصفات توراتية، وهامهم ينشطون بكل الوسائل المباحة والمحرمة؛ لمحاولة تحقيق أمانهم واقعاً على الأرض، وسأجعل الكلام في هذا المبحث عن الألفية السعيدة عند اليهود والنصارى.

المطلب الأول:

نشأة الألفية السعيدة ومستنداتها عند اليهود

يعتقد اليهود خلافاً للحقائق العلمية بأن عمر الدنيا هو (٧٠٠٠) آلاف سنة^(١)، وأن الألف السابعة ستحل على الأرض بسلام وسعادة؛ لأن المسيح سيأتي ليخلص اليهود. يقول د. المسيري: "تعود جذور هذه العقيدة (عقيدة الألفية السعيدة) إلى اليهودية، وقد ظهرت في كتابات معلمي المشناة التلمودية (تنائيم)، وفي الأسفار التوراتية الخفية أو الخارجية (الأبوكريفيا)؛ ولإيمان النصارى بالتوراة وتأثرهم بها انتقلت هذه العقيدة إليهم، وجوهرها هو الاعتقاد بعودة المسيح المنتظر، الذي سيقوم بمملكة الله في الأرض، والتي ستدوم ألف عام"^(٢).

(١) تعود بداية التقويم العربي إلى سنة ٣٧٦١ قبل الميلاد، التي يعتقد العبرانيون - خطأً - أنها تاريخ بدء الخليقة". ينظر: د. إسماعيل سامعي، علم التاريخ - دراسة في المناهج و المصادر، (ص:٧٦).

(٢) د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، (١٣٩/٦).

مستند الألفية السعيدة:

الألفية السعيدة اقتبست من شريعة (اليوبيل) التوراتية: وهي السنة السابعة التي يحولها يترتب عليها عدد من الأحكام؛ أهمها: أن تترك فيها الأرض بدون زراعة لتترتاح، جاء في سفر اللاويين تحت عنوان (شريعة السنة السابعة): [١] وَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى فِي جَبَلِ سَيْنَاءَ قَائِلًا: ٢: كَلَّمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَقَالَ لَهُمْ: مَتَى أَتَيْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنَا أُعْطَيْكُمْ تَسْبِثُ الْأَرْضُ سَبْتًا لِلرَّبِّ. ٣: سِتَّ سِنِينَ تَزْرَعُ حَقْلَكَ، وَسِتَّ سِنِينَ تَقْضِبُ كَرْمَكَ وَتَجْمَعُ غَلَّتَهُمَا. ٤: وَأَمَّا السَّنَةُ السَّابِعَةُ، فَفِيهَا يَكُونُ لِلْأَرْضِ سَبْتُ عَطْلَةٍ، سَبْتًا لِلرَّبِّ، لَا تَزْرَعُ حَقْلَكَ، وَلَا تَقْضِبُ كَرْمَكَ^(١).

وبعد "سبع دورات بحيث تكون كل دورة سبعة أعوام، تحل السنة الخمسون التي يُطلق عليها «سنة اليوبيل» نسبة إلى كلمة «يوبيل»، وهي كلمة عبرية تشير إلى «قرن الكباش»، (أي بوق الشوفار). وفي سنة اليوبيل، تُطبَّق كل شعائر السنة السببية، وتُضاف إليها شعيرة أخرى، وهي: إعادة الأرض المهونة إلى أصحابها، كما تُعاد الأرض المبيعة إلى ملاكها الأصليين^(٢).

جاء في نفس الإصحاح السابق: [٨: وَتَعُدُّ لَكَ سَبْعَةَ سُبُوتٍ سِنِينَ. سَبْعَ سِنِينَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. فَتَكُونُ لَكَ أَيَّامُ السَّبْعَةِ السُّبُوتِ السَّنَوِيَّةِ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. ٩: مُمْتَعِرٌ بُوقَ الْهَتَّافِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ فِي عَاشِرِ الشَّهْرِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ تُعْبَرُونَ الْبُوقَ فِي جَمِيعِ أَرْضِكُمْ. ١٠: وَتَقْدِسُونَ السَّنَةَ الْحَمْسِينَ، وَتُنَادُونَ بِالْعِتْقِ فِي الْأَرْضِ لِجَمِيعِ سَكَّانِهَا. تَكُونُ لَكُمْ يُوبِيلًا، وَتَرْجِعُونَ كُلُّ إِلَى مَلِكِهِ، وَتَعُودُونَ كُلُّ إِلَى عَشِيرَتِهِ. ١١: يُوبِيلًا تَكُونُ لَكُمْ السَّنَةُ الْحَمْسُونَ.

(١) [سفر اللاويين، ٢٥/١-٤].

(٢) د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، (٢٥٠/١٤).

لَا تَزْرَعُوا وَلَا تَحْضُدُوا زُرِّيْعَهَا، وَلَا تَقْطُفُوا كَرْمَهَا الْمُحْوَلِ. ١٢: إِنَّهَا يُوبِلٌ؛ مُقَدَّسَةٌ تَكُونُ لَكُمْ^(١).

"وتأخذ دائرة السنة السبئية في الاتساع إلى أن تشمل الزمان كله ثم تنغلق حين تصل إلى «سبت التاريخ»، أي نهايته، حين تستريح الأرض كلها ويأتي الماشيح ليقود شعبه بأسره إلى أرض الميعاد." (٢).

فاليهود لا يزالون ينتظرون مسيحًا ملكاً من نسل داود، سيأتي بعد ظهور النبي إيليا^(٣)؛ ليعدل مسار التاريخ اليهودي، بل البشري، فينهى عذاب اليهود، ويأتيهم بالخلاص، ويجمع شتات المنفيين، ويعود بهم إلى صهيون، ويحطم أعداء جماعة إسرائيل، ويتخذ أورشليم (القدس) عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل^(٤). و«حينئذٍ تصبح كل الأمم في خدمة هذا المسيح المخلص، وشعبه اليهودي»^(٥).

بعث المؤمنين من بني إسرائيل ليعيشوا لألف عام:

يعتقد اليهود أن الله سيبعث من الموتى المؤمنين من بني إسرائيل فقط؛ ليعيشوا مع المسيح المخلص في هذه الحياة الرائعة في الأرض لمدة طويلة؛ وهذا جزاء إيمانهم؛ جاء في سفر أشعيا: [وَمُقَدِّمُ الرَّبِّ يَرْجِعُونَ]^(٦).

(١) [سفر اللاويين، ٢٥/٨-١٢].

(٢) د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، (٢٥٠/١٤).

(٣) (إيليا): هو النبي إلياس، رفع إلى السماء حيًّا. ففي سفر الملوك الثاني: [فَصَعِدَ إِيلِيَّا فِي الْعَاصِمَةِ إِلَى السَّمَاءِ]. ينظر: [سفر الملوك الثاني، ١١: ٢]. وسيعود قبل مجيء المسيح، جاء في سفر ملاخي: [هَآنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ تَحِيٍّ يَوْمَ الرَّبِّ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ]. ينظر: [سفر ملاخي، ٤: ٥].

(٤) د. عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، (٣٠٧/١٤).

(٥) - إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن، خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، (ص: ٢٤٢).

(٦) [سفر أشعيا، ١٠/٣٥].

فاليهود الذين ماتوا قبل مجيء المسيح اليهودي، سوف يبعث الله الصالحين منهم- كما يزعمون- عندما يأتي المسيح المخلص، وقد وجدت في تفسير الطبري في قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِمُرْجَزِيهِ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ سورة البقرة: ٩٦.

قول ابن عباس: إن اليهود يقولون لمن يعطس منهم: [زه هزار سال]، والذي معناه حياة عشرة آلاف سنة^(١).

حدود مملكة المسيح المخلص:

يدعي اليهود أن لهم حقاً دينياً بامتلاك فلسطين وما جاورها (من النيل إلى الفرات)، ويسمونها بأرض الميعاد؛ استناداً على ما جاء في التوراة في سفر التكوين: [فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَطَعَ الرَّبُّ مَعَ آبْرَامَ مِيثَاقًا قَائِلًا: "لِنَسْلِكَ أُعْطِيَ هَذِهِ الْأَرْضَ، مِنْ نَهْرِ مِصْرَ إِلَى النَّهْرِ الْكَبِيرِ، نَهْرِ الْفُرَاتِ"]^(٢).

الرد عليهم: أن ذلك ادعاء باطل، فقد وعد الله عز وجل سيدنا إبراهيم عليه السلام، بأن يسكنه الأرض المباركة، بعد محاولة التخلص منه بإحراقه بالنار في موطنه، فنجاه الله، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ سورة الأنبياء: ٧١، فهذا وعد من الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام بأن يسكنه أرض فلسطين، وهذا ما حدث؛ فقد دخل إبراهيم عليه السلام إلى فلسطين التي كان يسكنها الكنعانيون العرب، وهم من قاموا بتخطيطها، وإقامة أهم مدنها، مثل: [بئر السبع] و [أشدود]؛ كما أن قبيلة (البيوسيين) من العرب، هي التي بنت مدينة القدس، واسمها [أورشليم]، بشهادة التوراة، فقد جاء في سفر التكوين من توراة موسى عليه السلام: [وَمَلَكِي صَادِقٌ، مَلِكُ شَالِيمَ]^(٣)، ف «أورشليم»، تصغير ل: «شاليم».

(١) ابن جرير الطبري، مرجع سابق، (٤٧٤٩/١).

(٢) [سفر التكوين ١٥ : ١٨]

(٣) [سفر التكوين، ١٨/١٤ - ١٩].

وعندما ماتت سارة - زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام- لم يجد مكاناً ملكاً له يدفنها فيه، فعرض على العرب أهل البلاد أن يشتري مكاناً يتخذة قبراً لها؛ ولكنهم أبوا بكرم أخلاقهم أن يأخذوا منه ثمناً، ومنحوه المكان دون مقابل.

جاء في سفر التكوين: [وَكَاثَتْ حَيَاةَ سَارَةَ مِئَةَ وَسَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، سِنِي حَيَاةِ سَارَةَ وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي قَرْيَةِ أَرْبَعِ، الَّتِي هِيَ حَبْرُونُ، فِي أَرْضِ كَنْعَانَ. فَأَتَى إِبْرَاهِيمَ لِيُنْدُبَ سَارَةَ وَيُبْكِي عَلَيْهَا. وَقَامَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ أَمَامِ مَيْتِهِ وَكَلَّمَ بَنِي حَيْثُ قَائِلًا: «أَنَا غَرِيبٌ وَزَيْلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مِثْلَ قَبْرِ مَعَكُمْ لِأُذْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي». فَأَجَابَ بَنُو حَيْثُ إِبْرَاهِيمَ قَائِلِينَ لَهُ: «اسْمَعْنَا يَا سَيِّدِي. أَنْتَ رَيْسٌ مِنَ اللَّهِ بَيْنَنَا. فِي أَفْضَلِ قُبُورِنَا اذْفِنِ مَيْتَكَ، لَا يَمْنَعُ أَحَدٌ مِنَّا قَبْرَهُ عَنْكَ حَتَّى لَا تَدْفِنَ مَيْتَكَ»^(١).

وهكذا ظل إبراهيم عليه السلام هو ومن معه، ومن بعده ذريته، يدخلون ويخرجون من وإلى فلسطين، إلى أن دخلوها مع النبي يوشع بن نون، ونشبت بين الفلسطينيين وبين بني إسرائيل المعارك، ثم استمرت إلى أن جاء داود عليه السلام، فأقام أول دولة لبني إسرائيل في فلسطين، ثم من بعده ابنه سليمان عليه السلام، ولم يزد عمر هذه الدولة على ٧٠ عاماً، انقسمت بعدها، ثم شرد ملك بابل بني إسرائيل، ثم عادوا إلى فلسطين أفراداً بواسطة ملك الفرس، ثم جاءهم الشتات اليوناني، ثم الروماني عام ٧٠م، ثم فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبعد تسعة عشر قرناً من الفتح عاد اليهود، ليفتشوا لهم عن وطن في فلسطين، فاحتلوها عام ١٩٤٨م، وما زالوا فيها يقتلون أهلها، ويستبيحون كل شيء فيها. ومما سبق نلاحظ ما يأتي:

- ١- لم تكن فلسطين خالية عندما دخلها إبراهيم عليه السلام، بل كانت مملوكة للعرب.
- ٢- لم يخرج العرب من فلسطين طوال التاريخ^(٢).

فادعاء اليهود بأن فلسطين هي أرضهم الموعودون بها من الله عن طريق إبراهيم عليه السلام، فيه مغالطات واضحة؛ حيث إننا نجد بأن الله عز وجل قد أكد أن الأرض المباركة لا يرثها إلا الصالحون من ذرية إبراهيم عليه السلام، فقد قال تعالى في القرآن الكريم منبهاً

(١) [سفر التكوين، ٢٣/١-٧].

(٢) د. سعد الدين السيد صالح، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، (ص: ١٢٩-١٣٠)، بتصرف.

إلى ما ورد في كتب اليهود بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ سورة الأنبياء: ١٠٥.

وقد أبقى الله سبحانه وتعالى ما كتب في الزبور في هذا الشأن شاهداً عليهم، فقد جاء في زبور داود عليه السلام: [لَأَنَّ عَامِلِي الشَّرِّ يَقْطَعُونَ، وَالَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ الرَّبَّ هُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ] (١). وجاء أيضاً: [أَمَّا نَسْلُ الْأَشْرَارِ فَيَنْقَطِعُ؛ الصَّادِقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ وَيَسْكُنُونَهَا إِلَى الْأَبَدِ] (٢).

وقد لعن الله اليهود بسبب ترمدهم عليه سبحانه، وقتلهم الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ سورة البقرة: ١٥٩. وقال عنهم أيضاً: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ سورة النساء: ٥٢.

فكيف يورث الله الأرض المباركة لمن لعنه؟ ولكن يورثها الله لعباده الصالحين، وهم المسلمون، فهم أيضاً من ذرية إبراهيم عليه السلام من ابنه إسماعيل عليه السلام. وقد أمر الله نبيهم حزقيال أن يذكرهم بمن يستحق ميراث الأرض، جاء في سفر حزقيال: [لِذَلِكَ قُلْ لَهُمْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: تَأْكُلُونَ بَالِدَمٍ وَتَرْفَعُونَ أَعْيُنَكُمْ إِلَىٰ أَصْنَامِكُمْ وَتَسْفِكُونَ الدَّمَ، أَفَتَرْتُونَ الْأَرْضَ؟] (٣)، وقال أيضاً: [وَقَفَّيْتُمْ عَلَىٰ سَيْفِكُمْ، فَعَلَّيْتُمُ الرَّجْسَ، وَكُلُّ مِنْكُمْ نَجَسٌ امْرَأَةٌ صَاحِبِهِ، أَفَتَرْتُونَ الْأَرْضَ؟] (٤).

ثم إن التوراة تؤكد بأن وعد الله لإبراهيم عليه السلام تتبارك به كل الأمم، وليس بني إسرائيل فقط، ومحمد ﷺ من نسل إسماعيل بن إبراهيم هو النبي الوحيد الذي جاء للعالم بأكمله.

جاء في سفر التكوين: [١: وَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ: "اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ

(١) [سفر المزمير، ٩/٣٧].

(٢) [سفر المزمير، ٣٧/٢٨-٢٩].

(٣) [سفر حزقيال، ٣٣: ٢٥].

(٤) [سفر حزقيال، ٣٣: ٢٦].

بَيَّتْ أَيْبِكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. ٢: فَأَجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأَعْظِمَ اسْمَكَ، وَتَكُونُ بَرَكَةً. ٣: وَأُبَارِكَ مُبَارِكَكَ، وَلَا عَيْنَكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ^(١).

المطلب الثاني:

الألفية السعيدة عند النصارى

العداء بين اليهود والنصارى عقائدي، فالنصارى يكرهون اليهود؛ لقتلهم المسيح، كما شبه لهم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ﴾ سورة النساء: ١٥٧، واليهود يزدرون النصارى؛ لعبادتهم رجل ادعى أنه المسيح كذبا وزورا، وقد قتله وانتهى أمره! فهذا العالم اليهودي الكبير ميمونيدس (موسى بن ميمون)^(٢)، يقول عن النصارى: «وليكن مفهوماً أن المسيحيين هم الذين يتبعون يسوع...، ومع أن تعاليمهم متنوعة؛ فكلهم عبدة أوثان»^(٣).

ويدعوهم اليهود بالمهرطقين أصحاب الأناجيل الشريرة: «أولئك الذين يحتفظون بكتب تسمى (أناجيل)»^(٤).

ويقول اليهود عن المسيحيين - إلى جانب أنهم وثنيون - بأنهم: «أسوأ نوع من الناس، وأنهم أكثر سوءاً من الأتراك (المسلمين)، القتل، الفاسقين، الحيوانات القذرة، كالعائط، بل إنهم لا يستحقون أن يسموا بشراً، فهم بهائم بأشكال آدمية، بل إنهم أهل لتسميتهم بهائم، بقراً، حميراً، خنازير، كلاباً، لا بل أسوأ من الكلاب، يتناسلون بطريقة أردأ من البهائم، أصلهم شيطاني بهيمي، أرواحهم تولد من الشيطان، وإلى الشيطان تعود في الجحيم بعد الممات، وإنه لا تختلف جثة مسيحي ميت عن حيوان»^(٥).

(١) [سفر التكوين، ١٢/١-٣].

(٢) - [موسى بن ميمون Moses Maimonides (١١٣٥ - ١٢٠٤م)، طبيب وفيلسوف أندلسي، وأبرز المفكرين اليهود في الأندلس في العصور الوسطى، ويعرفه العرب بأبي عمران، عبيد الله القرطبي، ولد في قرطبة وتوفي في القاهرة، ثم نقلت رفاته إلى طبرية (فلسطين)، ودفن بين قبور اليهود. ينظر: دكتور/ إسرائيل لفسنون، موسى بن ميمون - حياته ومصنفاته، (ص: ٥).

(٣) الأب آي بي برانانيس، فضح التلمود (تعاليم الخاخامين السرية)، (ص: ٧٩).

(٤) المرجع السابق، (ص: ٨١).

(٥) المرجع السابق، (ص: ٨٥-٨٦).

ومن شدة احتقار اليهود للنصارى، وغيظهم منهم، قالوا بأن مسيحيهم لن يقبل من أي مسيحي أن يعتنق الدين اليهودي، مع أنه سيقبل بقية الناس: «ويتحقق أمل اليهود بمجيء إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح، وعندئذ يدخل الناس كلهم في دين اليهود أفواجًا، ويقبلون جميعاً ما عدا المسيحيين!! فإنهم يهلكون؛ لأنهم من نسل الشيطان»^(١).

ولكن النصارى يعتقدون بفكرة الألفية السعيدة؛ لأنهم يؤمنون بالتوراة أنها كلام الله وتسمى بالعهد القديم مقابل العهد الجديد الذي يطلق على الأناجيل. ولذلك يتحمسون لها، وبصفة خاصة طائفة (البروتستانت الصهيونية)؛ فقد حدث عند النصارى انقلاب فكري في القرن السادس عشر الميلادي بقيادة مارتن لوثر^(٢)، الذي قال في كتابه (المسيح ولد يهوديًا): "إن الروح القدس شاءت أن تنزل كل أسفار الكتاب المقدس عن طريق اليهود وحدهم، إن اليهود هم أبناء الرب، ونحن الضيوف والغرباء، وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب^(٣) التي تأكل من فتات مائدة أسيادها"^(٤). فأدى ذلك الاعتقاد إلى مساهمة النصارى في عودة اليهود إلى فلسطين.

(١) إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن، مرجع سابق (ص: ٢٤٣-٢٤٤).

(٢) مارتن لوثر ١٥١٩هـ - ١٤٨٣م / ١٥٥٤هـ - ١٥٤٦م، وهو راهب أوغسطيني ولاهوتي مفكر، أديب، اجتمع على بعض تصرفات البابا، فقاد حركة الإصلاح، فصادفت نجاحًا كبيرًا، واعتنق مذهبه عدد كبير من الناس، تسمى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية. ينظر: . حسين علي حمد، قاموس الأديان والمذاهب، (ص: ٥٢).

(٣) إشارة إلى ما جاء في الإنجيل من قصة المرأة الكنعانية مع المسيح؛ جاء في إنجيل متى: [ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَأَصْرَفَ إِلَى نَوَاجِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. ٢٢: وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّحُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ قَائِلَةً: «ارْحَمْنِي، يَا سَيِّدُ، يَا ابْنَ دَاوُدَ! ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جَدًّا». ٢٣: فَلَمْ يُجِبْنَهَا بِكَلِمَةٍ. فَتَقَدَّمَ تَلَامِيذُهُ وَطَلَبُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ: «اصْرِفْهَا، لِأَنَّهَا تَصِيخُ وَرَاءَنَا!» ٢٤: فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَمْ أُرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الصَّالَّةِ». ٢٥: فَأَتَتْ وَسَجَدَتْ لَهُ قَائِلَةً: «يَا سَيِّدُ، أَعْنِي!» ٢٦: فَأَجَابَ وَقَالَ: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤَخَّرَ حُبُّ الْبَيْنِ وَيُطْرَحَ لِلْكَلابِ»، ٢٧: فَقَالَتْ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدُ! وَالْكَلابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِنَا!». ٢٨: حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةَ عَظِيمِ إِيْمَانِكِ! لِيَكُنْ لِكَ مَا تَرِيدِينَ»، فَسُفِيَتْ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ. [إنجيل متى، ١٥/٢٢-٢٨].

(٤) رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم، (ص: ٣٠).

يقول ل. نيلسون بيل ١٩٦٧م- رئيس تحرير جريدة المسيحية اليوم-: "إن وجود القدس بيد اليهود للمرة الأولى منذ ٢٠٠٠ سنة، يصيب الإنجيلي بالقشعريرة، ويجدد إيمانه بدقة ومصداقية الكتاب المقدس"^(١).

وقد "أخذ المبشرون النصارى يطوفون أرجاء المعمورة، وهم يدعون إلى الإيمان العميق بنبوءات التوراة المقدسة، والعمل الدؤوب إلى تحقيقها خدمة للرب والكنيسة"^(٢). ويعتقدون بأن اليهود سيؤمنون بالمسيح عندما يعود في مجده؛ وقد سألت الكاتبة الأمريكية (جريس هالسل) المتتعبة لنشاط طائفة البروتستانت الأصولية الإنجيلية^(٣) أحد زعماء هذه الطائفة عن معتقدات طائفته فيما يتعلق بالأرض المقدسة في هذه المرحلة من الزمن، فقال: "إننا تؤمن أن التاريخ يطوي الآن مرحلته السابعة، وهي مرحلة الذروة، مرحلة إقامة مملكة المسيح؛ كيف يحكم المسيح من القدس لألف سنة، إن كثيراً من اليهود سيتحولون إلى المسيحية، وسوف يساهمون في مملكته الألفية، وهي مملكة حقيقية على الأرض، تكون القدس مركزها الرئيس"^(٤).

(١) غريس هالسل، ترجمة: مُجد السماءك، يد الله، (ص: ٧٦).

(٢) د. جورجى كنعان، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، (ص: ١٣٨).

(٣) [الأصولية الإنجيلية: هي حركة مسيحية متشددة تدعو إلى الإصلاح الحرفي للكتاب المقدس، والعودة الحقيقية للمسيح، وقيام الحكم الألفي، وقد أطلق عليها بعضهم: الصهيونية غير اليهودية، والصهيونية المسيحية، والأصولية المسيحية. ينظر: صالح عبد الله الهذلول، الأصولية الإنجيلية وما بعدها، (ص: ٣٢).

(٤) جريس هالسل، ترجمة: مُجد السماءك، النبوءة والسياسة (الإنجيليون العسكريون في الطريق العالمية)، (ص: ٩٤).

الخاتمة

أولاً: النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- توصلت من خلال هذا البحث إلى عدد من النتائج؛ أهمها:
- ١- أهمية البقرة الحمراء عند اليهود كعلامة لبعض الأحداث، ولها عندهم أحكام مفصلة في التوراة والتلمود، وهم ينتظرون ولادتها.
 - ٢- يرتبط ظهور البقرة الحمراء عند اليهود بضرورة بناء هيكل سليمان عليه السلام بعدها، والذي يمثل عقيدة يهودية توراتية ذات قدسية خاصة.
 - ٣- جاء الكلام عن بقرة بني إسرائيل في ديننا الإسلامي؛ ولكنها تختلف عن تلك المذكورة في كتب اليهود.
 - ٤- الهيكل عقيدة يهودية توراتية، له قدسية خاصة في الفكر والوجدان اليهودي.
 - ٥- اليهود يتطلعون إلى بناء الهيكل من جديد، وفي نفس المكان الذي يزعمون أنه قد بني فيه الهيكل السابق -هيكل سليمان عليه السلام- أي: فوق هضبة الحرم القدسي؛ حيث يوجد المسجدان الإسلاميان: الأقصى، وقبة الصخرة.

ثانياً: التوصيات:

- أوصي الباحثين والمهتمين بالعلاقات بين المسلمين وغيرهم من الأديان؛ خاصة اليهودية والنصرانية، بما يأتي:
- ١- أن يطلع الباحثون المسلمون والدعاة عموماً على المعتقدات اليهودية؛ حتى يفهموا سير الأحداث في زماننا، ويتمكنوا من الردّ على هذه المعتقدات الباطلة.
 - ٢- أن تنظم الجهات المختصة ندوات ومحاضرات تفند فيها مزاعم اليهود واعتقاداتهم الباطلة، التي يبنون عليها مشاريعهم التخريبية في العالم الإسلامي عموماً، وفي فلسطين والقدس خاصة.
 - ٣- البحث في معتقدات اليهود الأخرى، والتي لا تعد البقرة الحمراء إلا جزءاً منها؛ حتى يكتمل التصور العام لدى الباحثين، بل والسياسيين؛ عن مخططات اليهود المستقبلية، والتعامل معها من خلال هذا التصور.

المصادر والمراجع

- (١) إبراهيم الدسوقي عبد الرحمن، (ط:١، ٢٠٠٨م)، خفايا التلمود في طبائع وعقائد اليهود، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- (٢) أحمد المسلماني، (ط:١١، ٢٠١٣م) ما بعد إسرائيل، المؤلف: دار ليلي.
- (٣) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية أبو العباس الحراني (ت:٧٢٨هـ)، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية- المملكة العربية السعودية.
- (٤) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن مُجَدِّد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي أبو العباس تقي الدين (ت:٧٢٨هـ)، (ط:٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن مُجَدِّد - الناشر: دار العاصمة، السعودية.
- (٥) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
- (٦) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني أبو الحسين الرازي، (ت:٣٩٥هـ)، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام مُجَدِّد هارون، الناشر: دار الفكر.
- (٧) أحمد بن مُجَدِّد بن حنبل بن هلال بن أسد أبو عبد الله الشيباني، (ت:٢٤١هـ)، (ط:١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- (٨) إسرائيل ولفنسون، (ط:١)، موسى بن ميمون - حياته ومصنفاته، دراسة وتقديم: د. الحسين الحسيني معدّي - الناشر: كنوز للنشر والتوزيع.
- (٩) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري أبو الفداء (ت:٧٧٤هـ)، (ط:١)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: مُجَدِّد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات مُجَدِّد علي بيضون - بيروت.
- (١٠) آي بي براناتيس، (١٩٨٣م)، فضح التلمود (تعاليم الحاخامين السرية)، إعداد: زهدي الفاتح، الناشر: دار النفائس.
- (١١) جريس هالسيل، (ط:١، ٢٠٠٣م - ١٤٣٤هـ)، النبوءة والسياسة (الإنجيليون العسكريون في الطريق العالمية)، ترجمة: مُجَدِّد السماك، طبعة دار الشروق - القاهرة.

- ١٢ جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن مُجَدُّ أبو الفرج الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، (ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر - بيروت.
- ١٣ جيروزاليم بوست، (١١ October، ٢٠٠٥)، A House of Prayer for All Nations.
- ١٤ حسين علي حمد، (ط: ١، ١٩٩٨م)، قاموس الأديان والمذاهب، دار الجليل - بيروت.
- ١٥ د: إسماعيل سامعي، (ط: ١، ٢٠١٦م)، علم التاريخ - دراسة في المناهج و المصادر، الناشر: مركز الكتاب الأكاديمي.
- ١٦ د: جورجي كنعان، (ط: ٢، ١٩٠٣ - ١٩٨٣م)، وثيقة الصهيونية في العهد القديم، دار النهار للنشر.
- ١٧ د: سفر بن عبد الرحمن الحوالي، (ط: ١)، يوم الغضب هل بدأ بانتفاضة رجب.
- ١٨ د: عبد الستار فتح الله سعيد، (ط: ٢)، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، الناشر: المكتب المصري الحديث.
- ١٩ د: عبد العزيز بن مصطفى كامل، (ط: ١)، حُمِّي عام ٢٠٠٠م قبل أن يهدم الأقصى، مكتبة ابن تيمية الإسلامية.
- ٢٠ د: عبد العزيز مصطفى كامل، (سنة النشر: ٢٠٠٣م)، قبل أن يهدم الأقصى، دار التوزيع والنشر الإسلامية.
- ٢١ د: عبد الوهاب المسيري، (ط: ١، ١٩٩٩م)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق - القاهرة - بيروت.
- ٢٢ دانيال، سفر دانيال.
- ٢٣ رضا هلال، (ط: ١، ٢٠٠١م)، المسيح اليهودي ونهاية العالم، مكتبة الشروق، القاهرة.
- ٢٤ سعد الدين السيد صالح، (ط: ٢)، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، الناشر: دار الصفا للطباعة والنشر.
- ٢٥ سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، (ط: ١)، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، المعجم الكبير، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، دار الصمعي - الرياض.
- ٢٦ شهاب الدين ابن تميم المقدسي، (ط: ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق: أحمد الخطيمي، دار الجليل - بيروت.

- (٢٧) صالح عبد الله الهدلول، (ط: ١)، الأصولية الإنجيلية وما بعدها، دار المسلم، الرياض.
- (٢٨) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، (ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- (٢٩) غريس هالسل، (ط: ١، ٢٠٠٥م) يد الله، ترجمة: مُجَدَّ السماك، دار النفائس، بيروت - لبنان.
- (٣٠) الكتاب المقدس - نسخة الأرثوذكس.
- (٣١) مجير الدين الحنبلي قاضي القضاة، (طبعة ١٩٧٣م)، الأانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان - الأردن.
- (٣٢) مُجَدَّ بن أحمد الأنصاري أبو عبد الله القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، (ط: ٢، ١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م)، الجامع لأحكام القرآن، الناشر: دار الكتب المصرية.
- (٣٣) مُجَدَّ بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، (ط: ١، ١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المحقق: مُجَدَّ زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق.
- (٣٤) مُجَدَّ بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الأملي، الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، (ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد مُجَدَّ شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.
- (٣٥) مُجَدَّ بن عبد الله بن مُجَدَّ النيسابوري أبو عبد الله الحاكم المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، (ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٣٦) مُجَدَّ رشيد بن علي رضا بن مُجَدَّ شمس الدين بن مُجَدَّ بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، (سنة النشر: ١٩٩٠م)، تفسير المنار، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (٣٧) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المحقق: مُجَدَّ فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- (٣٨) مصطفى عبد المعبود، (ط: ١)، ترجمة متن التلمود (المشنا)، القسم السادس طهاروت [الطهارات]، تقديم: أ.د: مُجَدَّ خليفة حسن، دار طيبة للطباعة - الجزيرة - الناشر: مكتبة النافذة.
- (٣٩) المهندس: زهدي جمال الدين مُجَدَّ، (٢٠٠٨م)، المؤامرة الكبرى (سرقة وطن)، دراسة أعدت عقب مذبح غزة في ديسمبر/كانون الأول.

٤٠) المهندس: زهدي جمال الدين، (الإصدار الثاني- يناير ٢٠٠٩م)، زوال الدولة العبرانية، (حقيقة قرآنية).

٤١) نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان أبو الحسن الهيثمي، (ت: ٨٠٧هـ)، (٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة.

الصحف والمقالات والمواقع:

٤٢) أرشيف نشرة فلسطين اليوم: التاريخ: الأحد ١/١١/٢٠١٥م - العدد ٣٧٣٩ -
<https://books.google.com>

٤٣) جريدة الاتحاد: الملحق الثقافي، هيكل سليمان.. تقويض الأسطورة- ١٥ أكتوبر ٢٠١٥م /
<https://www.alittihad.ae>

٤٤) جريدة الوفد: هيام سليمان: حوار مع د. ليلي أبوالمجد، أستاذ الدراسات التلمودية بجامعة عين شمس -
 الخميس، ٢٣ يونيو ٢٠١٦ م - <https://alwafd.news>

٤٥) جريدة صدى البلد، سمر صالح، الأربعاء ١٢/سبتمبر/٢٠١٨م،
<https://www.elbalad.news>

٤٦) جريدة فلسطين اليوم/ مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات- العدد ٤٧٣٥- الخميس ١٣/٩/٢٠١٨م.

٤٧) ظهور بقرة 'نهاية العالم' في إسرائيل: أخبارك.نت/ الخميس ١٣/سبتمبر/٢٠١٨م-
<https://akhbarak.net>



مجلة جامعة القادسية للعلوم الإسلامية

مجلة علمية-محكمة-تصدر عن جامعة القادسية للعلوم الإسلامية-اليون (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ٥٨٩٤-٢٦١٧-٢٦١٧ ISSN:

المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون

د/ هاشم علي الوظائف

أستاذ مناهج البحث في العقيدة الإسلامية

في العصر الحاضر

بجامعة القادسية للعلوم الإسلامية- فرع سيئون

alwazzaf77@gmail.com

ملخص البحث

تُعدّ قصة مؤمن آل فرعون أنموذجاً دعوياً تطبيقياً متميزاً، تميزت شخصيته بصفاتٍ عظيمة، وقام بأعمالٍ جلييلة، وهدف هذا البحث التعريف به وبالمعالم الدعوية التي اشتملت عليها قصته، وتنبيه الدعاة إلى تطبيق تلك المعالم، وإعمال القصص القرآنية لتبصير الدعاة، وخدمة المؤسسات الدعوية لتقديم مادة علمية سهلة الإفادة لتكون زاداً دعوياً متميزاً.

وقامت منهجية البحث على استخدام المنهج الوصفي الاستقرائي. في التمهيد فقد بيّن الباحث فيه: مفهوم الدعوة ومفهوم المعالم الدعوية والتعريف بمؤمن آل فرعون. واحتوى المبحث الأول على الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون، أما الثاني فقد بيّن المعالم الدعوية المستخلصة من القصة؛ كرسوخ الإيمان والعلم والشجاعة والحكمة والحوار والتدرج.

وتوصل الباحث إلى بعض النتائج، منها: أهمية الأدوار التي قام بها مؤمن آل فرعون، وأهمية المعالم الدعوية التي برزت في قصته، ودورها في نجاح الدعوة، وحاجة المجتمعات اليوم لدعاةٍ يتصفون بصفاته ويقندون به.

وحُتم البحث بوصايا منها: دعوة الدعاة إلى تمثل هذه المعالم وتطبيقها عملاً وممارسة، والتأمل أكثر في القصص القرآنية لاستخراج كنوزها، كما أنّ على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية والمراكز البحثية تدريس قصص القرآن للدعاة والخطباء.

كلمات مفتاحية: مؤمن آل فرعون فرعون المعالم الدعوية

ABSTRACT

The story of the believer in Pharaoh's story (as narrated in the Quran) is considered as a distinct applied model for Islamic callers. His character is distinguished by many great qualities and he has carried out many great deeds. This research paper aimed at introducing him and the preaching milestones that his story stands for and alerting the preachers to the importance of applying those millstones enlighten the preachers and to serve the Islamic calling institutions to present an easy-to-inform ، authentic and distinctive Islamic material.

based on the use of the inductive descriptive methodology،

As for the preface، the researcher explained the concept of the Islamic calling، the concept of the preaching milestones، and the introducing of the believer in the story of the Pharaoh. Whereas the first section discussed the deeds of the believer of the Pharaoh story، the second section shows the outstanding characteristics of the Islamic calling and the subsequent extracted lessons such as the firmness of faith ، courage knowledge، wisdom، dialogue، and gradualism.

Among the significant results of this paper :The importance of the roles played by the believer in the Pharaoh story; the importance of the calling millstones emerging from his story and the roles they played in the success and expansion of the Islamic calling as well as the need of communities today for preachers to have his qualities and to imitate him.

The Conclusion presents many recommendations including inviting the preachers to represent and stand for these landmarks and applying them theoretically and practically، and to reflect more on the Qur'anic stories to extract their treasures. The Islamic institutes، educational schools and research centers should uphold and teach the Qur'an stories to the people working in the field of Islamic calling and preachers.

Key words: the believer ; Pharaoh; millstones; Calling

مقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان، وأنزل على عبده الفرقان، وأرسل نبيه للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى من ضلالة، وعلم من جهالة، وبصر من عمى، وأرشد الناس إلى سبل الخير والهدى، وحذر من سبل الغواية والردي، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران: ١٠٤، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله القائل: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجر من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً»^(١)، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن الاشتغال بالعلم الشرعي تعلماً وتعليماً من أجل القربات وأعظم الطاعات الموصلة إلى رضوان الله تعالى وجنته، وعلم التفسير من أهم أقسام العلوم الشرعية مكانة؛ وأعظمها أهمية لارتباطه بكتاب الله تعالى، ومن أكثر الموضوعات التي ذكرها كتاب الله تعالى؛ القصص القرآنية، وهي مادة خصبة أرست قواعد الدعوة وعلمت معالمها، إذ مثلت أحداثها منهجاً دعوياً ثرياً؛ فقهاً وعملاً، كيف لا؟ وهي التي أبانت تباين البيئات واختلاف المشكلات وتعدد المعالجات، فإن التأمل في القصص القرآنية يجد حوادث مختلفة ومواقف متنوعة وحالات متباينة؛ تمكيناً وابتلاءً، مرضاً واستشهاداً، فقرٌ وغنى، عسرٌ ويسر، سرورٌ وحزن وغيرها؛ مما يكمل البناء الشخصي للداعية ويصنع مؤهلات البلاغ متكاملة التفاصيل. وقصص الأنبياء هي الأهم في رسم معالم الدعوة، لأن الأنبياء هم الذين اختارهم الله تعالى واصطفاهم لأداء هذه المهمة الشاقّة، وتلك القصص أمثلة حيّة ينهل الدعاة من معينها

(١) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، (٤/ ٢٠٦٠).

ويهدون بنورها، حيث أمر الله بذلك في قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ﴾ الأنعام: ٩٠.

وقد صنفت مصنفات كثيرة في قصص الأنبياء والرسل مجتمعة، أو منفردة؛ كقصة موسى عليه السلام بصفته أحد أولي العزم، وأكثر نبي ذكر في كتاب الله تعالى، وهناك من أقتصرت في تأليفه على بعض المواقف الواردة في قصة موسى؛ كموقف مؤمن آل فرعون وهو أكثر شخص - من غير الأنبياء - أورد القرآن كلامه متتابعاً، مظهراً أهمية قصته، وهو أمر دفع الباحثين لتناول قصته بالدراسة والبحث، غير أن هذه الأبحاث لم تلتفت للمعالم الدعوية في قصته بالشرح والتفصيل؛ فكان لزاماً استنطاق الفكر ليفرد المعالم الدعوية في هذه القصة بالدراسة والبحث وأسميته: (المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون)

أهمية البحث

١- التميز يبرز جلياً في قصة مؤمن آل فرعون وتفصيلاتها التي لم تجمع لأي قصة من قصص غير الأنبياء.

٢- قيمة الموضوع علمياً: هو مادة علمية تزخر بثراء علمي بفقهِ الدعوة ومعالمها.

٣- مكانة موضوع البحث عملياً، حيث سينعكس إيجابياً على ممارساتهم الدعوية في مجتمعاتهم.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١- أهمية موضوع البحث وعظيم فائدته التي تعد سبباً للكتابة ودافعاً عليها، لإيضاح المعالم الدعوية.

٢- قلة الأبحاث التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون، وقليل من هؤلاء من تناول الجوانب الدعوية مفصلاً في قصته.

أهداف البحث:

١- التعريف بمؤمن آل فرعون ووظيفته وأهم أعماله.

٢- معرفة المعالم الدعوية المستفادة من قصة مؤمن آل فرعون.

٣- العمل على تقديم مادة علمية سهلة الإفادة لتكون زاداً دعوياً متميزاً للدعاة والمؤسسات الدعوية.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

تحدد مشكلة البحث من خلال التساؤلات التالية:

- ١- من هو مؤمن آل فرعون وما وظيفته وماهي أهم أعماله؟
- ٢- ما هي المعالم الدعوية المستفادة من قصة مؤمن آل فرعون؟

حدود البحث:

للبحث حدود موضوعية؛ وهي الآيات التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون من سورة غافر أو غيرها من السور، وما ارتبط بها من كتب التفسير وكتب الدعوة التي تشكل البحث وتحقق أهدافه.

منهج البحث:

المنهج الوصفي الاستقرائي، بجمع الآيات التي تتحدث عن مؤمن آل فرعون ثم تحليلها وتفسيرها بما يكمل صورة البحث ويحقق غاياته ويبين آثاره

الدراسات السابقة:

١- الكتب التي تناولت قصص الأنبياء وما أكثرها قديماً وحديثاً، مثل قصص الأنبياء للإمام ابن كثير رحمه الله، ومن الكتب الحديثة:

أ- الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، للدكتور عبد الكريم زيدان رحمه الله. وهدف الكتاب الكشف عن بعض ما يستفاد من قصص القرآن، فيما يخص الدعوة والدعاة، لأن الدعاة هم أولى وأحقّ بالموعظة والعبارة كما قال مؤلفه، ولم يكن الكتاب مخصصاً لقصة مؤمن آل فرعون.

ب- معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم للدكتور عبد الوهاب لطف الديلمي، وأصله رسالة دكتوراه، وهو مثل سابقه، لم يخص القصة بالبحث.

٢- مؤلفات وأبحاث تناولت قصة نبي الله موسى عليه السلام بشكل خاص، ومن ذلك:

أ- الأبعاد التربوية في قصة موسى عليه السلام وتطبيقاتها التربوية، رسالة ماجستير، إعداد دالية فتحي جاد الله، من الجامعة الإسلامية بغزة فلسطين، هدفت دراستها للكشف عن الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والتربوية لقصة موسى عليه السلام، وخلصت هذه الدراسة إلى تفصيل الأبعاد الإيمانية والأخلاق الإيجابية وكذلك السلبية التي ذكرتها قصة موسى، ثم فصلت التطبيقات التربوية الواردة فيها.

ب- فقه الدعوة في قصة موسى عليه السلام للدكتور محمود مُجَدَّ عمارة، من جامعة أم القرى، هدف المؤلف فيه للتعريف بالدعوة وأهميتها وحاجة الناس إليها، وحاجة الدعاة إلى معارف تمكنهم من الوصول إلى الهدف المطلوب، وخلص إلى الدروس المستفادة من قصة موسى، وأفرد جزءاً لما يستفاد من قصة مؤمن آل فرعون.

٣- أبحاث تناولت قصة مؤمن آل فرعون فقط، من ذلك:

أ- الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون؛ تأليف ماجد بن مُجَدَّ الماجد، هدف البحث إلى توضيح الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون؛ حيث اشتملت قصة المؤمن على ألوان عديدة من الإعجاز البياني، واستقصي كل مستويات الإعجاز في النص لفظاً وتركيباً ودلالةً، وانتهى البحث إلى بيان أن المبحث البلاغي والنقدي جزء من جوهر الإعجاز القرآني، وأن البلاغة هي أسلوب عند القدماء.

ب- فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، للدكتور: مُجَدَّ سيد أحمد سليم، كلية أصول الدين، أسيوط- مصر، ويهدف بحثه إلى بيان حلقة من حلقات الصراع بين الحق والباطل وبيان أن العقاب للحق، رغم قلة حملته وقلة أعوانهم كما هو حال مؤمن آل فرعون، كما يهدف هذا البحث لإبراز بعض جوانب فقه الدعوة، وما يتعلق بالداعية والمدعو وموضوع الدعوة والوسائل والأساليب الدعوية.

ج- صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولادة والحكام من خلال القرآن الكريم- قصة مؤمن آل فرعون نموذجاً، للدكتور: جهاد مُجَدَّ النصيرات، هدفت الدراسة إلى إبراز أهم صفات القائمين بالنصح للولادة، والأساليب الواجب اتباعها في النصح لتحقيق النتائج المرجوة، وقامت هذه الدراسة على المنهجين الاستقرائي والتحليلي، وخلص إلى أن الإيمان والعلم والحكمة وحسن الخلق؛ من أهم صفات القائمين بهذا الأمر،

وأن التدرج وربط الواقع بالتاريخ والترغيب والترهيب والموضوعية؛ من أهم الأساليب التي ينبغي اتباعها في نصح الولاة.

ما يميّز هذا البحث عن غيره:

- ١- التعريف بهذا المؤمن بشكل أوسع، خاصّة بالأعمال التي قام بها هذا المؤمن.
- ٢- التركيز على المعالم الدعوية العملية التي تؤخذ من قصته وتفصيلها بشكل أوسع.
- ٣- إبراز التطبيق العملي عند مؤمن آل فرعون لهذه المعالم لتكون مثلاً تطبيقياً وزاداً للدعاة.

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمةٍ وتمهيدٍ ومبحثينٍ وخاتمة.

المقدمة: وتشتمل المقدمة على أهمية الموضوع، وحدود البحث، وأهداف البحث، ومشكلة البحث، ومنهجية البحث، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه: أولاً: مفهوم الدعوة، ثانياً: مفهوم المعالم الدعوية

المبحث الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون والأعمال التي قام بها، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمؤمن آل فرعون

المطلب الثاني: الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون

المبحث الثاني: المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: رسوخ الإيمان

المطلب الثاني: العلم

المطلب الثالث: الشجاعة

المطلب الرابع: الحكمة

المطلب الخامس: الحوار

المطلب السادس: التدرج

خاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

أولاً: مفهوم الدعوة

١- الدعوة لغة

"من يدعو، الدعوى: مصدر دعا يدعو دعوا ودعاء"^(١).

"ودعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوت فلانا أي صحت به واستدعيته، والدعاة: قوم يدعوون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ، ورجلٌ داعيةٌ إذا كان يدعو الناس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنبي ﷺ، داعي إلى الله تعالى"^(٢).

"د ع و: دعوت الله أدعوه دعاء؛ ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير"^(٣).

والذي يخلص إليه الباحث أن أهم المعاني هي:

- النداء
- الحث والترغيب.
- استدعاء الغير للحضور والإقبال، وفاعلها الداعي، وجمعها دعاة وداعون، وهو الذي يدعو إلى ما يقرب من الله والمؤذن كذلك، لأن الداعي والمؤذن يدعوان الناس للإقبال على الله.
- الدعاء والرغبة فيما عند الله.

(١) ابن دريد، أبو بكر محمد الأزدي، جمهرة اللغة، (٢/ ٦٦٦).

(٢) ابن منظور محمد بن مكرم، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعي، لسان العرب، (١٤/ ٢٥٨).

(٣) الحموي، أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، (١/ ١٩٤).

٢- تعريف الدعوة اصطلاحاً:

- "العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق"^(١).
- "تعريف الناس بدين الإسلام وتحبيبه إليهم، أو محاولة حث المسلمين على التمسك بمبادئه وشرائعه، ودعوتهم للتمسك به والعمل بما فيه"^(٢).
- "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"^(٣).
- "هي دعوة الناس إلى الإسلام بالقول والعمل"^(٤).
- "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به"^(٥).
- "وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان: بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"^(٦)، وهذا التعريف يشمل أركان الإسلام والإيمان والإحسان.

(١) غلوش، أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص: (١٢).

(٢) سليم، محمد سيد أحمد، فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، مجلة قطاع أصول الدين، مصر، المجلد: ١٢، الجزء: ٢، ٢٠١٧م، ص: (٩٣٥-٩٣٦).

(٣) عمارة، محمود محمد عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، ص: (٨).

(٤) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، جامع البيان في تأويل القرآن، (١١ / ٥٣).

(٥) ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، مجموع الفتاوى، (١٥ / ١٥٧).

(٦) القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، (١ / ٦).

من خلال التعريفات السابقة يمكن أن نقول: إن الدعوة إلى الله تعالى هي نداء النَّاس وإقناعهم بالحسنى والأخذ بأيديهم إلى طاعة الله تعالى والعمل بالإسلام عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاق، وإصلاح الفرد والأسرة والمجتمع لتطبيق الإسلام واستمراره على الأرض.

ثانياً: مفهوم المعالم الدعوية

١- تعريف المعالم لغة:

"العَلَمُ: الجبل الطَّوِيل، والجميع: الأعلام، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ

كَالْأَعْلَامِ﴾ الشورى: ٣٢، شبه السفن البحرية بالجبال، والعلم: الراية، إليها مجمع الجند.

والعلم: ما ينصب في الطريق، ليكون علامة يهتدى بها، شبه الميل والعلامة والمعلم والعلم: ما جعلته علماً للشيء، ويقراً: وإنه لعلم للساعة، يعني: خروج عيسى، ومن قرأ لعلم يقول: يعلم بخروجه اقتراب الساعة"^(١).

فأهم ما في المعلم؛ أن يكون واضحاً يراه السالكون في الطريق؛ ليكون منارة يهتدون به.

٢- تعريف المعالم الدعوية اصطلاحاً:

بالاستناد إلى المعاني اللغوية نستطيع أن نقول: إن (المعالم الدعوية): هي العلامات والأدلة التي ترشد الدعاة وتعرفهم بالطرق المناسبة، والمنهجية السليمة للدعوة إلى الله تعالى على أسس صحيحة.

(١) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، (٢/ ١٥٢)، بتصرف.

المبحث الأول:

التعريف بمؤمن آل فرعون والأعمال التي قام بها

بالتأمل في الآيات القرآنية وتفسيرها التي تناولت قصة مؤمن آل فرعون؛ أمكننا التعرف على عدة أمور عنه، ومعرفة بعض الأعمال المهمة التي قام بها.

المطلب الأول:

التعريف بمؤمن آل فرعون

أولاً: اسمه

لم يورد القرآن الكريم اسم هذا الداعية المؤمن، فالقرآن الكريم نادراً ما يذكر أسماءً لغير الأنبياء، بل أحيانا لا يذكر بعض أسماء الأنبياء، كصاحب طالوت، فالعبرة في الأحداث وليس في الأسماء، لكن كتب التفسير أوردت عدة أقوال في تعيين اسمه، أجملها الباحث في الأقوال التالية:

- قيل: حبيب، وقيل: شمعان وقيل: حزقيل، وعليه أغلب المفسرين، ذكر ذلك الثعلبي في تفسيره: "قال أكثر أهل التأويل: هو حزقيل بن صبورا مؤمن آل فرعون، وكان ابن عم فرعون،^(١) وقيل: خربيل أو حزيبيل"^(٢).
- وجاء في تفسير الطبري: "وقد ذكر أن اسم هذا الرجل المؤمن من آل فرعون: جبريل"^(٣)، لكن ورد في تفسير سورة القصص قول آخر، حيث ذكر أن اسمه سمعان أو شمعون: "وقوله: (وجاء رجل) ذكر أنه مؤمن آل فرعون، وكان اسمه فيما قيل: سمعان، وقال بعضهم: بل كان اسمه شمعون"^(٤).

(١) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إسماعيل الثعلبي، أبو إسحاق، (٧/ ٢٤٢).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٦)، بتصرف.

(٣) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢١/ ٣٧٦).

(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (١٩/ ٥٤٧).

- وقيل: "مؤمن من آل فرعون وهو حزيل بن ميخائيل"^(١).
- وقيل: "كان اسمه جبران، وقيل: كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيبا"^(٢).
وقد خلص الباحث إلى أنّ أشهر الأقوال في تحديد اسم مؤمن آل فرعون هو: حزيل،
وعليه أغلب المفسرين، كما قال الثعلبي، ولعل التقارب الحاصل بين هذه الأسماء التي ذكرتها
كتب التفسير: حزيل - خربيل - جبريل - حزيل، في تعيين اسمه تؤكد هذا الاسم.

ثانياً: هل هو قبلي أم إسرائيلي؟

لم يؤمن من قوم فرعون - وهم الأقباط - إلا القليل بسبب خوفهم من بشطه وظلمه،
قال تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾
يونس: ٨٣ ، "هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا، منهم امرأة فرعون، ومؤمن آل فرعون،
وخازن فرعون، وامرأة خازنه، وماشطته"^(٣).

قال الطبري: "وقوله: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ غافر: ٢٨،
اختلف أهل العلم في هذا الرجل المؤمن، فقال بعضهم: كان من قوم فرعون، غير أنه
كان قد آمن بموسى، وكان يسرّ إيمانه من فرعون وقومه خوفاً على نفسه، فعن السدي:
﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ غافر: ٢٨، قال: هو ابن عم فرعون،
وقال آخرون: بل كان الرجل إسرائيلياً، ولكنّه كان يكتُم إيمانه من آل فرعون، وأولى القولين
في ذلك بالصواب عندي القول الذي قاله السدي من أنّ الرجل المؤمن كان من آل فرعون،
قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيهِ عن قتله، وقيله ما
قاله"^(٤).

(١) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، بحر العلوم، (١٩٥/٣).

(٢) ينظر: البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (٤/ ١١٠).

(٣) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق: (٢/ ٤٣٠).

(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢١/ ٣٧٥) بتصرف.

وعند السمرقندي: "هو ابن عمّ قارون، وكان أبوه من آل فرعون، وأمه من بني إسرائيل، ويقال: كان ابن فرعون يكتُم إيمانه، وكان قد أسلم سراً من فرعون"^(١).
ولعلّ القول بأنّه ابن عم قارون غير صحيح؛ لأنّ قارون كان من قوم موسى عليه السلام، بينما الراجح أن المؤمن من قوم فرعون، وهو ما دلّت عليه الآية.

خلاصة أقوال المفسرين:

- ١- أنّه من قوم فرعون بدون تحديد قرابته من فرعون.
 - ٢- من قوم فرعون وهو ابن عمه.
 - ٣- من قوم فرعون وهو ابنه.
 - ٤- من بني إسرائيل مطلقاً.
 - ٥- أبوه من قوم فرعون وأمه من بني إسرائيل.
- والراجح أنّه من الأقباط لصريح الآية، ولاستجابة فرعون له كما بين ذلك الطبري والقرطبي، ومما يدل على أنه قبضي قول الله: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ غافر: ٢٨، وقول المؤمن في خطابه لهم: يا قوم.

ثالثاً: وظيفته

اختلف المفسرون في تحديد وظيفة المؤمن في مملكة فرعون على أقوال:
- ذهب بعضهم إلى أنه كان نجاراً، وأنه هو الذي صنع التابوت، جاء في تفسير الطبري: " ﴿ فَأَقْذِفْهِ فِي الْيَمِّ ﴾ طه: ٣٩، مؤمن آل فرعون هو الذي صنع التابوت

(١) السمرقندي، بحر العلوم، مرجع سابق: (١٩٣/٣).

ونجره وكان اسمه حزقيل^(١)، قيل: وكانت امرأته "ماشطةً إسرائيليةً.. وهي امرأة حزقيل النجار مؤمن آل فرعون"^(٢).

- ومنهم من قال: إنّ له منصباً عظيماً ذا أهمية فقالوا: إنّّه ولي العهد وصاحب الشرطة، وصاحب الشرطة كوزير الداخلية اليوم^(٣).

- وقال آخرون: إنّّه ولي العهد وصاحب السر، أي أمين السر اليوم^(٤).

والظاهر أنّ لهذا المؤمن مكانة عظيمة ودورا مهماً في مملكة فرعون، يدلُّ على ذلك خطورة هذا القرار الذي استشار فرعون الملأ فيه، وأنّ هذا الاجتماع من السرية بمكان، فهذا المؤمن قد وصل إلى منزلة مهمة أهّلته لحضور مثل هذه الاجتماعات التي تناقش فيها مثل هذه الأمور الخطيرة، وهو قتل شخص مهم كموسى عليه السلام، ومما يؤكد علو مكانة مؤمن آل فرعون ومنصبه المهم في الدولة أموراً عدة منها:

أ- أنّه من أقاربه حسب بعض المفسرين: أنّه ابن عمه أو ولده، وشأن الممالك تقرب أمثاله.

ب- أنّه من أهل استشارته فهو من الملأ الذين خاطبهم في هذا القرار الخطير.

ج- تراجع فرعون عن قتل موسى عليه السلام حين اعترض هذا المؤمن على ذلك.

المطلب الثاني:

الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون

ذكرت الآيات القرآنية عدة أعمال قام بها مؤمن آل فرعون، وتكاد تتلخص هذه

الأعمال في أمرين اثنين:

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق: (١١/ ١٩٥).

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، درج الدرر في تفسير الآي والسور، (٣/ ١٣٥٤، ١٣٥٥).

(٣) انظر: أبو حيان، مُجَدِّد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، (٩/ ٢٥١).

(٤) انظر: الثعالبي، عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (٥/ ١١٣).

١- حماية موسى عليه السلام من القتل.

٢- إغاثة موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى.

وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

أولاً: حذر موسى عليه السلام من القتل

أوردت سورة القصص بعض التفاصيل لحادثة قتل موسى للقبطي عن طريق الخطأ، وما أعقب ذلك من أحداث، وعندما قرر الملائة الانتقام من موسى عليه السلام بقتله؛ أسرع مؤمن آل فرعون إليه محذراً^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ القصص: ٢٠.

ويتبين من خلال الآيات ما يلي:

١- تشاور الملائة وتداولهم لهذا الرأي، (يأترون).

٢- حصول المؤمن على هذه المعلومة الدقيقة والخطيرة دليل على حضوره مثل هذه الاجتماعات المهمة.

٣- سرعة التعامل مع المعلومة واتخاذ القرار المناسب معها والتبليغ: (يسعى).

٤- الإشارة بالحل النافع والمجدي، وهو الخروج، ولم يشر عليه بالاختفاء لأن ذلك حل غير مضمون.

ثانياً: إعتراضه على فرعون حين همّ بقتل موسى عليه السلام

من أهم جرائم فرعون وأشهرها بعد ادّعاء الربوبية؛ ممارسة القتل للعامة والخاصة، وقد ذكر ذلك في سورة غافر، فأما قتله للعامة: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (١٩ / ٥٤٦). والألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (١٠ / ٢٦٨).

غافر: ٢٥، وأما الخاصة: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ ﴿٦٦﴾ غافر: ٢٦.

وأوردت سورة غافر إنقاذ المؤمن لموسى من القتل، حين خاطب فرعون قومه في قتل موسى عليه السلام، وهذا دليل على مدى تأثير دعوة موسى وخاصةً بعد إسلام السحرة، وفشل فرعون وذهاب هيئته وعدم قبول كثير من الناس بربوبيته نظراً لعجزه وفشله، فاستشار الملأ في قتله؛ عندها اعترض المؤمن على هذا القرار الجائر، وخاطب فرعون وملأه في ذلك، وأظهر إيمانه المكتوم، لينقذ موسى من بطش فرعون مرة ثانية، وكان له ما أراد، فقد تراجع فرعون عن جريمته، "وقد كان هذا الرجل يكتُم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم، حين أخذت الرجل غضبة لله عزّ وجل" (١).

ثانياً: القيام بالأمر بالمعروف بدعوة الملأ إلى الإيمان بالله

الدعوة الى الله تعالى، من أهم ما اشتملت عليه خطبة مؤمن آل فرعون، فالدعوة إلى الله والإيمان به أعظم معروف، فقد دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى قائلاً لهم: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ ﴿٤٢﴾ غافر: ٤٢، فكان تارة يخوفهم بالله تعالى ويذكرهم بأسه: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ ﴿٢٩﴾ غافر: ٢٩، وتارة يدعوهم إلى الإيمان بيوم القيامة: ﴿وَيَنْقُورِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ﴾ ﴿٣٣﴾ غافر: ٣٣، وما فتى المؤمن في خطبته المشهورة يعظهم وينذرهم تنكب صراطه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ ﴿٣٥﴾ غافر: ٣٥، وقال: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ ﴿٣٣﴾ غافر: ٣٣، وما فتى المؤمن في خطبته المشهورة يعظهم وينذرهم ويبيشرهم، وقد ظهر في خطبته حرصه الشديد على هدايتهم إلى دين الله، وإنقاذهم من النار التي تكرر ذكرها في خطبته، كما تكرر ذكر الكفر والشرك الذي حرص على إخراجهم منه:

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/ ١٤٠).

﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۖ﴾ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ غافر: ٤١-٤٣.

ثالثاً: دعوة الملأ للتمرد على فرعون

زعم فرعون أنه سيهدي أهل مصر سبيل الرشاد، وأنه يخاف عليهم أن يبذل موسى دينهم، أو أن يفسد في الأرض، وأن الحلّ هو قتل نبي الله موسى، لكن المؤمن هو وحده من اعترض على فرعون في ذلك، وأثناء خطبته التي ألقاها في بلاط فرعون، نلاحظ أن هناك مراجعات وردود بينه وبين فرعون، فقد تكلم فرعون مرتين والمؤمن يرد عليه ويفند أقواله ويعترض عليها، مما يدعو الملأ للتمرد على أوامر فرعون، من ذلك:

١ - اعتراضه على قتل موسى، فكلام المجرم للملأ ومشاورتهم ليس من باب الشورى فقط، فالطغاة نادراً ما يستشيرون غيرهم، وأتّما كان ذلك تعبيراً عن صراعٍ نفسيٍّ وتخوفٍ من عاقبة هذا الأمر، "الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرت آيات موسى عليه السلام انهذّ ركنه واضطربت معتقدات أصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره، وذلك بيّن من غير ما موضع من قصتهما، وفي هذه الآية على ذلك دليلان:

أحدهما قوله: ذروني، فليست هذه من ألفاظ الجباية المتمكنين من إنفاذ أوامرهم.

والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مسابرتة، وحكمه بنبوّة موسى أظهر من توريته في أمره، وأما فرعون فإنما لجأ إلى المخرقة والاضطراب" (١).

(١) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/٥٥٥).

٢- دعا فرعون قومه إلى طاعته لينالوا الرشاد كما زعم: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٢٩، لكن المؤمن اعترض على هذه الدعوى التي تتناقض تماماً مع أفعال فرعون المجرمة، ودعاهم إلى ترك الاعتزاز بكلام فرعون والاتجاه إلى الرشاد الحقيقي الذي لن يجده إلا في الإيمان وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٣٨، وتأمل كلمة الرشاد التي تكررت في كلام فرعون وكلام المؤمن، وهذه دعوة صريحة للتمرد على فرعون، وكأنه يقول لهم: لا تطيعوا فرعون بل أطيعوني.

٣- تحريضه على ترك دين فرعون: فدعوته لترك الشرك والدخول في الإيمان من أعظم التحريض على تمرد المجتمع على إرادة فرعون، ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِحِ ادْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَيَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ غافر: ٤١-٤٣.

٤- ذكر بعض صفات فرعون السيئة: فقد شنّ المؤمن حرباً إعلامية على فرعون من خلال مخاطبته للملأ، وذكر بعض صفات السوء التي اتصف بها فرعون؛ ليكسر هيئته في قلوبهم، ومن تلك الصفات:

أ- مسرف كذاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨.

ب- مسرف مرتاب: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ غافر: ٣٤.

ج- متكبر جبار: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥.

د- ضال ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوَّمُ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٣٨.

٥- إظهار ضعف فرعون، وعدم الخوف منه ومن بطشه، ولفت النظر إلى قوة الله وبأسه

حيث قال لهم: ﴿فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ غافر: ٢٩، فكانه يقول لهم:

إن فرعون ضعيف أمام قوة الله، فهو الذي ينبغي أن نخاف منه، وقال لهم أيضاً:

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ

بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ مُضِلٌّ لَّهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ غافر: ٣٠-٣٣.

رابعاً: خرج مهاجراً مع موسى عليه السلام

"قوله: ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَبْعَاتٍ مَّامَكْرُوءًا﴾ غافر: ٤٥، قال الطبري: "فنجا مع موسى، قال: وذكر لنا أنه بين يدي موسى يومئذ يسير ويقول: أين أمرت يا نبي الله؟ فيقول: أمامك، فيقول له المؤمن: وهل أمامي إلا البحر؟ فيقول موسى: لا والله، ما كذبت ولا كُذِّبت، ثم يسير ساعة ويقول: أين أمرت يا نبي الله؟ فيقول: أمامك، فيقول: وهل أمامي إلا البحر، فيقول: لا والله، ما كذبت ولا كُذِّبت، حتى أتى على البحر فضربه بعصاه، فانفلق اثني عشر طريقاً، لكل سببٍ طريق" (١) وفي تفسير ابن كثير: و"جاء أن فرعون وجنوده حين أُلجأوا قوم موسى إلى البحر، وكان هارون عليه السلام، في المقدمة، ومعه يوشع بن نون، ومؤمن آل فرعون وموسى عليه السلام في الساقية، وقد ذكر غير واحد من المفسرين: أنهم وقفوا لا يدرون ما يصنعون، وجعل يوشع بن نون، أو مؤمن آل فرعون يقول لموسى عليه السلام: يا نبي الله، هاهنا أمرك الله أن تسير؟ فيقول: نعم، واقترب فرعون وجنوده، ولم يبق إلا القليل، فعند ذلك أمر الله نبيه موسى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه وقال: انفلق بإذن الله" (٢).

فهذا المؤمن حقق من خلال الهجرة ما يلي:

- ١- ربط مصيره بمصير نبي الله موسى عليه السلام، وتبعه إلى هذا المكان فراراً بدينه رغم الأخطار المتوقعة.
- ٢- هاجر إلى الله تعالى تاركاً المنصب والمال والمكانة والقراية والعشيرة.
- ٣- ثبت على الحق رغم المغريات والمهددات التي عادةً ما تهرّء المواقف والمبادئ.

(١) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٢/٥٣).

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق: (٦/١٤٤).

المبحث الثاني:

المعالم الدعوية في قصة مؤمن آل فرعون

اشتملت قصة مؤمن آل فرعون على معالم دعوية مهمة؛ لا يستغني عنها الدعاة في دعوتهم إلى الله تعالى، وعليهم أن يتمثلوها في أنفسهم خُلُقاً وسلوكاً وعملاً، لما لها من أهمية وأثر على الداعية والمدعو، ومن ذلك:

المطلب الأول:

رسوخ الإيمان

جاء في وصف هذا الداعية أنه: (مؤمن)، فصفة الإيمان من أهم صفات الداعية، ومن أبرز ما ظهر في ثنايا خطابه لقومه؛ دعوتهم للإيمان، فهو يدعوهم إلى الإيمان بالله واليوم الآخر: ﴿وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ﴾ غافر: ٤١-٤٣.

"ورغم أن الإيمان كان مكتوماً إلا أنه كان إيجابياً، له دوره الفعال في واقع الحياة كالبذرة تتوارى في الأعماق لكنها فوق السطح تبدو خضرة وثماراً، وتتساءل: كيف استطاع هذا الفرد الواحد أن يسمع صوته من حوله والدولة كلها في الجانب الآخر؟ إنها الحكمة الإلهية توحى بما الآيات الكريمة وهي تروي قصة هذا الفتي المؤمن؛ لتكون للدعاة اليوم مثلاً يحتذى"^(١). و" إن دعوة الملام من قوم فرعون وذوي الشأن لا يتصدى لها إلا من كان قلبه مليئاً بالإيمان، لما قد ينتظره من صنوف البلاء، لكن التعبير بالفعل الماضي: (آمن) في هذين الموضعين بعد وصفه الأول بالإيمان، يحملان في طياتهما ثناءً عليه، تعظيماً لشأنه وهو يتصدى للملام من قومه في مشاهد حية يصورها القرآن الكريم تصويراً فنياً يلقي في نفوسنا أن

(١) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، مرجع سابق، ص: (١٢٨).

الإيمان قد استقر في قلب هذا الداعية منذ زمن بعيد، حتى أصبح ديدنه وشأنه، وأنّ مظاهر هذا الإيمان تتجلى وتتجدد بوضوح في كل حوار له مع قومه. وليس من التعسف أن يضاف: أن هذا الإيمان والتوحيد بالله قد تجلّى بأقسامه الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات في كل أقوال هذا الداعية الفذ^(١).

إنه يعتز بإيمانه ويدعو إلى هذا الإيمان؛ في أخطر مكان وأشدّه على هذا الإيمان وحملته؛ إنه بلاط فرعون ذي الأوتاد، فلم يجد الخوف من فرعون إلى قلبه سبيلاً، لأن خوف الله قد استولى على قلبه فلم يفسح لغيره مجالاً، (إيمان راسخ) اتضح من خلال معرفته بالله وبأسمائه وخوفه من الله، ومن خلال تكراره لذكر اليوم الآخر وتفويض الأمر لله وتوكله عليه. ومما يدل على قوة إيمانه: اعتزازه بهذا الدين وتمسكه به، بل ودعوة الملأ إلى هذا الدين، ومحاولة إقناعهم بأنه هو الدين الحق، وأن فيه النجاة في الدنيا من بأس الله، ومن ناره في الآخرة، رغم مكانته ومنصبه العظيم في تلك المملكة.

المطلب الثاني:

العلم

لا بد للداعية أن يحمل مقداراً من العلم ليدعو إلى الله تعالى على بصيرة، فالعلم من أهم مؤهلات الدعاة إلى الله، فالداعية معلم للناس ومرشد لهم إلى طريق الهداية، يعرفهم بما يرضي الله فيعملوه، وما يسخطه فيجتنبوه، ولا يمكن أن يتقن ذلك إلا بالعلم، ففاقد الشيء لا يعطيه.

فأول كلمات نزلت على الداعية العظيم محمد ﷺ هي مطلع سورة اقرأ^(٢)، وفيها حث على العلم، وأنزل عليه: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

(١) النصيرات، جهاد مُجَدِّد، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولاء، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، ٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد: (٢)، ص: (٣٩).

(٢) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، مرجع سابق، (١/ ١٣٩)، برقم: (١٦٠).

المجادلة: ١١، وقال الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر: ٢٨، وقال عليه الصلاة والسلام: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»^(١).

"والواقع أن تقديم العلم على أي عملٍ ضروري للعامل؛ حتى يعلم ما يريد؛ ليقصده ويعمل للوصول إليه، وإذا كان سبق العلم لأي عملٍ ضرورياً، فإنه أشد ضرورة للداعي إلى الله؛ لأن ما يقوم به من الدين منسوبٌ إلى رب العالمين، فيجب أن يكون الداعي على بصيرةٍ وعلمٍ بما يدعو إليه، وبشرعية ما يقوله ويفعله ويتركه، فإذا فقد العلم المطلوب واللازم له كان جاهلاً بما يريده، ووقع في الخبط والخلط والقول على الله ورسوله بغير علم، فيكون ضرره أكثر من نفعه، وإفساده أكثر من إصلاحه، وقد يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف؛ لجهله بما أحله الشرع وأوجبه، وبما منعه وحرمه، وعلى المسلم أن يستزيد من هذا العلم الشرعي النافع ليعرف موضوع دعوته، وليكون فيها على بصيرة وبينة، فلا يأمر إلا بحق، ولا ينهى إلا عن باطل"^(٢).

وهناك أنواعٌ من العلوم ظهرت في خطاب مؤمن آل فرعون؛ زينت خطابه لفرعون وملائته، ومن تلك العلوم:

أولاً: علم العقيدة

أخذ علم العقيدة من خطبته المساحة الأعظم، وفي هذا الباب ذكرهم بجوانب مهمةٍ مثل:

١ - الإيمان بالله فهو يخوفهم بالله تعالى وبقوته وبأسه، فيقول لهم: ﴿ فَمَنْ يَبْصُرْنَا مِنْ

بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ﴾ غافر: ٢٩، وقال: ﴿ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ

لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَرِ ﴾ غافر: ٤٢، وقال مبيناً بعض عقوبات

(١) المرجع السابق، (٢/٧١٨، رقم: ١٠٣٧).

(٢) زيدان، عبدالكريم، أصول الدعوة (ص: ٣٢٦).

الله تعالى للمعرضين عنه: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥، وقال: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهَالِكٌ مِنْ هَادٍ﴾ غافر: ٣٣.

ومن ضمن الإيمان بالله العلم بأسمائه وصفاته، فقد ذكر بعضاً منها فقال: ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ غافر: ٤٢، وقال لهم: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ غافر: ٣١.

٢- الإيمان باليوم الآخر حيث قال لهم: ﴿وَيَقَوْمٍ إِيَّيْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُؤْتُونَ مَدْرِينًا مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴿ غافر: ٣٢-٣٣، ومما قاله لهم: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ غافر: ٣٩، وقال أيضاً: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِعَيْرِ حِسَابٍ﴾ (٤٠) وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿ غافر: ٤٠-٤١.

ومما يلاحظ أن أكثر ما ذكره في خطبته هما ركني الإيمان بالله وباليوم الآخر، وهذا منهج القرآن فكثيراً ما يقرن بين هذين الركنين لما فيهما من تأثير على الإنسان، وهذا من فقه الدعوة وحسن اختيار الكلمات عند مؤمن آل فرعون.

٣- الإيمان بالرسول: فقد أشار إلى بعضهم في ثنايا خطبته، وكأنه يقول لهم: إن موسى لا يختلف عن أولئك الأنبياء الذين تعرفونهم وتسمعون بهم، فكما آمنتم بأولئك وسمعتهم ما حل بأمتهم حين عصوهم؛ فلم لا تؤمنون بموسى عليه السلام: ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ غافر: ٣١، وقال: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي سَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ غافر: ٣٤.

ثانياً: الوعظ الحسن

الموعظة الحسنة من أهم ما يجلب المدعويين إلى الله تعالى، وقد أمر الله نبيه بذلك: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ النحل: ١٢٥، "يعني مواعظ

القرآن، وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب، وقيل: هو قول اللين الرقيق من غير تغليظ ولا تعنيف" (١).

"وعلى هذا فإن أسلوب الداعية اتكأ على جناحي الترغيب والترهيب، وأنه كان يمد جناحه في كل مرة بما يعينه على التحليق، فقد بدأ كلامه بما يرغبهم بقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ غافر: ٢٨، وبقوله: ﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غافر: ٢٩، إلا أنه اختتمه بتهديد ووعيد، وهذا يدل على تمكنه من هذه الدعوة، بل تمكن الدعوة من قلبه؛ حتى غدا رائداً من روادها على طريق نبيه موسى عليه السلام، مع مشكاة النبيين والصالحين" (٢).

ومن الوعظ الذي أبداه لهم ما يلي:

- ١ - خاطبهم المؤمن بكل لين ورحمة وكان يناديهم ويقول لهم: يا قوم، وهذا فيه الشيء الكثير من التحبب والتقرب إليهم لاستمالتهم إلى الحق.
- ٢ - الترغيب: وهو من أهم وسائل الوعظ، ومن الترغيب الذي شوقهم له وعرضه عليهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَوْمَ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٤٢، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر: ٤٠، ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّرِ﴾ غافر: ٤٢.

(١) البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق: (٥/ ٥٢).

(٢) النصيرات، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولادة، مرجع سابق، ص: (٤٩).

٣- الترهيب: فقد خوفهم وحذرهم من أن يحلّ بهم ما حلّ بالأُمم السابقة: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَوْمَ يَقَوْمِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ غافر: ٣٠-٣١.

كما خوفهم من يوم القيامة وبعض ما فيه من أهوال: ﴿ وَيَقَوْمِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ (٣٢) يَوْمَ تُولُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ غافر: ٣٢-٣٣، "يوم تولون مدبرين معناه: على بعض الأفاويل في التنادي تفرون هروباً من المفزع، وعلى بعضها تفرون مدبرين إلى النار، والعاصم: المنجي" (١).

ومن جميل بلاغته في الوعظ أن جمع لهم بين الترغيب والترهيب من خلال ذكر اسمين من أسماء الله تعالى: ﴿ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِ ﴾ غافر: ٤٢، فالترهيب في ذكر اسم الله: العزيز، والترغيب في ذكر اسمه: الغفار.

٤- التذكير بالنعم وما أعطاهم الله تعالى من خيرٍ وفضل، لعلّ في ذلك ما يحملهم على شكر الله تعالى والاستجابة لأمره، فقد ذكرهم بنعم الله عليهم ومنها نعمة الملك: ﴿ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ غافر: ٢٩.

ثالثاً: علم التاريخ

إنّ التذكير بالأُمم السابقة وما نزل بالعصاة منهم؛ لمن أهم الطرق الدعوية في إقناع المدعويين بالإسلام، وتخويفهم من أن ينال أولئك المعرضين عن الدين الحق، والمؤمن هنا يذكرهم بما جرى للأُمم السابقة المعرضة عن هدي ربها، فيذكرهم بما جرى لقوم نوح عليه السلام، وعادٍ وثمود: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَوْمَ يَقَوْمِ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ (٣٠) مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ غافر: ٣٠-٣١، ويشير أيضاً إلى قصة يوسف عليه

(١) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (٤/ ٥٥٨).

السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ غافر: ٣٤، "ومن تناسب المعاني في كلام المؤمن أن اختص يوسف عليه السلام، بالذكر بعد التحذير؛ للمناسبة بينه وبين موسى، عليه السلام، فمن التناسب بين يوسف وموسى، عليهما السلام: وحدة المرسل جل جلاله، ووحدة الرسالة، ووحدة المصّر، ثم توسع فجعل مجيء يوسف، عليه السلام، إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء"^(١)، وتذكير المدعوين ببعض أحداث التاريخ يعد منهجا دعويا قرآنيا، فالقرآن يأمرنا بالنظر في أحوال الأمم السابقة وما حصل لهم من عقوبات؛ لناخذ منهم العظة والعبرة: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الأنعام: ١١.

رابعا: علم فقه الأولويات والموازنات

ما عرفناه من خلال الآيات تميّز مؤمن آل فرعون بفقه الموازنات؛ من ذلك تقديره الدقيق واختياره للأسلوب المناسب في الدعوة لكل مرحلة بما يناسبها، ومن ذلك:

١- بعد أن أسلم رأى ذلك المؤمن أن يكون الأنسب والأسلم للدعوة أن يكتف بإيمانه، ومرة أخرى يكون الأفضل والأنتفع للدعوة أن يظهر ذلك الإيمان، "ولما كان المقام لضيقه غاية الضيق بالكون بين شروث ثلاثة عظيمة: قتلهم خير الناس إذ ذاك، وإتيانهم بالعذاب، وإطلاعهم على إيمانه، فأقل ما يدعوهم ذلك إلى اتهمه إن لم يحملهم على إعدامه داعية للإيجاز في الوعظ والمسارة إلى الإتيان بأقل ما يمكن"^(٢)، أي كان هناك ثلاثة خيارات متوقعة، كلها سيئة، لكن أقلها سوءاً أن يكشف بإيمانه.

(١) الماجد، ماجد بن محمد، الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلده العدد ٢، ٢٠٠٨، (ص: ١٨).

(٢) البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (١٧/٥٤).

٢- وفي إظهار مؤمن آل فرعون للإيمان في بلاط فرعون تضحية بنفسه في سبيل الله ليدافع عن نبي الله، وهنا قد يكون ذلك العمل يؤدي في استشهاده، لكن إزهاق نفسه أهون من إزهاق نفس نبي الله موسى عليه السلام، ما دفعه لهذا العمل العظيم هو فقه ذلك المؤمن ومعرفته بالأولويات، وأن أتباع الرسل يجب أن يقدوهم بأرواحهم، وأن الجندي ينبغي أن يضحي من أجل بقاء القيادة، وقد فعل الصحابة ذلك في كثيرٍ من المواقف وأشهرها يوم أحد.

ومما ظهر من العلوم في خطاب المؤمن أيضاً؛ مع علمه الشرعي؛ علمه بأساليب الدعوة وكيفيةها ومعرفته بالمدعوين، فخطابهم الخطاب المناسب المؤثر، وهذه من أهم ما يحتاجها الدعاة ليكون خطابهم مؤثراً ومقنعاً.

المطلب الثالث:

الشجاعة

الشجاعة من أهم صفات الرجال، ومن أعلى فضائلهم، وقد كان لمؤمن آل فرعون القدر المعلى منها، بل هي أبرز صفاته بعد الإيمان.

وقد أبدى هذا المؤمن شجاعة عجيبة حين اعترض على قتل موسى عليه السلام، ولن يعترض على أمر طاغية من أشهر جبابرة التاريخ إلا رجلٌ يحمل من الشجاعة الشيء الكثير، ومن أعظم من قال كلمة حق عند سلطان جائر، وتتضح شجاعته في الأمور التالية:

١- التعامل مع عقلية فرعون القاتلة، بل والمتلذذة بطرق القتل البشعة، فهو أشهر قاتل للأطفال في التاريخ البشري، وبأبشع طريقة؛ ألا وهي الذبح: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ القصص: ٤، كما أمر بقتل موسى لولا هروبه إلى مدين، وهو الذي أمر بقتل السحرة، ﴿قَالَ ءَأَمِنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَأْدَنَ لَكُمْ ءِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ لَأَفْطِنَنَّ أَيَّدِكُمْ وَأَرْصُكُم مِّنْ خَلْفٍ وَلَا ضَلَّيْتُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الشعراء: ٤٩، "فكانوا في أول النهار سحرة، فصاروا في آخره

شهداء بررة"^(١)، وقال: ﴿ذُرُونِي أَقْتَلْ مُوسَى﴾ غافر: ٢٦، فهو يحمل عقلية لا تعرف سوى القتل، ومع ذلك كان مؤمن آل فرعون شجاعاً ليقف ضد هذه النفسية المجرمة.

٢- "إنه يقول في مواجهة فرعون: ﴿يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ وقد كان فرعون منذ لحظات يقول: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ فهو التحدي الصريح الواضح بكلمة الحق لا يخشى فيها سلطان فرعون الجبار، ولا ملأه المتآمرين معه"^(٢)، "وقوله: في الأرض يريد في أرض مصر وما والاها من مملكتهم، ثم قرره على من هو الناصر لهم من بأس الله، وهذه الأقوال تقتضي زوال هيبة فرعون"^(٣)، فعارضه المؤمن وقال إن الرشاد في اتباع الإسلام والإيمان الذي يدعوان إليه موسى والمؤمن، وفي هذا تصريحٌ بدعوة الناس إلى ترك طاعة فرعون، وتأمل كلمة الرشاد التي تكررت في خطاب فرعون والمؤمن، وهذا تحريضٌ واضحٌ على التمرد على فرعون، لقد أبدى شجاعةً أمام فرعون المشهور بالقوة والبطش والظلم، ولم يبال بما كان يتوقع أن يناله منه، وإنما كان همه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق عند سلطان جائر.

المطلب الرابع:

الحكمة

الحكمة من أهم المعالم والصفات التي يجب على الدعاة تمثلها، واتباعها وتعلمها وممارستها، فالحكمة قد تفتح للدعوة أبواباً مغلقة، وقد تجنّبها عوائق موقّعة، لذا على الداعية إلى الله من إحسان القول والفعل؛ فيحسن مخاطبة الناس، ويختار من العلوم ما يناسبهم، حتى

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق: (٣/ ٤٥٩).

(٢) قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، (٥/ ٣٠٨٢).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (٤/ ٥٥٧).

لا يكون فتنة على بعضهم، لتحقيق الاستجابة لدعوته فلا ينطق بما يفرهم من الدعوة، ولا يفعل فعلاً يكون سبباً لبعدهم عنها.

أولاً: تعريف الحكمة

"الحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم"^(١)، "والحكمة: إصابة الحق بالعلم والعقل"^(٢).

و"الحكمة الإصابة في القول والفعل، وكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة، وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة"^(٣)، فالحكمة في حقيقتها: وضع الأشياء في مواضعها.

ثانياً: أقوال المفسرين في الحكمة

قال الطبري: "الحكمة هي النبوة، وقال آخرون: الحكمة الفهم، وقال بعضهم: المعرفة بالدين، والفقهاء في الدين، والاتباع له"^(٤).

وجاء في تفسير القرطبي أقوالاً عدة في معنى الحكمة، منها: "الإصابة في القول والفعل - العقل في الدين - المعرفة بدين الله والفقهاء فيه والاتباع له - وأصل الحكمة ما يمتنع به من السفه، فقليل للعلم حكمة، لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه وهو كل فعل قبيح، وكذا القرآن والعقل والفهم"^(٥).

فالحكمة جمعت أموراً كثيرة؛ شملت العقل والقلب واللسان والجوارح، فهي نبوة، وإصابة في القول والعمل، وهي علم وفقه وعقل واتباع، وتكاد تجتمع هذه كلها في مؤمن آل فرعون، فقد تميز مؤمن آل فرعون بحكمة عجيبة ووهبه الله تعالى منها الكثير، فقد كان فقيهاً في الدين عارفاً به، يقوم بالدعوة إلى الله تعالى تأسياً بالأنبياء. "وبين هؤلاء المؤمنين يبرز مؤمن

(١) ابن منظور، لسان العرب، باب الميم، فصل الحاء، مرجع سابق: (١٢/ ١٤٠).

(٢) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، كتاب الحاء، مادة: حكم، (ص: ١٢٧).

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، مرجع سابق: (١/ ٣٦٤).

(٤) الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: (٣/ ٨٧).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق: (٣/ ٣٣٠).

آل فرعون وهو فرد واحد، لكنه قد ترى في حماسة فردٍ واحدٍ ما يعيدك ويستفزك للخير بما يستجيش في صدرك من طاقات تفجرها حكمته وسمته، ذلك الفرد الواحد الذي نفتقد اليوم قوته وحكمته معاً على طريق دعوة لم تنتشر إلا بالحكمة والموعظة الحسنة"^(١).

ومن الحكمة التي أبدأها هذا المؤمن ما يلي:

الحكمة في أقواله:

عرفنا أن من معاني الحكمة؛ العلم والفهم والفقه، فهذا المؤمن لديه من العلم النافع الحظ الوافر، بل لديه أنواع من العلوم سبق الحديث عنها في مطلب سابق.

ومن أهم ما تميز به قدرته على الخطابة والإلقاء؛ بل وتمكنه من ذلك، ومما يدل عليه خطبته العصماء التي ألقاها على مسامع أهم فئة في مملكة فرعون وهم الملأ، وحسن صياغته للكلمات واختيار الأفضل منها والمؤثر، بل وترتيب الموضوعات التي تناولها في خطبته.

و"أسلوب الدعوة إلى الله والنجاح المحقق والدائم في الأعمال يتوقف على الأسلوب الناجح والمنهج المعقول، والخطة السليمة، وبما أن غرس العقيدة في القلب ليس أمراً سهلاً، فيحتاج ذلك إلى حكمة في الخطاب، وإثارة العاطفة، وإقناع العقل، وتنبيه الفكر، وإذا استخدمت هذه الوسائل، ولم تحقق الهدف المطلوب، كان الموقف من المخاطبين متسماً بالعناد وركوب الرأس، والتأثر بالأهواء والمصالح أو لعوامل أخرى كالتبعية إلى سيد أو قائد، والمهم التزام الأسلوب الحسن"^(٢).

(١) عمارة، فقه الدعوة من قصة موسى، مرجع سابق، ص: (١١٩).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، (٢/ ١٣١٨).

يقول العلامة أبو الحسن الندوي رحمه الله^(١): "في أي مدرسة تعلم مؤمن آل فرعون الحكمة؟ في مدرسة الإيمان، وقد منحه الإيمان حكمةً ملك بها زمام الموقف، وقد بدا ذلك في السبيل الذي سلكه في الاقناع، والذي يتلخص فيما يلي:

١- الاحتجاج بالمشهود: ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ غافر: ٢٨ ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ (١٨) الأعراف: ١٠٨.

٢- ويسنة الله الماضية: ﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غافر: ٢٩.

٣- الاعتبار بالتاريخ: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ غافر: ٣٠.

٤- التذكير بالآخرة: ﴿وَيَقَوْمِ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ غافر: ٣٢، يوم تولون مدبرين لا تجدون ملجأ بعد أن كنتم في الدنيا ملجأ للناس.

٥- التذكير بظاهرة مرضية في المجتمعات: نسيان النعمة وقت معايشتها، فالمصلح الاجتماعي يعيش فينا فنشتمه ونتملمس له العيوب، فإذا مات مدحناه، وقد حذرهم المؤمن من مغبة هذا الداء: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكِّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ غافر: ٣٤ (٢).

ومن الحكمة التي أبداهها: أسلوبه في الخطاب فتارة يخاطب عواطفهم فيحدثهم عن الإيمان بالله وقوته ومغفرته، أو يحدثهم عن اليوم الآخر وما فيه من جزاء وعقاب، ثم يعظهم موعظة الخاشع الورع الوجع من عقوبة الله، وما ذلك إلا لما يحمله من الخشية من ربه وخوفه

(١) سليمان الندوي: قاض، كان كبير علماء المسلمين في القارة الهندية، تفوق في الحديث وتاريخ الإسلام، نسبته إلى (دار الندوة) ولي القضاء في بوبال، وتولى مناصب علمية أخرى، وأصدر مجلة (المعارف)، وانتقل إلى كراتشي: (١٣٧٠ هـ)، فكان فيها رئيساً لجمعية علماء الإسلام، له تصانيف مطبوعة باللغة الأردية تُرجم بعضها إلى التركية، أشهرها (السيرة النبوية) في ١٠ مجلدات، توفي عام: ١٩٥٣ م، الزركلي، خير الدين بن محمود دمشقي، الأعلام، (٣/ ١٣٧).

(٢) الندوي، أبو الحسن سليمان، مجلة البعث الإسلامي باكستان، عدد جمادي الثانية ١٤٠٢ هـ الموافق ابريل ١٩٨٢ م.

من أليم عقابه، وتارة يخاطب عقولهم فيذهب بهم إلى التاريخ؛ ويذكرهم بتجارب بعض الأمم السابقة مع أنبيائهم، كما أن في تذكيرهم بمن سبقهم من الحضارات تنبيه للعقول بأن الإيمان بالله ورسله ليس جديداً على هذه المعمورة، بل له امتداد عبر التاريخ البشري، وليس جديداً مبتدعاً.

ثانياً: الحكمة في أفعاله

كان للمؤمن من اتقان الفعل الشيء الكثير، فقد عمل الأصوب في كل مرحلة من مراحل بقائه مع فرعون، من ذلك: أنه رأى الحكمة في كتمان إيمانه حين كان ذلك أنفع للدعوة، ولذا فقد أفاد الدعوة حينها بأن حذر موسى عليه السلام من القتل، والكتمان أسلوب عمل به الأنبياء والدعاة قديماً وحديثاً، فهذا نوح عليه السلام يقول: ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ نوح: ٩، وقال أصحاب الكهف: ﴿وَلَيْتَلَطَّفَ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ الكهف: ١٩. "ويحسن من المؤمن إظهار إيمانه حيث يحسن الإظهار، كما لو كان في هذا الإظهار مصلحة للدعوة إلى الله أو تشجيع الآخرين على الإيمان بالدعوة"^(١).

"ومن الإظهار المستحب للإيمان؛ إظهار مؤمن آل فرعون إيمانه بعد أن كان يكتُم إيمانه، لأن الكتمان كان هو المستحب، ولكن لما علم بتأمر القوم: فرعون والملائمة معه على قتل موسى أظهر هذا الرجل المؤمن إيمانه الذي كان يكتمه ليدافع عن موسى بالحجة والبرهان"^(٢). ولكن عندما رأى عزم فرعون على قتل نبي الله موسى عليه السلام؛ أصبح الكتمان غير مناسب في هذا الوقت، فرأى أن الأصلح للدعوة أن يُظهر ما كان مخفياً ويعلن إسلامه لينقذ موسى عليه السلام من القتل مرة أخرى، فليس من الحكمة أن يبقى مستمراً

(١) زيدان، عبدالكريم زيدان، الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، (٢/ ٣٧٧).

(٢) المرجع السابق، (٢/ ٣٧٧).

على الأسلوب الماضي في كتمان الإيمان، فألقى خطبته الشهيرة في مجلس فرعون معترضاً على الجريمة المتوقع حصولها.

ومن الحكمة تلك الشجاعة التي أظهرها واستعداده للشهادة في سبيل الله، فمن عارض رأي فرعون الذي علا في الأرض؛ فالمتوقع أن يُقتل في قصر فرعون.

المطلب الخامس:

الحوار

الجدال بالحجة والحوار الحسن والخطاب المؤثر من أعظم ما أوتيته مؤمن آل فرعون، ولو تأملنا التسلسل العجيب في خطبته لرأينا ملكة الحوار العجيبة التي منحها الله تعالى. و"ينبغي للداعية أن يتلطف في الكلام مع من له صلة به من ذوي السلطة والسلطان؛ ولكن مع وضوح القول وبيان الحق الذي تدعو إليه دعوة الداعي"^(١).

وقد رأينا في خطبة المؤمن عدة مميزات:

أولاً: ترتيب الأولويات في خطابه حيث بدأ باستنكار القتل وهو بيت القصيد والأمر الأهم والأعظم في تلك الخطبة، وهو الموضوع الذي حمله على إظهار ما كان مخفياً، وكشف ما كان مستوراً من إيمانه.

ثانياً: خاطبهم بالقواعد العقلية وهي قاعدة التقسيم ووضع الاحتمالات، "فإن الرسول إذا كان كاذباً فعليه وزر كذبه ولا يتضرر به من لا يتبعه، وإن كان صادقاً نفعهم صدقه، وسلموا من الآفات وألوان العذاب الذي يهدد به، وقد استخدم المؤمن هذا الأسلوب: وإن يك كاذباً فعليه كذبه، لا لشك منه في صحة رسالة موسى وصدقته، ولكن تلطفاً في الدفاع، وبعداً عن الأذى، وإظهار للتجرد والموضوعية"^(٢).

(١) المرجع السابق، (٢/ ٣٧٩).

(٢) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (٢٤ / ١١٨).

ثالثاً: استخدم أسلوب الوعظ بجوانبه المختلفة، وذكرهم بأمرين قد يسهما في إقناعهم بالإيمان بالله؛ أحدهما: التذكير بنعم الله ومنها نعمة الملك، وثانيهما: قصص الظالمين السابقين، فذكر لهم تجارب السابقين قوم نوح وعاد وثمود، لعل في ذلك إقناع لهم، فالعقل السليم ينبغي أن يأخذ بتجارب السابقين ولا يكرر الأخطاء التي عملوها لأنه حتما سيلقى نفس النتيجة التي وصلوا إليها.

رابعاً: الردود التي كان يلقيها على فرعون، إذ ذكرت الآيات أقوالاً لفرعون مخاطباً الملاء، فلم يترك المؤمن عقولهم تتشرب مغالطاته، فرد عليه بقوة حجة وبرهان، بل وقام بإظهار عيوبه ومساوئه.

خامساً: إستدراجهم للإيمان، "كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله ربي الله مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة، ولكن بينات عدة من عند من نسب إليه الربوبية، وهو ربكم لا ربه وحده، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماهم ويكسر من سورتهم"^(١).

سادساً: اقتداء المؤمن كثيراً بنبي الله موسى عليه السلام في خطابه وحواره، وتأمل التشابه بين خطابيهما في الموضوعات التي تناولاها، ومن ذلك:

١- قول موسى عن فرعون مبيناً بعض مساوئه: ﴿مَنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ﴾ غافر: ٢٧، وقال المؤمن: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ غافر: ٣٥.

(١) الزنجشيري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (٤/ ١٦٢).

٢- ذَكَرَ مُوسَى قَوْمَهُ بِنِعْمَةِ الْمَلِكِ: ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَ لَكُم مَلُوكًا﴾ المائدة: ٢٠، وهذا ما فعله المؤمن قائلًا: ﴿يَقَوْمِ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ غافر: ٢٩.

٣- موسى عليه السلام يرغب قومه في الجنة ويحذرهم من النار: ﴿إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمَلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ طه: ٧٤ - ٧٦، وكذلك فعل مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ غافر: ٤٣، وقال عن المؤمنين: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر: ٤٠.

٤- ورد ذكر الأمم السابقة في خطاب موسى عليه السلام: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ﴾ طه: ٥١ - ٥٢، ومثله خطاب المؤمن: ﴿مِثْلَ دَابِّ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ غافر: ٣١.

٥- واستجار موسى عليه السلام بربه واستعاذ به ولجأ إليه فقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ غافر: ٢٧، فاقتدى به المؤمن قائلًا: ﴿وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر: ٤٤.

المطلب السادس:

التدرج

بسبب وجوده في قصر فرعون، ونظراً لوظيفته المهمة في تلك المملكة القوية فقد استخدم مؤمن آل فرعون وسيلة مهمة كان لها الدور بعد توفيق الله وحفظه في أداء دور عظيم لخدمة الدعوة من موقعه المهم والحساس، هذه الوسيلة هي التدرج في اتخاذ المواقف، واتضح هذا الأسلوب الحكيم أكثر في الآتي:

أولاً: التدرج في الأعمال التي قام بها

١- اعتنق الإسلام وعاش مسلماً مؤمناً يؤدي عباداته متكتماً، ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ غافر:

٠٢٨

٢- حذر موسى عليه السلام من القتل، قال: ﴿إِنَّ الْمَلَآءِ يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾

القصص: ٢٠، وهذا من الأعمال الخطيرة التي قد تعرض حياته للخطر، فهي تعد من تسريب المعلومات الخطيرة لأعداء الدولة.

٣- ثم قام بدور أعظم في نفس الموضوع السابق وهو حماية موسى عليه السلام من القتل؛ ولكن هنا بلسانه وحجته، وبشكلٍ ظاهرٍ واضحٍ وجلي، من خلال الاعتراض على قتله في مجلس فرعون، وهذا مشقته أعظم من العملين السابقين.

٤- الأمر الأخير والأعظم مما سبق؛ وذلك حين حدد الصف الذي ينتمي إليه وينحاز إليه انخيازاً كاملاً واضحاً إلى حد المفاصلة؛ وذلك بخروجه مهاجراً مع موسى وقومه وكان له موقف عند شق البحر ذكره المفسرون.

ثانياً: التدرج من سرية الإيمان إلى الجهر به

١- مرحلة الإسرار بالإيمان: قدّم المؤمن فيها عملاً صالحاً وخدمةً للدعوة؛ من خلال البقاء مع فرعون مسلماً يكتُم إيمانه، ولا يخفي على أحد مقدار المعاناة التي تظال من يكتُم عباداته عن الناس، فإذا كان الأمر يتعلق بمن له منصبٌ كبيرٌ كمنصبه؛ وهو ولي العهد أو صاحب شرطة أو صاحب السر، فلا شك أنّ عليه مهماتٍ كثيرة وأعمالاً عظيمة وانشغالاتٍ متعددة ومتنوعة، وهنا تكون مهمة كتمانها لعبادته أصعب.

٢- مرحلة الجهر بالإيمان: حين رأى أن الخطر بدأ يحدق بنبي الله موسى عليه السلام، اتخذ قراره السريع والخطير والمهم؛ وهو أن يظهر إيمانه، لأنه قد يكون في ذلك نفعٌ أعظم من بقاءه مكتوماً، بل إنه تدرّج في إظهار إيمانه بشكل عجيب، فلم يكشف لهم هذا الخبر دفعة واحدة، بل تدرج معهم في كشفه رويدا رويدا، جاء في نظم الدرر:

"ولما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بإيمانه، وصله بما يشككهم في أمره ويوقفهم عن ضره، فقال مشيراً إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون صادقاً أو كاذباً، مقدماً القسم الذي هو أنفى للتهمة عنه وأدعى لقبول منه"^(١)، "فقال: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا﴾، ولم يذكر اسمه بل قال رجلاً ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال: ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾، ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله"^(٢)، ومن التدرج معهم في إظهار إيمانه رويدا رويدا أنه قال: ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾، "أي أنا وأنتم، أدرج نفسه فيهم عن ذكر الشر بعد إفراده لهم بالملك إبعاداً للتهمة وحثاً على قبول النصيحة"^(٣).

وأخيراً صرح وأبان ما كان يخفيه من الإيمان، وأظهره بكل وضوح واعتزاز وشجاعة حين قال: ﴿وَيَقُولُ مَا لِيَ أُدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، "وماذا يبقى بعد هذا البيان الواضح الشامل للحقائق الرئيسية في العقيدة؟ وقد جهر بها الرجل في مواجهة فرعون وملئه بلا تردد ولا تلثم، بعد ما كان يكتم إيمانه، فأعلن عنه هذا الإعلان؟ لا يبقى إلا أن يفوض أمره إلى الله، وقد قال كلمة وأراح ضميره"^(٤).

تنوعت أساليب مؤمن آل فرعون في تعامله مع الواقع الذي يعيشه، والمخاطر التي تحيط به، آخذاً بأسباب السلامة مستعيناً بالله، ومتوكلاً عليه، ليس خوفاً من الموت؛ وإلا ما كان ليظهر إيمانه أمام الملأ، وإنما نوع تلك الأساليب وتدرج فيها ليخدم دين الله تعالى، من الموقع والمكان الذي وضعه الله فيه، وهو قصر فرعون.

ثالثاً: التدرج في الخطاب

- (١) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق: (١٧ / ٥٤).
- (٢) الصابوني، مُجَدِّعِي، صفوة التفاسير، (٣ / ٩٣).
- (٣) البقاعي، نظم الدرر، مرجع سابق: (١٧ / ٥٧).
- (٤) قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق: (٥ / ٣٠٨٣).

التدرج في الدعوة والتعليم من أهم الأمور التي تعين على تحقيق الهدف المرجو، وقد جاءت كثيرٌ من الأحكام الشرعية متدرجة ولم تأت دفعة واحدة، لكي يستجيب لها الناس، وعلى الدعاة التأسّي بهذا المؤمن في ذلك، فقد قام المؤمن مخاطباً قومه بخطابٍ متدرجٍ حذر، " قوله: وقد جاءكم بالبينات من ربكم فهو ارتقاء في الحجاج بعد أن استأنس في خطاب قومه بالكلام الموجه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعلّة أنه جاء بالبينات، ولما توسم نحوض حجته بينهم وأنها داخلت نفوسهم، أمن بأسهم، وانتهاز فرصة انكسار قلوبهم، فصارحهم بمقصوده من الإيمان بموسى، فابتدأ بنصح فرعون لأنه الذي بيده الأمر والنهي، وثنى بنصيحة الحاضرين من قومه تحذيراً لهم من مصائب تصيبهم من جراء امتثالهم أمر فرعون بقتل موسى فإن ذلك يهمهم كما يهم فرعون. وهذا الترتيب في إساءة النصيحة نظير الترتيب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١)(٢).

"ويبدو هذا التدرج جلياً واضحاً فيما عرضه بين يدي قومه، فقد أنكر عليهم أولاً أن يقتلوا رجلاً لا ذنب له سوى أنه يقول: ربي الله مع إتيانه بالبينات الدالة على صدقه، ثم استدريجهم بقوله: ﴿وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ غافر: ٢٨، ثم عرض بهم بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ غافر: ٢٨، ثم انتقل يذكرهم بنعم الله عليهم في دوام الملك، وخوفهم من بأس الله، ثم انتقل بهم إلى الخبرات والتجارب البشرية السابقة وما أصاب المكذبين، ثم نقلهم إلى مشاهد يوم القيامة، ثم عاد بهم إلى تجربة يوسف في أسلافهم الذين مضوا، ثم صرح لهم بإيمانه بعد هذه الجولة بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ غافر: ٣٨، بل إنه صرح وجهر ببراءته من آلهتهم التي يدعون: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا

(١) مسلم، صحيح مسلم، باب بيان أن الدين النصيحة، (١/ ٧٤)، برقم: (٥٥).

(٢) ينظر ابن عاشور التحرير والتنوير: (٢٢٤ / ١٢٩-١٣١)

وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ غافر: ٤٣، وإذا كان هذا الداعية قد تدرج في إعلانه من الأدنى إلى الأعلى فإننا نجد فرعون قد تدرج من الأعلى إلى الأدنى فبعد أن قال في البداية: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ غافر: ٢٦، فإنه تراجع بعد ذلك وأمر ببناء الصرح بحجة البحث عن إله موسى، ويطلب من قومه التريث حتى يطلعهم على حقيقة موسى^(١).

وهذا دليل واضح أن أسلوب المؤمن في مخاطبته لفرعون وللملأ قد أتى ثماره وأثر على قرارات فرعون، وحمله على التردد ثم التراجع.

(١) نصيرات، جهاد مُجَّد، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولادة، مرجع سابق، ص: (٤٧).

الخاتمة

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

- ١- أغلب المفسرين على أنّ اسم مؤمن آل فرعون هو حزقيل.
- ٢- كان لمؤمن آل فرعون منصباً عظيماً في مملكة فرعون، وكان أحد أهم أقاربه.
- ٣- عظمة وتنوع الأعمال التي قام بها مؤمن آل فرعون وصعوبة المهمة الدعوية التي اضطلع بها.
- ٤- أهم الأعمال التي قام بها هي إنقاذ موسى عليه السلام مرتين من القتل، والدعوة إلى الله تعالى.
- ٥- من أهم وسائل حماية الدعوة والدعاة؛ وصول الدعوة إلى قلوب أقارب الولاة، أو أصحاب المناصب الرفيعة.
- ٦- قد تحتاج الدعوة إلى كتمان شأن بعض أفرادها، ليقدموا لها خدمة عند ولاة الأمر، مع الحفاظ على المبادئ والقيم.
- ٧- الأهمية العظيمة للعالم الدعوية التي برزت في قصة مؤمن آل فرعون، ولها دورٌ عظيم في نجاح الدعوة.
- ٨- حاجة الدعاة اليوم إلى أنواعٍ متعددةٍ من العلوم، كالتاريخ والوعظ وعلم الموازنات.
- ٩- حاجة الدعاة اليوم إلى الحكمة في تعاملهم مع المدعوين لتحقيق مقاصد الدعوة.
- ١٠- ينبغي أن يتحلى الدعاة بصفة الشجاعة لأن أعداء الدعوة يتربصون بها وبحملتها.
- ١١- الجدل بالحجة والحوار الحسن والخطاب المؤثر من أهم المهارات التي يحتاجها الدعاة.
- ١٢- حاجة المكتبة الإسلامية إلى مصنّفات تربط قصص القرآن الكريم بواقع الناس اليوم.
- ١٣- كلما كانت مكانة العامل للإسلام أعظم كانت مسؤوليته نحو دينه أكبر، لكنها أصعب وتحتاج لهمة وتضحية.

ثانياً: التوصيات

- ١- على المسلمين عامّة والدعاة خاصّة التأمل أكثر في القصص القرآنية واستخراج ما فيها من كنوز.
- ٢- على الدعاة والعاملين للإسلام تمثل صفات مؤمن آل فرعون، من الحكمة والشجاعة.
- ٣- على الدعاة والعاملين للإسلام العمل بمبدأ التدرج في مسيرتهم الدعوية اقتداءً بمؤمن آل فرعون.
- ٤- على الدعاة والعاملين للإسلام العمل بمبدأ الحوار والإقناع بالحجة، وعليهم تنميتها واتقانها.
- ٥- على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية والمراكز البحثية الاستفادة من قصص القرآن الكريم في صياغة منهج دعوي تطبيقي للدعاة والخطباء.
- ٦- على المعاهد الدعوية والمدارس التربوية تدريس قصة مؤمن آل فرعون، كنموذج عملي دعوي رائد ومتميز.

المصادر والمراجع

- ١- ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني، (١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، تحقيق: عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية.
- ٢- أبو حيان، مُجَدِّد بن يوسف الأندلسي، (١٤٢٠ هـ)، البحر المحيظ في التفسير، تحقيق: صدقي مُجَدِّد جميل، دار الفكر - بيروت.
- ٣- ابن دريد، أبو بكر مُجَدِّد الأزدي، (١٩٨٧م، ط: ١)، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت.
- ٤- ابن عاشور، مُجَدِّد الطاهر، ١٩٨٤ هـ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر - تونس.
- ٥- ابن عطية، أبو مُجَدِّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي، (١٤٢٢ هـ، ط: ١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي مُجَدِّد، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٦- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ط: ٢)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن مُجَدِّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ٧- ابن منظور مُجَدِّد بن مكرم، أبو الفضل، الأنصاري الرويفعي، (١٤١٤ هـ، ط: ٣)، لسان العرب، دار صادر - بيروت.
- ٨- الألويسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (١٤١٥هـ، ط: ١)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩- البغوي، أبو مُجَدِّد الحسين بن مسعود، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ط: ٤)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: مُجَدِّد النمير - عثمان ضميرية - سليمان الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع.
- ١٠- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- ١١- الثعالبي، عبد الرحمن بن مُجَدِّد بن مخلوف، (١٤١٨ هـ، ط: ١)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: مُجَدِّد معوض، عادل عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

- ١٢- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن مُجَّد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ط: ١)، تحقيق: الإمام أبي مُجَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ١٣- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ط: ١)، درج الدرر في تفسير الآي والسور، تحقيق: (الفاخرة والبقرة) وليد بن أحمد بن صالح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، مجلة الحكمة، بريطانيا.
- ١٤- الجرجاني، علي بن مُجَّد بن علي، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط: ١)، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ١٥- الحموي، أحمد بن مُجَّد الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية - بيروت.
- ١٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن مُجَّد، (١٤١٢هـ، ط: ١)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، كتاب الحاء، مادة: حكم.
- ١٧- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤١٨هـ، ط: ٢)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق.
- ١٨- الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (١٤٢٢هـ، ط: ١)، التفسير الوسيط، دار الفكر - دمشق.
- ١٩- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، (٣١٤٠٧هـ، ط: ٣)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٢٠- زيدان، عبد الكريم، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ط: ٩)، أصول الدعوة، مؤسسة الرسالة.
- ٢١- زيدان، عبد الكريم زيدان، (١٩٩٧م، ط: ١)، الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة، مؤسسة الرسالة، لبنان.
- ٢٢- سليم، مُجَّد سيد أحمد، ٢٠١٧م، فقه الدعوة من قصة مؤمن آل فرعون، مجلة قطاع أصول الدين، مصر، المجلد: ١٢، الجزء: ٢.
- ٢٣- السمرقندي، أبو الليث نصر بن مُجَّد بن أحمد، بحر العلوم، دار الفكر، بيروت، تحقيق الدكتور: مطرجي.
- ٢٤- الصابوني، مُجَّد علي، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ط: ١)، صفوة التفاسير، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

- ٢٥- الطبري، مُجَّد بن جرير بن يزيد، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ط: ١)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد مُجَّد شاكر، مؤسسة الرسالة.
- ٢٦- عمارة، محمود مُجَّد عمارة، ١٩٨٤م، فقه الدعوة من قصة موسى عليه السلام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٢٧- غلوش، أحمد غلوش، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ط: ٢)، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتاب المصري، القاهرة.
- ٢٨- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- ٢٩- القحطاني، د. سعيد بن علي بن وهف، ١٤١٥هـ، مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة- مفهوم ونظر وتطبيق، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
- ٣٠- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (١٤٢١هـ، ط: ١)، فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، رسالة دكتوراه، من جامعة الإمام مُجَّد بن سعود الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- ٣١- قطب، سيد قطب إبراهيم، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة.
- ٣٢- الماجد، ماجد بن مُجَّد، ٢٠٠٨هـ، الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد ٥ العدد ٢.
- ٣٣- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: مُجَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٣٤- الندوي، أبو الحسن سليمان، عدد جمادي الثانية ١٤٠٢هـ الموافق إبريل ١٩٨٢م، مجلة البعث الإسلامي باكستان.
- ٣٥- النصيرات، جهاد مُجَّد، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، صفات وأساليب القائمين بالنصيحة للولادة، المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، عدد: (٢).



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

مجلة علمية-مكّمة-تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن (١٨) (٢٠٢٠/١٢) ISSN:٢٦١٧-٥٨٩٤

مناسبات قصص المصلحين من غير الأنبياء لسور القرآن الكريم

د.وليد أحمد عبد الحبيب بن زياد

Alziadee6@gmail.com

ملخص البحث

مناسبات قصص المصلحين من غير الأنبياء - عليهم السلام - لسور القرآن الكريم
 هذا البحث يهدف إلى: إبراز قضية قرآنية تتمثل في بيان وجه الارتباط بين القصة
 الواحدة من قصص السابقين لغير الأنبياء - عليهم السلام - وبين السورة التي وجدت فيها.
 وفي البحث انتهجت المنهج الوصفي الاستنباطي، وجاء البحث في مقدمة وثلاثة
 مباحث وخاتمة. وقد توصلت من خلاله إلى عدد من النتائج، منها: أن القصة القرآنية
 تتناسب مع المقاصد العامة للسورة التي وجدت فيها القصة، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً من
 خلال الأحداث التي دارت حولها والأهداف التي سعت لتحقيقها من أخذ العظة للقصص
 التي سيقت ومدى اتصالها بمقاصد السورة.

ويعد هذا الفن لونا جميلاً من ألوان إعجاز القرآن الكريم، الذي بلغ من ترابط قصصه
 وسوره، وتماسك كلماته، مبلغاً لا يدانيه ولا يضاهيه فيه كلام آخر، ولقد سار منهج القرآن
 الكريم فريداً في عرض قصصه، التي خالف بها سائر المناهج السابقة واللاحقة، التي
 اصطلحت في مناهجها أن تبنى على مقدمات، ومباحث متسلسلة، أو أبواب، وفصول، إلى
 غير ذلك من تقسيمات، في إطار مقاصد محدودة، ونتائج مرسومة.

كلمات مفتاحية: المناسبات، قصص المصلحين، سور القرآن الكريم.

ABSTRAK

This article mainly aims to clarify the occasions between the passages of the Quranic story that dealt with the followers of the prophets – peace be upon them – and the fence where these stories are found, and this is considered a beautiful color of the miracle of the Holy Quran, which reached the coherence of his stories and his wall, and the coherence of his words,, the results drawn, this unique approach is considered to have attracted a few scientists and interpreters - In this article I will highlight the occasions between the places of the Quranic stories that dealt with the followers of the prophets – peace be upon them - and the surahs in which I mentioned the story.

Keys words: occasions, ex stories, Sur Quran.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى ونورا، وجعل له حلاوة وعليه طلاوة لمن تلاه حق التلاوة، والصلاة والسلام على أشرف خلقه وخاتم أنبيائه وعلى آله وصحبه الكرام الذين حملوا أمانة القرآن العظيم سالمة نقية من كل تحريف بارزة فيها معجزة قوله تعالى في كتابه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ سورة الحجر: ٩. أما بعد:

إنَّ التعرف على علم المناسبات وإدراك أهم مسائله يعدُّ أمراً في غاية الأهمية، فهو من أهم ما يجب على أهل القرآن فهمه، وأولى ما يلزم بحثه، يقول الإمام السيوطي رحمه الله تعالى: "علم المناسبة علم شريف قل اعتناء المفسرين به لدقته، فالقرآن الكريم هو المنبع الغزير لشتى العلوم، ومختلف الفنون، وعلم المناسبات هو المفتاح لها، فهو الذي يحوي من بيان إعجاز النظم القرآني، والتناغم بين سوره وآياته، إلى درجة يجد القارئ أن الآيات والسور قد انتظمت غاية الانتظام، مما يعينه على فهمها بشكل أفضل، ومعرفة مدلولاتها بطريقة أوضح" (١).

ويقول الإمام المفسر الرازي رحمه الله "علم المناسبات علم عظيم أودع فيه كثير من لطائف القرآن وروايعه وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول" (٢).

فعلم مناسبات القصة القرآنية تتناسب مع المقاصد العامة للسورة التي وجدت فيها القصة، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً من خلال الأحداث التي دارت حولها والأهداف التي سعت لتحقيقها من أخذ العظة والعبرة للقصص التي سبقت ومدى اتصالها بمقاصد السورة، فهو فن له مصطلحاته الخاصة به كغيره من علوم القرآن الكريم، وهذا العلم من أشرف العلوم لتعلقه بأشرف كلام، وهو باب جليل من أبواب خدمة كتاب الله وحفظه، وهو من عجائب القرآن التي لا تنقضي، وهو ثغر عظيم لا يُوفَّق إليه إلا من أراد الله له الخير لقوله سبحانه: ﴿ تَرَىٰ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة فاطر: ٣٢].

(١) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٦٩).

(٢) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٥).

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبرازه لقضية مهمة من قضايا القرآن الكريم، وهذه القضية القرآنية تتركز على علم جليل، وهو علم مناسبات القصص القرآني وسبب وجودها في السورة القرآنية المذكورة فيها، ويعتبر هذا العلم من علوم إعجاز بلاغة القرآن الكريم، الذي بلغ من الترابط بين قصصه وسوره، وتماسك كلماته، مبلغاً لا يضاهي رقي ألفاظه كلاماً آخر، ولقد نصح القرآن الكريم منهجاً فريداً في عرض قصصه، فقد خالف في طريقة عرضه سائر المناهج السابقة واللاحقة، ومن خلال هذا البحث سيتم تسليط الضوء على هذا العلم الجليل، لتعلقه بمعاني مواضع القصص القرآني.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

١. بيان مفهوم المناسبات القصصية والعلم بها.
٢. توضيح المناسبات بين مقاطع القصة القرآنية التي تناولت المصلحين السابقين وبين السور التي وجدت فيها هذه القصص.
٣. التعريف بالقصص القرآني للمصلحين من غير الأنبياء . عليهم السلام . .

تساؤلات البحث:

هناك تساؤلات سيسعى البحث للإجابة عنها وهي كالاتي:

١. ما تعريف المناسبات القصصية لغة واصطلاحاً؟
٢. ما المناسبات بين مقاطع القصة القرآنية التي تناولت المصلحين من غير الأنبياء – عليهم السلام – وبين السور التي وجدت فيها هذه القصص؟
٣. ما القصص القرآني التي وردت في بيان المصلحين من غير الأنبياء . عليهم السلام .؟

حدود البحث:

تمثل في بيان وجه الارتباط بين القصة الواحدة من قصص السابقين لغير الأنبياء – عليهم السلام – وبين السورة التي وجدت فيها.

مصطلحات البحث:

علم المناسبات: ذكر القطان أن المناسبة في القرآن الكريم تعني: "بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة" ^(١).

القصص: "قص أثره، أي: تتبعه، قال تعالى: { فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا } [سورة الكهف: ٦٤]، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، والقصة: الأمر والحديث، وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصاً، والاسم أيضاً القصص بالفتح" ^(٢).

واصطلاحاً: "أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والتبوت السابقة، والحوادث الواقعة" ^(٣). وقد احتوى القصص القرآني على كثير من الوقائع في العصور السابقة وتاريخ الأمم الماضية، وأتى ذكر بعض البلدان والديار فيها، والقصص هي تتبع آثار كل مجتمع وقوم وحكاية بعض من أهم مفاصل حياتهم كأنها صور ناطقة تبتُّ بداخل قارئها الروح حينما يمر عليها بتدبر.

ولذا نجد سيد قطب رحمه الله تعالى ذكر تعريفاً للقصة القرآنية فقال: "والقصة من ناحية الأداء تمثل إحدى طرق الأداء الفني للقصة في القرآن وفيه مفاجآت مشوقة، كما أنّ فيه سخرية بالكيد البشري العاجز أمام تدبير الله وكيده، وفيه حيوية في العرض حتى لكان السامع -أو القارئ- يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى" ^(٤).

(١) القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٩٧.

(٢) الجوهري، الصحاح (١/١٠٥١).

(٣) القطان، مرجع السابق (١/٣١٦).

(٤) سيد، في ظلال القرآن (٦/٣٦٦٤).

المصلحين: هم كل من يصلح ما يفسده غيره وهو جمع مصلح و"المصلح: الصالح في عمله أو أمره أتى بما هو صالح نافع والشيء أزال فساده وبينهما أو ذات بينهما أو ما بينهما أزال ما بينهما من عداوة وشفاق وفي التنزيل العزيز: { فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا } [سورة الحجرات: ٩]. قال تعالى: { فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ }، [سورة الأنفال: ١] وقال تعالى: { وَإِن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي } [سورة الأحقاف: ١٥]، و(الصالح) هو المستقيم المؤدي و(الصلاح) الاستقامة والسلامة من العيب".^(١)، فإذا نظرنا بنمنا للكلمات المرادفة لكلمة الإصلاح لوجدناها كلمات جميلة المغزى، لها دلالات عميقة المعنى، فهي تدل على البناء والنهضة، والتحسين المستمر.

قصص المصلحين السابقين في القرآن الكريم: من خلال التعريفات السابقة، يمكن القول بأنها هي: "أخبار القرآن الكريم عن أحوال الأمم الماضية من أتباع الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بصورة ناطقة لما كانوا عليه، والحوادث الواقعة، وتتبع آثار وأساليب ووسائل كل الخصوم، وحكاية عنهم طرق مواجهة هؤلاء المصلحين لخصومهم ممن لم يؤمن بأنبيائهم أو آمن بهم ولم يدخل الإيمان في قلوبهم"

معنى السورة: يقال: السور: الحائط، والسور: جمع سورة: وهي كل منزلة من البناء، ومنه: سورة القرآن، لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع: سور (بفتح الواو)، ويجوز أن يجمع على: "سورات" بسكون الواو وفتحها^(٢)، والسورة في كلام العرب: الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة، وقيل: سميت بذلك لشرفها وارتفاعها؛ كما يقال لما ارتفع من الأرض: سور، وقيل سميت بذلك لأن قارئها يشرف على ما لم يكن عنده؛ كسور البناء (كله بغير همز)، وقيل: من السور (بالهمز):

(١) مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط (١/٥٢٠)..

(٢) زين الدين الرازي، مختار الصحاح مادة: (س و ر)، ص ٦٥٦

من قول العرب للبقية، سؤر، وجاء في أسآر الناس: بقاياهم؛ وقيل: سميت بذلك لتمامها وكما لها؛ من قول العرب للناقة التامة، سورة^(١).

المعنى في الاصطلاح: السورة: "الطائفة المترجمة توقيفًا؛ أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي ﷺ؛ أو هي: طائفة من آيات القرآن جمعت وضم بعضها إلى بعض حتى بلغت في الطول المقدار الذي أَراده الله تعالى لها"^(٢).

منهج البحث

اتبع الباحث المنهج الوصفي الاستنباطي، من خلال تتبع المقاطع القصصية لغير الأنبياء - عليهم السلام - التي تدل على موضوع المناسبات بين المقاطع القصصية والسور، في كتب التفسير، ولقد عمد الباحث في اختيار المواضع القصصية على:

١. أن يكون بطل القصة القرآنية المذكورة والمعتمد دراستها لرجل مصلح من غير الأنبياء الله عليهم السلام فاختر منها إحدى عشرة قصة فقط، لذلك لم نتناول قصة أم موسى عليه السلام، وقصة الخضر لأنها كانت مع نبي الله موسى.
٢. أن تكون أحداث القصة المختارة قد وقعت قبل النبوة لذلك فلم نتحدث عن الغزوات المذكورة في القصص القرآني.
٣. أن توجد بين ثنايا أحداث القصة مواجهة بين المصلح وبين خصومه، فلم نتناول قصة الذي انسلخ من آيات الله ولقمان.
٤. أما بالنسبة لقصة هاروت وماروت فهما رجلان صالحان مصلحان، وهذا ما ذهب إليه بعض من المعاصرين منهم الإمام محمد رشيد رضا، وأتخما وُجدا في عهد نبي الله سلمان - عليه الصلاة والسلام، وكانت مهمتهم إرساء دعائم أركان حكم نبي الله سليمان عليه السلام، ولذا قال الله تعالى في مطلع المقطع { وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ } [سورة

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١/ ٥٧).

(٢) أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٨٥.

البقرة: ١٠٢]، وقال به الإمام محمد رشيد رضا فقال أهما: "رجلان صاحبا وقار وسمت، فشبها بالملائكة، وكان يؤمهما الناس بالحوائح الأهلية ويجلوئهما أشد الإجلال فشبها بالملوك، وتلك عادة الناس فيمن ينفرد بالصفات المحمودة يقولون: هذا ملك وليس بإنسان، كما يقولون فيمن كان سيذا عزيزا يظهر الغنى عن الناس من حيث يحتاجون إليه: " وهذا سلطان زمانه، جلّت حكمة الله في خلقه فقد قد هؤلاء الأدميين من أديم واحد" (١).

الدراسات السابقة:

علماء الإسلام اهتموا اهتماماً بالغاً بالدراسات التي تُعنى بكتاب الله الكريم، والذي يُعتبر مصدر النبوة والتشريع الإسلامي، وحينما اطّلع الباحث على الأبحاث والدراسات التي لها صلة بعنوان البحث من قريب أو بعيد، لم يقف الباحث على أي دراسة بهذا الشأن، غير أنّ هناك محتويات متناثرة بمسميات مختلفة، وهي قريبة بعض الشيء في مضمونها العام من موضوع الباحث، والموضوعات القريبة من فحوى الدراسة، وهي مقسمة على محورين رئيسين، وهما محور القصص ومحور المناسبات، وإليك بيانها:

أولاً: محور القصص القرآني لغير الأنبياء . عليهم السلام . :

أما الدراسات التي تناولت القصص القرآني فهي كثيرة نذكر منها الآتي:

الدراسة الأولى: منهج إصلاح المجتمع في القصص القرآني، بحث دكتوراه للباحث: سامر خليل محمود عبد الله قدم البحث في الجامعة الإسلامية بماليزيا عام ٢٠١٣م تحدثت الدراسة إلى بيان مفهوم القصص القرآني وأهميته وشبهات حوله، ومنهج القصص القرآني في إصلاح الاعتقاد، والاخلاق، والفرد، والمجتمع، والأسرة، والاقتصاد، والسياسة، كما ركزت وبيّنت ميزات المنهج الإصلاحية كالربانية والإنسانية. والفارق بينه وبين موضوع بحثنا أن هذا

(١) محمد رشيد رضا، تفسير المنار (١/٣٣٢).

البحث رائع في مضمونه، لكنه تناول قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومنهجهم في إصلاح مجتمعاتهم، وأما الدراسة التي سنتناولها بالاستقصاء والتحليل ستهتم بالقصص من غير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وربطها بمناسبات السور.

الدراسة الثانية: الشخصية الإنسانية كما تصورها قصص سورة الكهف للباحث:

نظرة أحمد تقدمت بها للجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا عام ٢٠٠٣م تعرضت لإبراز بعض العناصر الأساسية للشخصية الإنسانية، مثل العناصر العقيدية والفكرية والخلقية من خلال قصة ذي القرنين وأصحاب الكهف وغيرها من القصص التي ذكرت في البحث، وهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة النفع، ركزت على الجوانب الإنسانية في القصص التي وردت من خلال سورة الكهف.

الدراسة الثالثة: تأملات في قصة أصحاب الكهف، إعداد د. أحمد محمد الشرقاوي

أستاذ علوم القرآن المساعد بكلية أصول الدين والدعوة جامعة الأزهر بحث محكم ومنشور في العدد الثامن عشر ٢٠٠٥م - ٢٠٠٦م بجامعة الأزهر، كلية أصول الدين والدعوة، حولية الكلية العدد السابع عشر لقد تضمن هذا البحث مقدمه، ثم كلمة حول سياق القصة، ثم جولة في رحابها، كما استخلص الفوائد منها.

وتحدث هذا الكاتب عن الجانب السردي التحليلي في قصة أصحاب الكهف، ولكنه أورد تأملاته بشكل عام ليعالج قضايا كثيرة متشعبة، في حين إن دراستنا تعني بجزئية وبقضية متكاملة من الأساليب والمواجهة.

الدراسة الرابعة: فوائد مستنبطة من قصة لقمان الحكيم إعداد الشيخ: عبد الرزاق بن

عبد المحسن البدر تناول فيه الوصايا الواردة في قصة لقمان الحكيم عليه السلام، وتحدث عن النهج السديد في الدعوة وإصلاح الأبناء، وبين الوسائل والأساليب الناجحة في إصلاح الناس وإرشادهم للخير وهو كتاب يقع في خمسة وأربعين صفحة، والفارق أن هذا عبارة عن كتاب صغير الحجم تناول قصة لقمان عليه السلام وركز فيه عن وصاياه لابنه حينما كان يعظه وينبه عن بعض الدروس والحكم.

الدراسة الخامسة: **دُرُوسٌ وَعِبْرٌ مِنْ قِصَّةِ قَارُونَ** إعداد: علي بن نايف الشحود الباحث في القرآن والسنة (الطبعة الثانية) منقحة ومعدلة قدم هذا البحث بدار المعمور - مبانج- ماليزيا والباحث قد قسم هذا الكتاب إلى المباحث التالية: المبحث الأول- أَعْرَاضُ الْقِصَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، المبحث الثاني- قصة المال والعلم وتأثيرهما في النفس الإنسانية، المبحث الثالث- تحليل القصة وتفصيلها، وفيه ثلاثة مطالب المطلب الأول- بغيه على قوم موسى واغتراره بماله المطلب الثاني- بعض مظاهر بغي قارون وكبريائه المطلب الثالث- محل الجزاء ومقداره والعبرة من قصة قارون، المبحث الثالث- توجيهات عامة من القصة، المبحث الرابع-ومضات من أقوال المفسرين، وقد ذكر شرح المفردات، ومناسبة الآيات، وتفسير الآيات، والدروس والعبر المستقاة من الآيات بشكل مفصل، وذكر العديد من الأحاديث النبوية التي توضح ذلك وتؤيده، وفيه جمع بين الأساليب القديمة والحديثة، في فهم قصص القرآن، وأخذ الدروس منها، والفارق بينه وبين موضوع بحثنا أن هذا الكتاب يتحدث عن العبر والدروس المستفادة من قصة قارون بشكل عام بينما دراستنا ستهتم بقضية خاصة وهي القصص القرآني وربطه بمناسبات السور التي وجدت فيه.

المحور الثاني: محور المناسبات

وهو الأساس التي ستقوم عليها الدراسة والبحث، وقد جمع الباحث أبرز ما تناولته يده منها وهي كتابي:

الدراسة الأولى: كتاب البرهان في تناسب سور القرآن ويسمى: (البرهان في ترتيب سور القرآن)، لمؤلفة: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، حققه: مُجَّد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، يقع الكتاب في جزء واحد، بدأ المؤلف بالمقدمة، ثم تناول باب التعريف بترتيب السور فبدأ بسورة الفاتحة وانتهى بالسورة الناس، وفي هذا الكتاب ذكر المؤلف تناسب ترتيب السور بالتالي بعدها، وفي بحثنا تناولنا التناسب بين القصص القرآني وبين السور التي وقعت فيها.

الدراسة الثاني: تأملات في المناسبات ودراسة تطبيقية من القرآن الكريم، مقالة علمية لمحمد عابدين، شارك بها في إحدى الجامعات التركية، فتناول فيها تعريف علم المناسبات لغة واصطلاحاً، ثم عرج على أهميتها، وذكر مرجع علم المناسبة، ثم صلة علم المناسبة بترتيب السور وترتيب الآيات، وتكلم عن أول من أظهر علم المناسبات، ثم العلماء الذين يعتنون بذكر المناسبات بين الآيات والسور، وذكر نماذج تطبيقية من بعض أنواع المناسبات في القرآن الكريم، فذكر أمثلة تطبيقية من بعض الآيات وعلاقتها بالسور، والمناسبة بين السور، والمناسبة بين آخر الآيات والسور التي بعدها، ولم يذكر علاقة القصص القرآني بالسور التي وجدت فيه.

الدراسة الثالثة: موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، المؤلف: أحمد بن محمد الشرفاوي سالم، وهو بحث محكم بكلية أصول الدين جامعة الأزهر ١٤٢٥هـ، عدد صفحاته ٩١، وبدأ فيه بالتمهيد مع التفسير والمفسر، وتحدث عن كتاب (من فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير) وقال عنه أنه من روائع كتب التفسير ومن أصولها الجامعة، وقال عنه أنه يعتبر مرجعاً أساسياً في بابها، ثم انتقل إلى المبحث الأول: وتناول كلام الشوكاني عن المناسبات، وتحدث في المبحث الثاني عن ردود تفصيلية، يدعي فيها أن الإمام الشوكاني قال أن علم المناسبات علم بلا فائدة، وهذا البحث تناول فيه رأي الإمام الشوكاني في نكرانه لعلم المناسبات وساق الردود العلمية على كلامه، ولم ينوه إلى علم المناسبات ولم يذكر نماذج منه.

الدراسة الرابعة: كتاب العزف على أنوار الذكر، المسمى معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة. إعداد: محمود توفيق محمد سعد، أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم، في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف، شبين الكوم، الكتاب طبع في سنة (١٤٢٤هـ)، ويحتوي على: مقدمة وفيها المدخل إلى المنهج، الدعوة إلى التدبر ومفهومه، المبتغى إليه بالتدبر، مفهوم المعنى القرآني، مراحل الطريق إلى فقه المعنى القرآني، تناول في الفصل الأول: فقه موقع السورة على مدرجة السياق القرآني، تنزلات القرآن، علاقة السور المفتحة بالحمد

ومواقعها في السياق القرآني، علاقة هذه السور الفاصلة بما قبلها وما بعدها وغيرها من الأمور، وتحدث في الفصل الثاني حول فقه وحدة سياق السورة ومقصودها الأعظم، وجه تفصيل القرآن إلى سور، من إعجاز القرآن عجز الخلائق عن إعادة نسق ترتيب آيات سوره، فريضة العناية بالنظر في أول الكلام وآخره لمن تدبر، أثر ذلك في تدبر وحدة مقصود السورة، تحقيق المقصود سبيل إلى عرفان تناسب الآيات، تكرار القصص ووحدة مقصود السورة، وفي الفصل الثالث تكلم عن تقسيم السورة إلى معاهد كلية، اشتمال السور على معانٍ كلية مترابطة، أساس تقسيم السور إلى معاهد كلية، تقسيم سورة البقرة إلى معاهد: المطلع والمقدمة - قلب السورة، وفي الفصل الرابع تناول التحليل البياني لكلمات وجمل وآيات السورة بين يدي السفر في التأويل، منزلة الذاتية في التحليل البياني، وهذا الكتاب نشرته في مصر، وقد تمّ تدريسه لطلاب جامعة الأزهر كلية اللغة العربية في مادة (قاعة البحث البلاغي). وفي هذا الكتاب ذكر المؤلف الجانب التأصيلي لتناسب السور والآيات، وفي بحثنا تناولنا التناسب بين القصص القرآني وبين السور التي وقعت فيها.

الدراسة الخامسة: كتاب نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، عدد الأجزاء: ٢٢، وهذا الكتاب قسمه المؤلف بحسب السور فابتدأ بالفاتحة وانتهى بسورة الناس، ولم يقسمه إلى أبواب أو فصول، والكتاب تناول مناسبات الآيات في جميع القرآن وذكر الغرض الذي سبقت له السورة، وتحدث عن ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وفي هذا الكتاب ذكر المؤلف تناسب ترتيب السور بالتالي بعدها وعرج عن بعض الآيات وربطها بسابقتها ولاحقها، وأما بحثنا فتناولنا فيه شكلا آخر وهو التناسب بين القصص القرآني وبين السور التي وقعت فيها.

خطة البحث:

- وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:
- المبحث الأول: معنى المناسبة لغة، واصطلاحاً.
- المطلب الأول: المناسبة لغة.
- المطلب الثاني: المناسبة اصطلاحاً.
- المبحث الثاني: تناسب القصص القرآني في النص الأول من القرآن الكريم.
- المطلب الأول: قصة هاروت وماروت.
- المطلب الثاني: قصة القائد طالوت.
- المطلب الثالث: قصة هابيل وأخاه قابيل.
- المبحث الثالث: تناسب القصص القرآني في النصف الثاني من القرآن الكريم.
- المطلب الأول: قصة فتية الكهف وديقيانوس.
- المطلب الثاني: قصة المؤمن مع صاحب الجننتين.
- المطلب الثالث: قصة ذي القرنين.
- المطلب الرابع: قصة أصحاب القرية.
- المطلب الخامس: قصة مؤمن آل فرعون.
- المطلب السادس: قصة أصحاب الجنة.
- المطلب السابع: قصة أصحاب الأخدود.

المبحث الأول :

معنى المناسبة لغة، واصطلاحاً

في هذا المبحث سنتناول معنى علم المناسبات لغة واصطلاحاً، ونذكر المعاني له وهي كالآتي:

المطلب الأول:

المناسبة لغة

ذكر علماء اللغة في معاجمهم عدة معاني متنوعة لكلمة مناسبة، فقد قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: " النون، والسين، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب، وهو نسيب فلان، والنسيب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض" (١).

وقال صاحب لسان العرب: " وتقول: ليس بينهما مناسبة، أي: مشكلة" (٢).

المطلب الثاني:

المناسبة اصطلاحاً

ذكر القطان أن المناسبة في القرآن الكريم تعني: " بيان وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة" (٣). ويقول البقاعي في بيان تعريف المناسبة: "هي علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن" (٤). من خلال التعريفين الواردين يتضح جلياً أن علم مناسبة القصة القرآنية يتوافق توافقاً عجيباً مع المعنى العام للسورة، وهذا يعني أن القصة القرآنية ترتبط برباط من نوع ما مع المقاصد العامة للسورة التي وجدت فيها القصة، كما يربط النسب بين المتناسبين، غير أن

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة القاهرة (٥/ ٤٢٣، ٤٢٤).

(٢) ابن منظور، لسان العرب (١٤ / ١١٩).

(٣) القطان، مباحث في علوم القرآن ص ٩٧.

(٤) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/١).

ذلك لا يعني أن تكون هذه المقاطع القصصية متماثلة كل التماثل، بل هناك صلة وثيقة وروابط ما يربط بين القصة والسورة التي وجدت فيها، أو يمكن أن يكون بينهما تقارب، سواء توصل إليها العلماء أم لا، فقد تظهر في قصة، وتختفي في أخرى.

المبحث الثاني:

تناسب القصص القرآني في النص الأول من القرآن الكريم

قام الباحث في هذا المبحث بتناول القصص القرآني للمصلحين من غير الأنبياء وارتباطها مع سوره وقسمها إلى ثلاثة مطالب، حسب النصف الأول من القرآن الكريم، وهي كالتالي:

المطلب الأول:

قصة هاروت وماروت

وردت هذه القصة في سورة البقرة، وسميت هذه السورة بسورة البقرة في المروي عن النبي ﷺ، فقد ورد أن النبي ﷺ قال: "من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه"^(١).

ووجه تسميتها بسورة البقرة: "أنها ذكرت فيها قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية ووصف سوء فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به هذه السورة بذكره، وقد نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق وهي أول ما نزل في المدينة وحكى ابن حجر في شرح البخاري الاتفاق عليه، سورة البقرة نزلت في السنة الأولى من الهجرة في أواخرها أو في الثانية"^(٢).

أحداث القصة: كانت الشياطين تعين السحرة فتصعدُ إلى الفضاء من أجل الإتيان بالأخبار للكهنة والسحرة والمشعوذين، ثم يقوم الكهنة ببرمجتها بإدخال الكذب في أخبارهم وتدوينها في كتبهم حتى أصبحت من العلوم التي تدرس، ومع كثرة انتشارها في أوساط المجتمع ببابل ظن الناس أنّ الجن والشياطين تعلم الغيب، فانتشرت إشاعات قوية مفادها إنّ علم سليمان لم يكتمل إلا بعد ما ساندته الجن، فأرسل الله عز وجل الملكين العظيمين الصالحين

(١) البخاري، كتاب المغازي، (٨٤/٥)، حديث رقم (٤٠٠٨)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة (٥٥٤/١)، حديث رقم (٨٠٧).

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١/١٩٩).

هاروت وماروت يُعلِّمان الناس السحر، ليس من أجل ذات السحر ولكن من أجل كسر احتكار الكهنة لهذا العلم، ابتلاء من الله، والتمييز بين سحر الكهنة الكاذبين ومعجزة الأنبياء والمرسلين، فكان مهمتهم تعريف الناس بهذه العلوم حتى يسهل عليهم تمييز الكذب والحقيقة، وكان تعلم السحر بالخيار منذ البداية، فمن اختاره خسر دنياه وآخرته، ولم يأتي أحد إلى هاروت وماروت إلا نصحاه وقالوا له: إنّنا ابتلاء من الله عز وجل، وأنّ من أراد أن يتعلم السحر ويؤمن به كعقيدة ثابتة فهو كافر، ومن تعلّمه ولم يمارسه فتوفى، ثابتاً على الإيمان جزاه الله بصبره عن المعصية، وكان مما فيه التفريق بين الزوج وزوجته بإذن الله".

مناسبة قصة هاروت وماروت لسورة البقرة:

تضمنت هذه السورة كريمة القدر، غزيرة المعاني، مقاصد الإسلام الرئيسة ووكلياته الأساسية؛ فقد أتى في ثناياها الحجة البالغة على أن القرآن كتاب هداية وإرشاد، ومناسبة القصة لسورة البقرة، أن في قصة هاروت وماروت بياناً واضحاً لكشف حقيقة تشكيك اليهود للرسول عليهم السلام الذين هم من حمل وبلغ رسالة الله عز وجل لقوله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنٌ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَا كَنَّ الشَّيْطِينُ كَفَرُوا} [سورة البقرة: ١٠٢].

قال صاحب أنوار الذكر: "فالسورة (مدنية) وفي المدينة النبوية اليهود أشد الناس عداوة للإسلام، فكان من المقتضى العناية بدعوتهم خاصة إلى الإسلام، ودحض أباطيلهم، فدعاهم، وذكرهم بالنعمة، وطالبهم بالوفاء بالوعد، وفصل لهم ذلك الوعد وبين لهم نعم الله سبحانه وتعالى".^(١)

(١) محمود سعد، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة (١/١٣٢).

المطلب الثاني: قصة القائد طالوت

قصة القائد الرباني طالوت . عليه السلام . من القصص القرآنية العجيبة في حكايتها، والغزيرة في فوائدها وحكمها، فقد ذُكرت القصة في سورة البقرة من الآية ٢٤٦ حتى آية ٢٥٢، وأسلوب العرض القرآني للقصة تأخذ بقارئها وكأنه يعيش أحداثها.

أبرز أحداث القصة: طالوت . عليه السلام . كان فقيراً راعياً للحمير وقيل كان يرعى الغنم، فحينما جاء بني إسرائيل إلى فلسطين بعد نبي الله موسى عليه السلام، ظلوا سنوات طويلة بدون قائد يسوس أمور دنياهم، وكان فترة الفراغ الدستوري قرابة ٣٥٦ سنة، فكانت جماعة العمالقة العرب وأهل مدين وفلسطين والآراميون وغيرهم، دائماً ما يهجمون عليهم بين الفينة والأخرى، وفي يوم من الأيام حصل اشتباك كبير بين بني إسرائيل مع الفلسطينيين سكان (أشدود) وكانوا قرب غزة، فانتصر في تلك المعركة الفلسطينيون، وكان المنتصر يأخذ تابوت العهد دليلاً على انتصارهم وقوتهم، وهذا التابوت (الصندوق) كانت التوراة موجودة بداخله، فعزّ وشق على الإسرائيليين ذلك؛ لأن الصندوق مصدر إلهام لهم في النصر والغلبة على أعدائهم، وكان موجوداً في عهدة قاضي من قضاة بني إسرائيل وقيل نبي اسمه صمويل، فجاؤوا إليه وهم منكسرون صاغرون بسبب الهزائم المتكررة عليهم، وطلبوا منه اختيار ملك عليهم يحكمهم ويقود أمر جهادهم وحروبهم، فكان صمويل أعرف وأعلم بصفة التخاذل الموجودة لديهم، فلم يقتنع بأن يبذل جهده معهم، ولكنهم كانوا ملخّين عليه بحجة الجهاد وطردهم من أوطانهم، ففكر ملياً بمطلبهم، ثم اختار بأن يجعل على رأسهم طالوت، وكان يحمل من الصفات العظيمة ما تؤهله بقوة لقيادة قومه، فقد كان شاباً جميلاً عالماً وقوياً، فرشحه لهم لكن هنا أتى ما توقعه منهم النبي صمويل وهو اختلافهم عليه بسبب أنه ليس من سلالة الملوك وأبنائهم، وليس صاحب مال يؤهله لهذا المنصب حسب زعمهم، فحاول صمويل إقناعهم بكفاءة طالوت وجدارته للملك والسلطة، ورضا الله عنه، وقال لهم أن علامة رضى الله عنه هو عودة التابوت الذي أخذه منهم الفلسطينيون إليهم، وأن الملائكة تحمله من فوق رؤوسهم بدون احتراب، وتجعله في بيت طالوت تشريفاً وتكريماً له، فلما رأوا

هذا التقدير الإلهي لطالوت رضوا برئاسته على مفضض، فأول ما قام به طالوت هو تكوين جيش كبير قائم على الجندية والتضحية، لأنه سيواجه أعظم قوة في ذلك الزمن وهو جيش الفلسطينيين (العمالقة) بزعامة جالوت الجبار، فكانت الناس تتابه من شدة بطشه وسمعته السيئة، فاختار طالوت شباباً تفرّس فيهم القوة والتضحية من بني إسرائيل، ثم خرج بهم للقتال، وفي أثناء سيرهم إلى المعركة تجلّت حكمة القائد طالوت فأراد أن يختبر طاعتهم وقوة امتثالهم للأوامر، وفي أثناء الطريق وقد كاد التعب أن يلتهم عزائمهم وكان الجو حاراً فمروا بجانب نهر عذب بين فلسطين والأردن فهّم الجنود بالشرب منه، وقال لهم من لم يذق ولو مذقة واحدة من النهر فهو من جندنا، ومن شرب منه فليس منا، فشرّب أكثرهم منه، فتبين له عدم جاهزية الأكثرين لمجاهة جالوت وعساكره، فتابع الطريق بالقلة المؤمنة معه وتجاوز بهم النهر، ولكن حتى من هؤلاء القلة لما رأى هيئة جالوت وجنده قال بعضهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فرد عليهم الآخرون بأن كثيراً من الأحداث والمعارك غلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة لكن تحت مشيئة الله عز وجل، وكان من جند طالوت شاباً صغيراً غيّر الله عز وجل بشجاعته وإيمانه العميق مجريات المعركة يدعى داود بن يسى (بالياء والسين المشددة والألف المقصورة) وكان راعياً للغنم، فرأى جالوت يطلب المبارزة، والناس يهابونه، فذهب داود عليه السلام إلى طالوت يستأذنه بمبارزة جالوت أمير العمالقة، فظن به لحداثة أسنانه وحذره، لكن داود عليه السلام تقدم بعصاة وخمسة أحجار ماس في جعبته، ثم رماه داود بحجر، فأصاب جبهته فصرع، ثم تقدم منه وأخذ سيفه، وحزّ به رأسه، وهزم الفلسطينيون، فزوجه الملك ابنته، وجعله رئيس الجند، تكريماً لجهده وشجاعته".

مناسبة القصة لسورة البقرة:

وتفصيلها جاءت مناسبة مع الأهداف العامة لسورة البقرة؛ فالسورة تناولت موضوعي الجهاد والإنفاق في سبيل الله تعالى والحث عليه والقصة فيها كل ذلك، قال الإمام الفخر الرزي رحمه الله تعالى: "اعلم أن أصعب الأشياء على الإنسان بذل النفس في القتال، وبذل المال في الإنفاق فلما قدم الأمر بالقتال أعقبه بالأمر بالإنفاق، وأيضاً فيه وجه آخر، وهو أنه

تعالى أمر بالقتال فيما سبق بقوله: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [سورة البقرة: ٢٤٤] ، ثم أعقبه بقوله: {مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَصْعَافًا كَثِيرَةً} [سورة البقرة: ٢٤٥] ، والمقصود منه إنفاق المال في الجهاد، ثم إنه مرة ثانية أكد الأمر بالقتال وذكر فيه قصة طالوت، ثم أعقبه بالأمر بالإنفاق في الجهاد، وهو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤] ^(١).

ومن المناسبات للقصة أيضاً ووجودها في السورة جاءت من أجل تأكيد نبوءة ورسالة النبي ﷺ "بعد أن ذكر الله تعالى قصة طالوت ورجالوت وداود، وأعقبها بقوله: {تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [سورة البقرة: ٢٥٢].

ليقيم الدليل بمعرفة تلك القصص على أن مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المرسلين الذين أوحى إليهم الوحي المبين لأحوال الماضين" ^(٢).

وقال السامرائي تأكيداً لما أورده الشيخ الزحيلي آنفاً: "عندما ذكر قصة طالوت ورجالوت وذكر قسماً من الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: {تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ نَتَلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [سورة البقرة: ٢٥٢]، يعني أراد أن يخبر أن هذا دليل على إثبات نبوته -ﷺ- بإخباره عما لم يعلم من أخبار الماضي، قصة لم يعلمها لا هو ولا قومه فأجرها على لسانه" ^(٣).

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (٦/٥).

(٢) الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة (٦/٣).

(٣) السامرائي، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم ص ٥٦.

المطلب الثالث:

قصة هايبل وأخاه قابيل

وردت القصة في سورة المائدة وهي من سور القرآن الكريم المكية، ذكر الله عز وجل فيها موضع واحد من قصص المصلحين وهي قصة هايبل وقابيل لخصها الله عز وجل في خمس آيات، وهي من الآية السابعة والعشرين إلى الآية واحد وثلاثين.

وذكر فيها قصة ابني آدم عليه السلام بسبب أن تقدم نموذجاً لطبيعة النفس الشريرة والعدوانية، وهو نموذجاً من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له، وترسم به أول جريمة منكرة ارتكبتها البشر على وجه الأرض، ونموذجاً آخر من النفس البشرية الطيبة الهادئة، فالقصة من القصص القرآني التي يعرفها الكثير، وهما اسمان مشهوران للصغير والكبير، وقصتهم معبرة ومثيرة ومشوقة كثيراً، قصها علينا القرآن الكريم قصة ابني آدم عليه السلام، تلك القصة التي جرت وقائعها مع بداية الوجود الإنساني على وجه هذه المعمورة، والتي انتهت أحداثها المؤسفة بقتل الأخ لأخيه، حسداً وظلماً وعدواناً.

أحداث القصة: كانت أمنا حواء . عليها السلام . تلد في كل بطن غلاماً وجارية معاً، وذات يوم من أيام حياتها أتى إليها مخاض الولادة مسبوقةً بمنغصات ألمه، فزرقتها الله جل وعلا توؤماً بطناً هايبل وأخته، وولدت بطناً أخرى قابيل وأخته، فسعدت أمنا حواء عليها السلام وأبونا آدم بأولادهما، ومع مرور الزمن ولما كبر الأولاد، نزل أمر إلهي على أينا آدم . عليه السلام . بأن يزوج أخت هايبل من قابيل، وأخت قابيل من هايبل ففعل أبو البشر ما أمره الله عز وجل، فلم يرض قابيل بهذه القسمة؛ لأنها كانت أحسن جمالاً من أخت هايبل، فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً، فكل من يقبل قربانه فهو أولى بتلك الأخت، وكان هايبل صاحب غنم، وقابيل صاحب زرع، فعمد هايبل إلى كبش من أحسن غنمه، وعمد قابيل إلى

أخبث زرعه، ووضعاه موضعاً، فجاءت النار، وأكلت قربان هايل، وكان ذلك علامة القبول يومئذ، ولم تأكل قربان قابيل " (١).

مناسبة قصة هايل وقابيل لسورة المائدة: تداخل مفاهيمها مع أحكامها الفقهية العامة مما يواجه بها الإسلام الجرائم والاعتداء وغيرها من الأحكام، فقد "تبدو القصة وإيجاءاتها ملتحمة التحاماً قوياً مع الأحكام التالية لها في السياق القرآني، ويجس القارئ المتأمل للسياق بوظيفة هذه القصة في موضعها وبعمق الإيجاء الإقناعي الذي تسكبه في النفس وترسبه والاستعداد الذي تنشئه في القلب والعقل لتلقي الأحكام المشددة التي يواجه بها الإسلام جرائم الاعتداء على النفس والحياة والاعتداء على النظام العام والاعتداء على المال والملكية الفردية في ظل المجتمع الإسلامي القائم على منهج الله " (٢).

والمناسبة الأخرى هي بيان كون الحسد الذي هو الصارف الحقيقي لليهود عن الإيمان بنبوته محمد ﷺ، يقول الإمام محمد رشيد رضا: "مناسبة هذه الآيات للسياق في جملته أنها بيان لكون الحسد الذي صرف اليهود عن الإيمان بالنبى ﷺ وحملهم على عداوته عريقتا في الآدميين وأثراً من آثار أساليب هايل والاستفادة منها كخصم لقابيل سلفهم، كان لهؤلاء القوم منه النصيب الأوفر، ويتضمن تسليية النبي ﷺ والمؤمنين وإزالة استغرابهم إعراض هذا الشعب عن الإسلام على وضوح برهانه وكثرة آياته، وأما مناسبتها لما قبلها وما بعدها مباشرة؛ فهو بيان حكمة الله في شرع القتال والقود على ما شدد فيه من تحريم قتل النفس، ذلك أنه لما كان القتال بين الأمم وقتل الحكومات للأفراد، أو تعذيبهم بقطع الأطراف، كل ذلك قبيحاً في نفسه، فجاءت هذه القصة في هذا المقام، تبين لنا أن اعتداء بعض البشر على بعض - حتى بالقتل - هو أصيل فيهم". (٣).

(١) السمعاني، تفسير القرآن العظيم (٢/٢٩).

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن (٢/١٧٢).

(٣) رضا، تفسير المنار (٦/٢٨٠).

ومن المناسبات أيضاً لهذه القصة: تذكير المجتمع المسلم وربطه بتاريخ خذلان اليهود لأنبيائه وتمردهم عليهم، وهذا حاصل في كل زمان ومكان قال صاحب تفسير البحر المحيط: "مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر تمرّد بني إسرائيل وعصيانهم، أمر الله تعالى في النهوض لقتال الجبارين، ذكر قصة ابني آدم وعصيان قاييل أمر الله، وأنهم اقتفوا في العصيان أول عاص لله تعالى، وانتهى قاييل إلى طرف نقيض منهم من الجسارة والعتوّ وقوة النفس وعدم المبالاة بأن أقدم على أعظم الأمور وأكبر المعاصي بعد الشرك وهو قتل النفس التي حرم الله قتلها، بحيث كان أول من سنّ القتل، وكان عليه وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة، فاشتبهت القصتان من حيث الجبن عن القتل والإقدام عليه".^(١)

يقول الطاهر بن عاشور رحمه تعالى: "والمناسبة بينها وبين القصة التي قبلها مناسبة تماثل ومناسبة تضاد، فأما التماثل فإن في كليهما عدم الرضا بما حكم الله تعالى: فإن بني إسرائيل عصوا أمر رسولهم إياهم بالدخول إلى الأرض المقدسة، وأحد ابني آدم عصى حكم الله تعالى بعدم قبول قربانه لأنه لم يكن من المتقين، وفي كليهما جرأة على الله بعد المعصية؛ فبنو إسرائيل قالوا: { إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَلِّتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ } [سورة المائدة: ٢٤]، وابن آدم قال: "لأقتلن الذي تقبل الله منه" وأما التضاد فإن في إحدهما إقداماً مذموماً من ابن آدم، وإحجاماً مذموماً من بني إسرائيل، وإن في إحدهما اتفاق أخوين هما موسى وأخوه على امتثال أمر الله تعالى، وفي الأخرى اختلاف أخوين بالصلاح والفساد".^(٢)

(١) أبوحيان، تفسير البحر المحيط (٤/٢٢٤).

(٢) ابن عاشور، مرجع السابق (٥/٨١).

المبحث الثالث:

تناسب القصص القرآني في النصف الثاني من القرآن الكريم

في هذا المبحث قام الباحث بتناول القصص القرآني للمصلحين من غير الأنبياء وارتباطها مع سوره وقسمها إلى سبعة مطالب، حسب النصف الثاني من القرآن الكريم، وهي كالتالي:

المطلب الأول:

قصة فتية الكهف وديقيانوس

وردت القصة في سورة الكهف وهي من سور القرآن الكريم المكيّة، وأتى ترتيبها الثامن عشر من بين ترتيب سور القرآن الكريم، وعدد آياتها مئة وإحدى عشرة آية، وهي إحدى السور الخمس التي تبدأ بحمد الله تعالى، وهن الكهف، والفاحة، والأنعام، وسبأ، وفاطر، وقد وردت عدّة أحاديث في فضل هذه السورة العظيمة، وفضل قراءتها في يوم الجمعة، وورد فيها قصص من التاريخ القرآني للأفراد والأمم والجماعات التي جاءت فيها أحداث عظام لها أثرها ودورها البالغ في تغيير دفة الحياة وتاريخ أمتنا الذي يزخر بالأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ.

أحداث القصة: ذكر القرآن الكريم لنا قصة فتية الكهف فقد كانوا شباباً في أزهى زهور أعمارهم، وقد عاشوا تحت وطأة ظلم طاغية مستبد يدعى ديقيانوس، ووقد رزق الفتية رجاحة عقل واستواء فطنة، تجعلهم يميزون بما بين الحق والباطل؛ فلما رأوا قومهم يسبحون على ضفاف مستنقعات الكفر والانحلال، ورأوا حاكمهم ديقيانوس يبطش بكل من يخالف معتقداته، اجتمعوا ورأوا الفرار بدينهم أولى لهم من الجلوس في كنف الحاكم وحاشيته، لأنهم كانوا من المقربين ومن مجلس مستشاريه، فتركوا بيوتهم المريحة وذهبوا ليستقروا في كهفٍ مُظلمٍ، وصار ملاذهم ومأمنهم ليعبدوا الله فيه، وكانوا يتقلّبون في نومهم؛ حتى لا تهترئ أجسادهم، وقذف الله عليهم وعلى هيئتهم الوقار والخوف حتى لا يقترب إليهم أحد، وكان لديهم كلب نائم عند بوابة الكهف يجرسهم، فظلوا نائمين على هذه الهيئة ثلاثمئة سنة وزادهم تسعاً، ثم

استيقظ الفتية بعد كلّ هذه المدة، فنظر بعضهم إلى بعض وقال أحدهم لبثنا يوماً أو بعض يوم، فقال أحدهم فليذهب أحدنا خلسةً إلى المدينة وليحضر لنا أذكى الطعام، فجمعوا ما لهم وطلبوا منه أن يتوحّى الحذر كي لا يمسكه الإمبراطور الظالم أو أيّ أحدٍ من أعوانه؛ فيجبرهم على العودة إلى دين الكفر، أو أن يرجمهم حتّى الموت، ذهب أحدهم إلى المدينة ورأى فيها من التّعيرات ما رأى، فقد تغيّرت الوجوه والأماكن وأسلم أهل القرية طوال فترة مبيتهم، وأحسن أهل المدينة بالشخص الغريب الذي دخل عليهم من لباسه، ومن دهشة وجهه، ومن التّقود التي كان يحملها، وعرفوا على الفور من يكون، وفرحوا به كثيراً؛ فقد كان من بين أوائل المسلمين في تلك المدينة، وهذا دليلٌ واقعيٌّ على قدرة الله تعالى على الإحياء، وبعد أن ثبتت معجزة إحياء الموتى قبض الله روح هؤلاء الفتية.

مناسبة القصة لسورة الكهف: المناسبة هنا في هذا المقطع هو ورود هذه القصة في

السورة العظيمة للفت نظر عقل المسلم إلى عجائب قدرة الله عز وجل التي ليس لها نظير، فكما أن الله عز وجل خلق المخلوقات متنوعة الأصناف فإنه سبحانه قادر على إحياء الأموات، كما في قصة فتية الكهف قال د. وهبة الزحيلي "بعد أن ذكر الله تعالى أنه جعل الزينة على ظهر الأرض، وفي ذلك من العجائب والإبداع ما يفوق القصص وغرائبها، أبان أن قصة أهل الكهف ليست بالعجب وحدها من بين آياتنا، وأنها أقلّ عجيباً من تزيين الأرض بالنبات، والحيوان والبشر، والشجر والأنهار وغير ذلك" (١).

ويقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: "هذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم بيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب، بأنهم سألوا عن عجيب وكفروا بما هو أعجب، وهو انقراض العالم، فإنهم كانوا يعرضون عن ذكر فناء العالم ويقولون: { مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا

(١) الزحيلي، مرجع السابق (٢١٥/١٥).

{ يَظُنُّونَ } [سورة الجاثية: ٢٤]، أي: إن الحياة إلا حياتنا الدنيا لا حياة الآخرة وأن الدهر يهلكنا وهو باق، وفيه لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولي لهم الاتعاض بما فيها من العبر والأسباب وآثارها".^(١).

المطلب الثاني:

قصة المؤمن مع صاحب الجنتين

هي من أكثر القصص التي اشتملت على قيم ومفاهيم الشكر أو الكفر بالنعمة التي أنعم بها الله عز وجل على عباده، التي ورد ذكرها في سورة الكهف، وقد قدمها الله عز وجل لنا في كتابه الكريم مثلاً للعظة والعبرة، وهي عنوان بارز في الجانب الاقتصادي، وضرب لنا هذا المثل ليبيّن عاقبة من غرته الحياة الدنيا وآثرها على آخرته؛ فأعماه ماله وجاهه وسلطانه، ولم يستجب لنصح المصلحين الناصحين، ولا تعظ بأحداث من خلفه من السابقين.

أحداث القصة: لقد منح الله عز وجل أحد الرجال مالاً وفيراً وأرضاً شاسعة مليئة بالخيرات والثمار، وكان لهذا الأب ولدان، فقد كان الأول يحب الفقراء ويساعدهم، أما الثاني فكان متكبراً، كبر وشب الولدان وهما إلى جانب أبيهما يساعده في الزراعة وجني الثمار، أصيب الأب بالمرض ثم مات تاركاً لهما كل ما جناه في حياته من ثروات وأموال وأملاك كثيرة، وبعد الوفاة اختلف الأخوان، فاستمر الأخ الطيب والمصلح في إنفاق أمواله علي الفقراء والمساكين حتى لم يتبق له من أموال سوى ما يسد حاجته وحاجات أهل بيته، أما أخوه فقد كان مسرفاً في حب المال، ومنع الفقراء والمحتاجين من حقهم، وفي يوم من الأيام أراد هذا الاخ الطماع أن يسخر من أخيه الصالح فأخذه ودعاه إلى بستانه الواسع الجميل وأخذ يردد في تكبر إن هذه الجنة لن تهلك أبداً مهما حدث، عندما سمع أخوه المؤمن كلامه نصحه وذكره وقال أن الله عز وجل قادر على كل شيء، فإذا كنت كافراً بالله فإنني مؤمن

(١) ابن عاشور، مرجع السابق (١٥ / ١٩).

موحد؛ ولأنك كفرت بنعمة الله، ولم تشكرها، فالله قادر على أن يذهب ماء جنتك، ويجعله غائراً في الأرض فتفنى جنتك وبستانك الذي تتفاخر به، ولكن الأخ المتكبر أسرف في البخل وازدراء نعمة الله عز وجل، حتى أراد الله عز وجل أن يصيب كل هذه الثمار والبساتين بالهلاك فلم يسلم منها شيء، فأصابه الندم والحسرة الشديدة وتذكر نصح أخيه، وقال والحسرة تملأ قلبه يا ليتني لم أشرك بربي أحداً، ولم تكن له ففة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً.

مناسبة قصة الرجل المؤمن لسورة الكهف: هذه الآيات التي ورد فيها ذكر صاحب

الجنيتين مناسبة للسورة والآيات السابقة، وهي استكمالاً وتعزيزاً للتنديد بطبقة الأغنياء المترفين الذين أوقعهم غرورهم بنعم الله في الهلاك؛ قال د. دروزة في تفسيره " لقد نددت الآيات السابقة بطبقة الزعماء والوجهاء التي كانت تتبجح بمركزها ومالها وقوتها وتحتقر فقراء المسلمين فجاءت هذه الآيات تسرد حادثاً واقعاً معروفاً لهم لتدعم به ما جاء في الآيات السابقة من تقرير كون الفضل وأحسن العاقبة للإيمان والعمل الصالح وأن اعتداد الكفار بمالهم وقوتهم لن يغني عنهم من الله شيئاً ثم تبث الطمأنينة والأمل في قلوب فقراء المؤمنين، ووضح أن المثل وتلقينه وما فيه من معالجة روحية مستمر المدى بالنسبة لكل موقف مماثل بين كافر ومؤمن" (١).

والحكمة المستفادة من التناسب القصصي في القرآن الكريم وفي هذا الموضوع بوجه الخصوص لضرب العديد من الأمثلة التاريخية لتثبيت المصلحين والتسلية لقلوبهم " فيضرب القرآن الكريم أمثالاً واقعية ذات تأثير بالغ، وفيها العبر العظيمة؛ والقصد من وراء إيرادها تثبيت قلب المؤمن، وتقوية صلته وعلاقته بالله، ونزع الكفر وحُبثه من قلوب العباد، فقد ورد في القرآن الكريم قصة رجل جمع عن دعوة الحق، وآثر الضلالة والكفر على الهدى والإيمان، وكان له جنتان، وهما بستانان عظيمان، فافئتن بجهنم، وأنكر البعث والآخرة" (٢).

(١) دروزة، التفسير الحديث (٦٨/٥).

(٢) الزحيلي، مرجع السابق (١٤٢٣/٢).

المطلب الثالث:

قصة ذي القرنين

هي قصة أعظم قائد جاب الدنيا شرقها وغربها ناشراً فيها العدل ومقيماً للخير بين الناس وناصرراً لكل من له مظلمة عند أي ظالم، سنتناول حكاية القائد ذي القرنين، الذي لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن كان عبداً أحب الله وأحبه الله عز وجل فأحبه الناس جميعاً، لقد كان ناصحاً لله فناصرحه الله عز وجل، وقد كان العلماء " اختلفوا في اسمه، فقيل: أنّ اسمه (مرزبان بن مرزبة اليوناني) من ولد يونان بن يافث بن نوح، وقيل: اسمه (١). (الإسكندر بن فيلفوس بن ياملوس الرومي)".

أحداث القصة: إن الله تعالى مكّن لذي القرنين، وآتاه ملكاً عظيماً بلغ المشرق والمغرب، وسار في بلاد المغرب العربي، فوجد الشمس تغرب في عين ذات حمأة أي طين أسود، ووجد عندها قوما كفارا وأمة عظيمة من الأمم، فقال الله له بالإلهام: أنت مخير بين أمرين: إما أن تعذب هؤلاء بالقتل إن أصروا على الكفر، وإما أن تحسن إليهم وتصبر عليهم، بدعوتهم إلى الحق والهداية الربانية، قال ذو القرنين لبعض حاشيته: أما من ظلم نفسه بالإصرار على الشرك، فسنعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه في الآخرة، فيعذبه عذاباً منكرًا شديداً، وأما من آمن بالله ربا واحدا لا شريك له، وعمل العمل الصالح الذي يقتضيه الإيمان، فله الجزاء الحسن وهو الجنة، وسنطلب منه أمراً ذا يسر وسهولة، ليرغب في دين الله والتزام أوامره، ثم سلك طريقاً آخر، متجهاً إلى المشرق، حتى إذا وصل لمكان شروق الشمس من المعمورة، وجد الشمس تطلع على قوم حفاة عراة، لا شيء يستترهم من حر الشمس، ولم يجد عندهم بيوتاً، ثم اتجه إلى الشمال، فاستنجد به أقوام الشمال من فساد يأجوج ومأجوج؛ فقالوا له: هل توافق على أن نعطيك جعلاً من المال، على أن تقيم بيننا وبين

(١) البغوي، معالم التنزيل (١٧٥/٥).

هؤلاء المفسدين حاجزاً منيعاً يمنعهم من الوصول إلينا؟ وافق ذي القرنين بشرط أن يعينوه بقوة الأبدان، وبعمل الأيدي، وقطع الحديد، حتى إذا حاذى بالبنيان رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً، قال للعمال المساعدين: انفخوا بالكبير على هذه القطع الحديدية، حتى اشتعلت النار المتوهجة، ثم صبّ النحاس المذاب على الحديد المحمى والحجارة، فصار كله كتلة متلاصقة وجبلاً صلداً، وانسدت فجوات الحديد. فما قدر يأجوج ومأجوج أن يصعدوا فوق السد، لارتفاعه وملاسته، وما استطاعوا نقيه من الأسفل، لصلابته وشدته، وأراح الله منهم القبائل المجاورة، من فسادهم، وقال ذو القرنين إن هذا السد نعمة، وأثر من آثار رحمة ربي بهؤلاء القوم الضعفاء، فإذا حان أجل ربي وميعاده بخروجهم من وراء السدّ، جعله ربي مذكوكاً منهدماً، مستويا ملصقا بالأرض، وكان وعد ربي بخرابه، وخروج يأجوج ومأجوج، وبكل ما وعد به حقاً ثابتاً لا يتخلف، كائناً لا محالة".

مناسبة القصة لسورة الكهف: لما فُرج من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم، أعقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد، وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر، ومناسبة قصة ذي القرنين للسورة، لأن الله افتتح هذه القصة بـ **يَسْأَلُونَكَ** يدل على أنها مما نزلت السورة للجواب عنه كما كان الابتداء بقصة أصحاب الكهف اقتضاباً تنبيهاً على مثل ذلك". (١).

وقال الإمام البقاعي رحمه الله تعالى: "إن المناسبات الصورية في قصة كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لا سقف له، وإنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسدين وصدّرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب واللطائف، والأسرار والمعارف، تبيكيتاً لليهود في إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم الحق، وإن لم يكن مقصوداً لهم كانوا بالتبيكيت أجدر، أو تكون معطوفة على

(١) ابن عاشور، مرجع السابق (١٥/١٢١).

مسألتهم الأولى وهي الروح، وصدرها بالإخبار بالسؤال تبييناً على ذلك لطول الفصل، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك".^(١).

المطلب الرابع:

قصة أصحاب القرية

فقد وردت هذه القصة في سورة يس ومعلوم أنّ سورة يس سورة مكية، عدد آياتها ثلاث وثمانون آية كوفية، وسميت هذه السورة بسورة يس بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف؛ لأنها انفردت بها فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما علماً عليها، وكذلك ورد اسمها في أحاديث النبي ﷺ، فقد روى أبو داود عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: "اقرأوا يس على موتاكم"^(٢)، ودعاها بعض السلف "بقلب القرآن" لوصفها في قول النبي ﷺ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: "إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس"^(٣).

أحداث القصة: بعث عيسى رجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يوصلا إلى ملكها، وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على إثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكرا، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك، قال: فإن رأى

(١) البقاعي، مرجع السابق (٤٠٠/٥).

(٢) أبو داود، كتاب الجنائز، باب القراءة عند الميت، (٤٧٤/٢) رقم الحديث (٢٧٦)، وقال الألباني حديث ضعيف، السلسلة الضعيفة.

(٣) الترمذي، باب فضائل الأعمال، (١٦٢/٥) رقم الحديث (٢٨٨٧) وقال حديث غريب.

الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: وما آيتكما؟ قالا ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زال يدعوهم ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من الطين، فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت إلهك حتى يصنع صنعةً مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك، فقال الملك: ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً، ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكم الذي تعبدانه على إحياء ميت آمننا به وبكما، قالا إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن هاهنا ميتا مات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا آخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائبا فجاؤوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلنا يدعوهم ربهما علانية، وجعل شمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت، وقال: إني قدمت منذ سبعة أيام مشركاً فأدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت لي أبواب السماء فنظرت فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره بالحال، ودعاه فآمن الملك وآمن قوم، وكفر آخرون، وقال ابن إسحاق ابن وهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين".^(١)

مناسبة قصة المرسلين لسورة يس: إن مناسبة هذه القصة بسورة ياسين أتت لتخويف مشركي قريش من مصير القرية المكذبة إن استمروا على كفرهم، قال الزحيلي رحمه الله: "في سورة يس ضرب الله مثلا لحال قريش الذين أصروا على الكفر، بحال أهل قرية كذبوا الرسل،

(١) البغوي، معالم التنزيل (١٠/٧).

فدمرهم الله بصيحة واحدة والقرية، فإذا استمر مشركو قريش على عنادهم، كان إهلاكهم يسيراً كأهل هذه القرية".^(١).

وقال سيد قطب رحمه الله: "قد تسوق قصة أصحاب القرية، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة وتعرض هذه العاقبة في القصة على طريقة القرآن في استخدام القصص لتدعيم قضاياه، وبعد عرض قضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والحساب، في هذه الصورة التقريرية، يعود السياق ليعرضهما في صورة قصصية، تلمس القلب بما كان من مواقف التكذيب والإيمان وعواقبهما".^(٢).

المطلب الخامس:

قصة مؤمن آل فرعون

قد وردت القصة في سورة غافر وهي تسمى أيضاً بسورة المؤمن والطول، وهي مكية كلها في قول أكثر القراء، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: هي مكية إلا آيتين منها هما قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ} [سورة غافر: ٥٦] والتي بعدها، وهي خمس وثمانون آية. تدور آياتها حول مناقشة المجادلين في آيات الله المشتملة على التوحيد وإثبات البعث والرسالة، ويتطرق الكلام إلى وصف حال المشركين والمجادلين يوم القيامة، ثم ذكر قصة فرعون وهامان وقارون للمشركين، وفي خلال ذلك سيقت آيات تثبت وصف الله بكل كمال وتنزيهه عن كل نقص".^(٣). وسميت سورة غافر باسم سورة المؤمن لجلالة أساليبه التي واجه بها فرعون ومستشاريه، حينما أرادوا البطش بنبي الله موسى عليه السلام.

أحداث القصة: وهو شخص آمنَ بدعوة سيدنا موسى عليه السلام، ولكنه كتمَ إيمانه ولم يُظهره للناس؛ لكون فرعون جباراً طاغياً، فعزم فرعون على قتل سيدنا موسى رضي الله عنه.

(١) الزحيلي، مرجع السابق (٣/٢١٤٦).

(٢) سيد، مرجع السابق (٥/٢٩٥٦).

(٣) حجازي، التفسير الواضح (٣/٢٨٨).

فِرْعَوْنَ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ } [سورة غافر: ٢٦]، قال لهم الرجل المؤمن مخاطباً لعقولهم لدفع الضر عن موسى عليه السلام، إن كان موسى كاذباً فإن كذبه هذا سيرتد عليه فلا تحتاجون لقتله، وإن كان صادقاً فستصيبكم عاقبة قتلكم إياه من بعض ما أنذركم به، وهذا دليل على ذكاء الرجل وفطنته، ثم قال لهم كلاماً موهماً أيضاً لا يمكنهم رفضه ولا يدُلُّ على حقيقة موقفه؛ فقال: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ } [سورة غافر: ٢٨]، وهذا القول قد يُفهم أنه يقصد به تطمينهم إلى أن موسى لن يُفلح في دعوته إن كان كاذباً؛ لأن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب، وفي ذات الوقت حين يتدبرون فيه سيجدون هذا الكلام منطوقاً عليهم، فالله لن يهديهم لما يريدون؛ لأنهم مسرفون في الظلم والجور، وواصل تحذيره لهم قائلاً: { يَلْقَوْنَ لَكُمْ أَلْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا } [سورة غافر: ٢٩]، وبعد هذا التدرج في تخذيل قوم فرعون عن القيام بهذه الجريمة؛ يأخذ الأمر بعدها منحىً جديداً يكون فيه هذا المؤمن أكثر قوة وإظهاراً لاعتقاده؛ فقال لهم وحذرهم من مصير الأمم السابقة، ثم ذكرهم بيوم القيامة، ثم انتقل بعد ذلك هذا المؤمن إلى دعوتهم مباشرة إلى الإيمان بعد أن مهّد لهم بالتشكيك ثم بالتحذير؛ فطلب منهم اتباعه في إيمانه بدعوة سيدنا موسى؛ لأنها هي سبيل الرشاد، وليس ما يهديهم إليه فرعون، وأن هذا المُلْك الذي بين أيديهم إنما هو من المتع الزائلة، أما الإيمان بالله فهو الذي سيوصلهم إلى المتع الدائمة في جنات رب العالمين، الذي يُضاعف أعمال الصالحين ويرزقهم بغير حساب، ثم فَوَّضَ أمره إلى الله، وذلك في المرافعة التي ألقاها هذا الرجل المؤمن على قوم فرعون. (١).

(١) انظر: الشوكاني، فتح القدير (٤/ ٥٥٩). والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣٠٦) والألوسي، روح المعاني، (٣١٠/١٢).

مناسبة القصة لسورة غافر: جاءت المناسبة لهذا المقطع القصصي لمؤمن آل فرعون،" بأن هذه التعليقات ما جاء في كثير من التقريرات القرآنية المباشرة التي مرّت أمثلة منها في السور السابقة تماثل كذلك، وواضح أن هذا التماثل مما يبرز قصد القصة الوعظي والتذكيري والتمثيلي"^(١).

المطلب السادس:

قصة أصحاب الجنة

أتت القصة في سورة القلم، وسورة القلم تعتبر من أوائل السور القرآنية، التي نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعدد آياتها اثنتان وخمسون آية، والمحققون على أنها من السور المكية، فلقد منّ الله على الناس جميعا بنعم لا تعد ولا تحصى، ومن الناس: أهل مكة، حيث كانت لهم تجارات واسعة وبعض المزروعات، وكانت لهم رحلتان صيفا وشتاء. وأصحاب الجنة أسرة كانت لهم بستان باليمن في منطقة يقال لها القيروان دون صنعاء بفرسخين، يطأه أهل الطريق، وكان غرسه قوم من أهل الصلاة، وكانت لرجل فمات فورته بنين له"^(٢)، "وعلى الروايات كلها نعلم أن أهل هذه الجنة لم يكونوا كفاراً، فوجه الشبه بينهم وبين المشركين المضروب لهم هذا المثل هو بطل النعمة والاعتزاز بالقوة"^(٣).

أحداث القصة: كانت بلدة يقال له: (ضروان) من بلاد اليمن بقرب صنعاء، وكانت جنة عظيمة غرسها رجل من المصلحين من محبي الخير وكان من أهل الكتاب، وكان يدخل معه المساكين ليأخذوا من ثمرها، وكان له ثلاثة بنين، فلما توفي صاحب الجنة صارت لأولاده وكانوا بخلاء، فتمالؤوا على حرمان المساكين، وقالوا: لنغدون إلى الجنة في وقت من الليل قبل ظهور الصباح وأقسموا أيماناً على ذلك، ولعلمهم أقسموا ليلزموا أنفسهم بتنفيذ ما تداعوا إليه.

(١) دروزه، مرجع السابق (٤/٣٦٨).

(٢) التعلبي، الكشف والبيان (١٠/١٦).

(٣) ابن عاشور، مرجع السابق (١/٢٨٩).

وهذا يقتضي أن بعضهم كان مترددا في موافقتهم على ما عزموا عليه وأهم أجموه بالقسم وهذا الذي يلتئم مع قوله تعالى ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [سورة القلم: ٢٨]، قيل كان يقول لهم اتقوا الله واعدلوا عن خبث نيتكم من منع المساكين، وذكرهم انتقام الله من المجرمين، أي فغلبوه ومضوا إلى ما عزموا عليه، ولعلمهم أقسموا على أن يفعلوا وأقسموا عليه أن يفعل معهم ذلك فأقسم معهم أو وافقهم على ما أقسموا عليه، ولهذا الاعتبار أسند القسم إلى جميع أصحاب الجنة. فلما جاءوا جنتهم وجدوها مسودة قد أصابها ما يشبه الاحتراق فلما رأوها بتلك الحالة علموا أن ذلك أصابهم دون غيرهم لعزمهم على قطع ما كان ينتفع به الضعفاء من قومهم وأتابوا إلى الله رجاء أن يعطيهم خيرا منها".

مناسبة القصة لسورة القلم: فقد جاء التناسب بين مقطع القصة والذي قبله هو

الاختلاف بين الأب صاحب الجنة، الذي لم يغرر ماله ولا ثروته عن إخراج حق الله عز وجل، وبين ثري قريش الوليد بن المغيرة، لكنه اجتمع مع أولاد صاحب الجنة في الجحود وكفران النعم، "بعد أن ذكر الله تعالى عن الوليد بن المغيرة أو غيره أنه لأجل كونه ذا مال وبنين، جحد وكفر وعصى وتمرد، بطريق الاستفهام على سبيل الإنكار، بيّن في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان، ليعرف هل يصرفه في طاعة الله ويشكر نعم الله، فيزيده من النعمة، أم يكفر بها فيقطعها عنه، ويصب عليه أنواع البلاء والآفات؟ ومثله في هذا ومثل أهل مكة كمثل أصحاب الجنة ذات الثمار، كلّفوا أن يشكروا النعم ويعطوا الفقراء حقوقهم، فلما جحدوا النعمة وحرّموا المساكين، حرّمهم الله الثمار كلها" (١).

(١) الزحيلي، مرجع السابق (٢٩ / ٥٦).

المطلب السابع:

قصة أصحاب الأخدود

أتت القصة في ثنايا سورة البروج وهي سورة مكية، وعدد آياتها اثنان وعشرون آية وورد في فضلها عن أبي هريرة: (أن رسول الله ﷺ - كان يقرأ في العشاء الآخرة: بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق) (١)، وفي السورة حملة الكفار من أجل اضطهادهم ضعاف المؤمنين والمؤمنات وفتنتهم إيهم عن الإسلام، وإشارة إلى الحادثة المماثلة، وزرع الثقة في قلوب المؤمنين وتذكيرهم بما آل إليه البغاة والعتاة كفرعون وثمود، وتنويه بقدر القرآن وحفظه وآياتها متصلة ببعضها نظماً وموضوعاً.

أحداث القصة: قال رسول الله ﷺ: "كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر، فلما كبر قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً، وكان في طريقه إذا سلك إليه راهب، فقعده إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب، وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه، وإذا رجع من عند الساحر قعد إلى الراهب وسمع كلامه فإذا أتى أهله ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا جئت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا جئت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الراهب أفضل أم الساحر؟ فأخذ حجراً ثم قال اللهم: إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، فمضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى فإن ابتليت فاصبر فلا تدلّ عليّ، فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك وكان قد عمي، فأتاه بمدايا كثيرة، فقال: ما هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي

(١) أحمد، في المسند، (٣٢٦/٢)، حديث رقم (٢٠٦١٠)، علق عليه شعيب الأرنؤوط وقال: إسناده ضعيف.

أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله لك فشفاك، فأمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي عز وجل، قال أو لك ربٌ غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ به الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل، قال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقييل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقييل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقييل له: ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور إلى لجة بحر كذا فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه في البحر فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا فجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك، قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصليني على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس وقل: بسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته ثم وضع السهم في كبد قوسه، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه، فوضع يده على صدغه في موضع السهم، فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام ثلاثًا فأتى الملك، فقييل له: رأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرُك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخذت وأضرم بها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل

له اقتحم، قال: ففعلوا حتى جاءت امرأة معها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق" (١).

مناسبة القصة لسورة البروج: مناسبتها لما قبلها أن الهدف العام للسورة يتناسب مع موضوع وغرض القصة، بحيث "ضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة؛ بأنهم مثل قوم فتنوا فريقاً ممن آمن بالله فجعلوا أخطوياً من نار لتعذيبهم؛ ليكون المثل تثبيتاً للمسلمين وتصبيراً لهم على أذى المشركين وتذكيرهم بما جرى على سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب، وإشعار المسلمين بأن قوة الله عظيمة فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم، ويلقى التعريض للمسلمين بكرامتهم عند الله تعالى" (٢).

ويضيف الرازي مناسبة أخرى فيقول: "أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأعداء، وذلك لأن السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان حتى يقتلوا بهم ويصبروا على أذى قومهم، ويعلموا أن كفار مكة عند الله بمنزلة أولئك الذين كانوا في الأمم السالفة يحرقون أهل الإيمان بالنار، وأحقاء بأن يقال فيهم: قتلت قريش كما: قتل أصحاب الأعداء" (٣).

(١) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأعداء، (٤/٢٢٩٩)، رقم الحديث (٣٠٠٥).

(٢) ابن عاشور، مرجع السابق (٣٠/٢١٢).

(٣) الرازي، مرجع السابق (٣١/١٠٩).

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

أولاً النتائج:

١. تتناسب القصة القرآنية مع المقاصد العامة للسورة التي وجدت فيها القصة، وترتبط بها ارتباطاً وثيقاً من خلال الأحداث التي دارت حولها والأهداف التي سعت لتحقيقها.
٢. القصص القرآني أتت على صور متنوعة، فمنها ما أتت على صورة أسرية، كقصة صاحب الجنة المؤمن وغيرها، وهذا تنبيه لأهمية العناية بالأسرة، فبصلاحها تصلح المجتمعات.
٣. يتمثل التناسب في قصة هاروت وماروت في أنه بيان واضح لكشف حقيقة تشكيك اليهود للرسول عليهم السلام الذين حملوا رسالة الله عز وجل وبلغوها.
٤. قصة طالوت وتفصيلها جاءت مناسبة مع الأهداف العامة لسورة البقرة؛ والتي من بينها الدعوة للجهاد والإنفاق في سبيل الله تعالى والحث عليه، وهذا ما جرت حوله أحداث القصة.
٥. مناسبة قصة هابيل وقايل أنها تذكير المجتمع المسلم وربطه بتاريخ خذلان اليهود لأنبيائهم، وبيان كون الحسد هو الصارف الحقيقي لليهود عن الإيمان بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم.
٦. مناسبة قصة فتية الكهف للسورة للفت نظر المسلم إلى عجائب قدرة الله عز وجل التي ليس لها نظير، فكما أن الله عز وجل خلق المخلوقات متنوعة الأصناف فإنه سبحانه قادر على إحياء الأموات.
٧. كانت قصة صاحب الجنتين مناسبة للسورة وهي التنديد بطبقة الأغنياء المترفين الذين أوقعهم غرورهم بنعم الله في الهلاك.
٨. تناسب قصة ذي القرنين للسورة أنه لما فرغ من قصة الخضر مع موسى عليهما السلام التي حاصلها أنه طواف في الأرض لطلب العلم، أعقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد.

٩. إن مناسبة قصة المرسلين بسورة (يس) أتت لتخويف مشركي قريش من مصير القرية المكذبة.
١٠. جاءت مناسبة قصة مؤمن آل فرعون لسورة غافر، بأن هذا التماثل مما يبرز قصد القصة الوعظي والتذكيري والتمثيلي.
١١. مناسبة قصة أصحاب الجنة لسورة القلم أنها أتت لبيان الاختلاف بين الأب صاحب الجنة، الذي لم يغيره ماله ولا ثروته عن حق الله عز وجل، وبين الوليد بن المغيرة، لكنه اجتمع مع أولاد صاحب الجنة في الجحود وكفران النعم.
١٢. مناسبة قصة أصحاب الأخدود لسورة البروج أنها ضربت المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأصحاب الأخدود؛ ليكون تثبيتاً للمسلمين، وإشعار المسلمين بقوة الله تعالى.

ثانياً: التوصيات:

١. توجيه الباحثين إلى تكريس جهودهم في التنقيب والتوسع في علم مناسبات القصص القرآني وارتباطه بالسور التي وردت فيه.
٢. يجب على من أراد أن يفسر القرآن الكريم أن يعتني بها عناية بالغة حتى يدرك انسجام القرآن الكريم بعضه ببعض.
٣. عقد الجامعات المتخصصة في القرآن الكريم والسنة المطهرة مؤتمراً واحداً على مستوى العالم الإسلامي، لدراسة علم المناسبات بشكل أعمق، ويتم تقسيمه إلى دراسة نماذج من مناسبات ترتيب السور، ومناسبات اختتام الآيات بأسماء الله وصفاته وتعلقها بما بعدها، ومناسبات المقاطع القصصية الأخرى كالغزوات وقصص الأنبياء _ عليهم السلام _ وربطها بالسورة التي جاءت فيها القصة.

المراجع والمصادر

١. ابن عاشور، مُجَدِّ الطاهر، (١٩٩٧)، التحرير والتنوير . الطبعة التونسية، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس.
٢. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن مُجَدِّ بن حبيب (١٤٠٦هـ) ط٢، معجم مقاييس اللغة القاهرة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت.
٣. ابن منظور، مُجَدِّ بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري (د، ت) ط١، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت.
٤. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (د، ت)، سنن أبي داود، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
٥. أبو شهبه، د. مُجَدِّ بن مُجَدِّ، (١٤٠٧) ط١، المدخل لدراسة القرآن الكريم مكتبة السنة الناشر: دار اللواء - السعودية.
٦. أبوحيان، مُجَدِّ بن يوسف الشهير الأندلسي (١٤٢٠هـ)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: صدقي مُجَدِّ جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت.
٧. الألباني، مُجَدِّ ناصر الدين بن الحاج نوح (١٤١٢هـ) ط١، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار النشر: مكتبة المعارف، البلد: الرياض - المملكة العربية السعودية.
٨. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (د، ت) ط١، روح المعاني، المتوفى (١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت.
٩. البُخَارِيُّ، مُجَدِّ بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (١٤٢٢هـ) ط١، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المحقق: مُجَدِّ زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: مُجَدِّ فؤاد عبد الباقي).
١٠. البغوي، محيي السنة، أبو مُجَدِّ الحسين بن مسعود (١٩٩٧ م) ط٤، معالم التنزيل، المحقق: حقه وخرج أحاديثه مُجَدِّ عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع.
١١. البقاعي، إبراهيم بن عمر (١٩٩٥ م) ط٢، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلام، القاهرة.

١٢. بن حنبل، أبو عبد الله أحمد الشيباني (٢٠٠١ م) ط١، مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، المحقق: شعيب الأرنؤوط.
١٣. الترمذي، مُجَدِّد بن عيسى أبو عيسى السلمي (د، ت)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد مُجَدِّد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٤. الثعلبي، أحمد بن مُجَدِّد بن إبراهيم، أبو إسحاق (٢٠٠٢ م) ط١، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي مُجَدِّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
١٥. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي، (١٤٠٧ هـ) ط٤، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت.
١٦. حجازي، د. مُجَدِّد محمود (د، ت)، التفسير الواضح، دار الجيل الجديد.
١٧. الخطيب، د. عبد الكريم (د، ت)، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٨. دروزة، د. مُجَدِّد عزت (١٣٨٣ هـ)، التفسير الحديث، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - القاهرة دار الغرب الإسلامي - دمشق.
١٩. الرازي، فخر الدين مُجَدِّد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي خطيب الري (١٤٢٠ هـ) ط٣، التفسير الكبير = مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي.
٢٠. رضا، مُجَدِّد رشيد (١٩٩٠ م)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢١. الزحيلي، د. وهبة مصطفى (١٤١٨ هـ) ط٢، التفسير المنير في العقيدة، دار الفكر المعاصر دمشق.
٢٢. الزركشي، بَدْر الدِّين مُجَدِّد بن عَبْدِ اللَّهِ بن بھادر (١٣٧٦ هـ) ط١، البرهان في علوم القرآن، المحقق: مُجَدِّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه.
٢٣. زين الدين الرازي، أبو عبد الله مُجَدِّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (١٤٢٠ هـ) ط٥، مختار الصحاح، المحقق: يوسف الشيخ مُجَدِّد، الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا.
٢٤. السامرائي، د. فاضل صالح (٢٠٠٣ م)، لمسات بيانية لسور القرآن الكريم، حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة، الناشر: دار عمار.

٢٥. السمعاني، أبو المظفر منصور بن مُحمَّد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي (١٤١٨هـ) ط ١، تفسير القرآن، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض السعودية.
٢٦. سيد، قطب إبراهيم (١٤٢٣هـ)، في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر القاهرة.
٢٧. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (١٣٩٤هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، المحقق: مُحمَّد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٨. الشوكاني، مُحمَّد بن علي بن مُحمَّد (١٤١٤هـ) ط ١، فتح القدير (الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت.
٢٩. القرطبي، أبو عبد الله مُحمَّد بن أحمد بن أبي بكر شمس الدين (١٣٨٤هـ) ط ٢، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.
٣٠. القطان، مناع خليل، (١٤٢١هـ) ط ٢، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣١. محمود، توفيق مُحمَّد سعد (١٤٢٤هـ) ط ١، العزفُ على أنوار الدِّكر، المسمى (معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة).
٣٢. مسلم، بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (د، ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: مُحمَّد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.



مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

ISSN: ٢٦١٧-٥٨٩٤ (٢٠٢٠/١٢) (١٨) تصدر عن جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية-اليمن

حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية للدول التي تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم في الشريعة الإسلامية ومقررات القانون الدولي

د/محمد أحمد أمين قاسم النهاري

عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية بمبني سوتا
مدرس متعاون في جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

malnhary17@gmail.com

ملخص البحث:

إن هذا البحث يتناول وجوب الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه ممن يتعرض لمقامه الشريف، أو يستهزئ به أو يسبه أو يرسم رسماً أو يكتب مقالاً ينتقص فيه من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ويتوجه هذا البحث لبيان بعض مظاهر الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم والدفاع عنه، وذلك من خلال بيان حكم سلوك المقاطعة الاقتصادية للدول والكيانات والجهات التي تقترب هذه الجريمة، وبيان أهمية هذه المقاطعة وسوابقها التاريخية، وأقوال العلماء فيها، متناولاً هذه الأقوال وأدلتها مع مناقشة هذه الأقوال لمعرفة الراجح منها، وتقرير أن المقاطعة الاقتصادية للمستهزئ بالرسول عليه الصلاة والسلام أمر واجب تسنده النصوص الشرعية، وتؤكد المصلحة والواقع والسوابق البشرية، ولا يتوقف القول بشرعية تلك المقاطعة على إذن ولي الأمر، كما أن تلك المقاطعة تسوّغها القوانين الدولية.

ويبين البحث أن الأصل في إقامة العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين غيرها أن يُنظر فيها إلى مصلحة المسلمين، وسيتناول البحث حكم لمقاطعة الدبلوماسية وقطع التمثيل الدبلوماسي القائم بين الدول الإسلامية وبين الدول التي تسيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووجوب إظهار حالة الاستنكار على أعلى المستويات والرفض لسلوك تلك الدول تجاه عقائد أهل الإسلام ومقدساتهم.

الكلمات المفتاحية: المقاطعة الاقتصادية - المقاطعة السياسية - التأصيل الشرعي -

التأصيل القانوني.

Abstract

This research tackled the obligation of supporting and defending the Prophet (Pray and Peace Be Upon Him) from Whoever is subjected to His honorable position, mocked, touched, draws a drawing or writes an article that detracts Him from the Messenger of God' position(Pray and Peace Be Upon Him).

This research is directed to clarify some aspects of supporting and defending the Prophet(Pray and Peace Be Upon Him), that is through explaining the provision on the conduct of economic boycott of the countries, entities and agencies that commit this crime, through explaining the importance of this boycott and its historical precedents, the scholars sayings of it, tackling these sayings and their evidences with discussing these sayings to uncover what is the most correct, besides reporting that the economic boycott of the mocker against the prophet(Pray and Peace Be Upon Him), is an obligation issue enhancing by the Sharia texts, affirmed by the interest, incidents and the historical precedents, and that the saying of the legitimacy of this boycott doesn't depend on the guardian permission, beside that this boycott is justified by the international laws.

As well as, that the research is explaining that the origin of the making relations among Islamic countries and others to be considered on the Muslims interest.

The research will tackle the provision of the diplomatic boycott, the diplomatic representation existing between the Islamic countries and the countries that offending the prophet (Pray and Peace Be Upon Him), and the obligation of showing the highest level of disapproval and denying the conduct of these countries towards the people of Islam' believes and sanctuaries.

Keywords:

Economic boycott- diplomatic boycott- legal – legal rooting- Legal rooting.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فإن من نعم الله على الخلق أن أرسل إليهم رسلاً يدلونهم على الهدى، ويحذرونهم سبل الردى، وكان خاتمة هؤلاء الأنبياء سيدنا وشفيعنا يوم القيامة محمداً ﷺ، وتحقيقاً لسنة الله في حتمية التدافع بين الحق والباطل فقد قابل الكفار رسول الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالتكذيب والاستهزاء والعداء، كما قابله المؤمنون بالإيمان والتعزيز والنصرة والولاء، وفي كل حين يتجدد فيه الاستهزاء برسول الله ﷺ يتجدد معه الانتصار له ﷺ، فلم تكن الإساءة لرسول الله ﷺ لتنتهي ما وجد في الأرض شائئ وحاسد، كما لم تخل الأرض من منتصر له ﷺ مادام في الأرض موحد لله، وكل ذلك استجابة لنداء الله تعالى: ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

وقد أوجب الله تعالى على المسلمين أخذ حق الرسول ﷺ ممن استهزأ به، ولكن المسلمين إذا كانوا في حالة ضعف كما هو الحال في زماننا فإنهم قد يعجزون عن إقامة هذا الحد، ولكن مع هذا الضعف فإن بلاد المسلمين تتمتع بخيرات وثروات جعلتها أحد أركان العلاقات الدولية اليوم، إضافة إلى أنها صارت سوقاً كبيرة لكثير من مصنوعات الدول الغربية، وهنا يظهر واجب الوقت في استثمار تلك العلاقات والثروات في الرد على المستهزئين برسول الله ﷺ، والضغط على المسيئين من خلالها، وقد جعلت هذا البحث في بيان: حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية للدول التي تسيء للنبي الكريم صلى الله عليه وسلم، راجياً أن يوفقني الله فيما كتبت، وأسأل الله أن يرزقني الإخلاص في ذلك.

أهداف البحث:

١. بيان الموقف الشرعي من الهجمة الشرسة على النبي ﷺ وتعاليمه في هذا الزمن.
٢. تجديد روح المناصرة والدفاع عن الرسول ﷺ في الأمة.
٣. إظهار حكم مقاطعة المستهزئ بالرسول ﷺ اقتصادياً وسياسياً.

أسباب البحث:

- ١- ضعف الوعي بحكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية.
- ٢- تكرار حوادث الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم.
- ٣- قوة تأثير العلاقات الاقتصادية والسياسية في الانتصار للرسول صلى الله عليه وسلم وإيقاف الاعتداء على مقامه العظيم.

منهج البحث:

منهج البحث هو المنهج الاستقرائي في تتبع أهمية وحكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية لمن يسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

مشكلة البحث:

يتناول البحث إشكالية استمرار الاعتداءات على مقام النبي صلى الله عليه وسلم والإساءة إليه، وضعف الرؤية في الموقف الشرعي والقانوني لإيقاف الاعتداء، ولهذا فإن البحث سيجيب على التساؤلات التالية:

- ما حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية لمن يسيء إلى الرسول ﷺ ؟
- هل يرتبط حكم المقاطعة للمسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم بولي الأمر؟
- ما هي طبيعة ومبررات المقاطعة الاقتصادية والسياسية في ضوء الاتفاقات الدولية؟
- كيف يمكن تفعيل أثر المقاطعة والاقتصادية السياسية في إيقاف الإساءة لتعاليم الإسلام ومقدساته؟

الدراسات السابقة:

- هناك بعض الدراسات التي وقفت عليها في موضوع المقاطعة للدول التي تسيء إلى النبي ﷺ ، وسأذكرها مع بيان الفرق بينها وبين هذه البحث، وهي كما يلي:
- مقاطعة السلع الأوربية في ضوء القانون التجاري الدولي والتشريع الإسلامي، دراسة حالة الرسوم المسيئة، نشر في مجلة دراسات في التنمية والمجتمع ٢٠١٦م. تأليف: محمد يوسف. وهذا البحث يغلب عليه دراسة الجانب القانوني، ولم يتوسع في ذكر الأدلة الشرعية في المسألة، ولم يتناول حكم المقاطعة السياسية، ثم هو يتناول دراسة حالة معينة وهي: الرسوم المسيئة. والجديد في البحث الذي أقدمه أنه يتناول الأقوال في حكم المقاطعة الاقتصادية والسياسية شرعاً وأدلتها ومناقشتها، مع بيان أهمية المقاطعة وأثرها وضوابطها.
 - مدى مشروعية المقاطعة الاقتصادية في الفقه الإسلامي: د: سهيل محمد الأحمد- مجلة جامعة الخليل للبحوث. وهذا البحث وإن كان متوجهاً لدراسة الحكم الشرعي للمقاطعة الاقتصادية إلا أنه لم يستوعب الأدلة في ذلك، وتوسع في دراسة الأثر والدور الذي تقوم به المقاطعة، ولم يدرس مسألة المقاطعة السياسية. والجديد في البحث الذي أقدمه عن هذا البحث تناول المقاطعة السياسية، وبيان التكيف القانوني لذلك، وبيان أهمية وأثر المقاطعة في الجملة.
 - المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية للباحث سعيد مطر العتيبي. وهذا البحث هو بحث مختصر في بيان المبررات القانونية في المقاطعة الاقتصادية كما يدل عليه عنوانه. والجديد في البحث الذي أقدمه تناول التأصيل الشرعي للمقاطعة الاقتصادية والسياسية والأقوال في ذلك وأدلتها، مع بيان أهمية المقاطعة وأثرها.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المقدمة وفيها: ملخص البحث، وأهداف البحث، وأسباب اختياره، ومنهج

البحث، ومشكلة البحث، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: أهمية المقاطعة وسوابقها التاريخية.

المبحث الثاني: المقاطعة الاقتصادية للمستهزئين للنبي ﷺ.

المبحث الثالث: المقاطعة السياسية للمستهزئين للنبي ﷺ.

المبحث الأول

المقاطعة مفهومها وأهميتها وسوابقها التاريخية

لقد آثرنا قبل بيان حكم المقاطعة أن نذكر أهميتها وأنها أسلوب بشريّ مُستخدم على مر العصور، وقد أصبحت المصالح الدولية اليوم تشمل الارتباط في العلاقات السياسية والثقافية، ولكنها قد لا تبلغ أحياناً أهمية العلاقات الاقتصادية في عالم المادة، وكثيراً ما تستخدم الدول الكبرى اليوم الضغط الاقتصادي والسياسي على الدول الإسلامية لإخضاعها لأهداف السياسة الغربية، وأصبح قطع العلاقات أسلوباً مُجدياً في كثير من القضايا، وسنذكر بعض جوانب أهمية مقاطعة المسيئين للإسلام ومقدساته في خمسة مطالب كما يلي:

المطلب الأول: مفهوم المقاطعة

التعريف اللغوي: المقاطعة مأخوذة من القَطْع، وقطع الشيء أبانه من بعضه فصلاً^(١). ومن القطع: قطع السبيل^(٢)، ومن المجاز إطلاق القطيعة بمعنى الهجران، وتقاطعا: تصارماً^(٣). وقد يُستعمل القطع مجازاً في قطع النهر أي: عبوره، ومنه: قطع خصمه بالحجة، وقطع لسانه أي: أسكته بإحسانه إليه^(٤).

فالمقاطعة لغة: فصل الشيء أو كسره، وتجاوز الشيء وعبوره، والقطيعة للشيء ومفارقته وهجرانه وإسكاته.

(١) محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، لسان العرب (٨/ ٢٧٦).

(٢) أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد الحسيني الزبيدي الحسيني الزبيدي الشهير بمرتضى، تاج العروس (٢٢/ ٢٤).

(٣) أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني، مقاييس اللغة (٥/ ١٠١)، و ابن منظور، مرجع سابق (٨/ ٢٨٠).

(٤) ابن منظور، مرجع سابق (٨/ ٢٧٦)، ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ص ٩٧١)، ومرتضى

الزبيدي، مرجع سابق (٢٢/ ٢٤).

المطلب الثاني:

المقاطعة دليل على قوة الإيمان ومظهر من مظاهر العزة

إن في مقاطعة الأعداء ومفاصلتهم دلالة على قوة إيمان الشخص، وقوة استعداده للتضحية بكل عزيز في سبيل الدفاع عن النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فقد قررت هذه الآية نفي الإيمان عمَّن يواد من حاد الله ورسوله، والآية قد استدلت بها ابن تيمية على وجوب قطع الموالاة مع من سب النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر أن الآية نزلت فيمن أراد أن يقتل من تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالأذى من كافر أو منافق قريب له فعلم أن المحاد يعم المشاق وغيره، وذكر أن الله قطع الموالاة بين المسلم والكافر وإن كان له عهد وذمة، وما وقع بيننا وبينهم من العهد فيكون على عوهدوا على أن لا يظهروا المحادة ولا يعلنوا بها، وقد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية أقوالاً منها: أنها نزلت في عبد الله ابن أبي لما أراد قتل أبيه عندما تنقَّص الرسول صلى الله عليه وسلم، ومما قيل في نزولها أن أبا قحافة والد أبي بكر شتم النبي صلى الله عليه وسلم فأراد الصديق قتله^(٢)، وذكر الطبري والسمرقندي أن معنى

(١) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول (ص: ٢٤ - ٢٥).

(٢) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٤ / ٢٥١)، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٧ / ٣٠٧)، وابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول، مرجع سابق، (ص: ٢٧).

المودة في الآية: إقامة خلة وصدافة مع الكافرين حال محادثتهم الله ورسوله ومشاقتهما ومخالف أمر الله ونهيه^(١).

والإساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نوع من المحادّة، وإبقاء العلاقات السياسية بما تقتضيه من الاتفاق على الاحترام المتبادل، واحترام المصالح مع من يسيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناقض هذا، وهذا يوجب عمل ما يمكن تجاه المستهزئين بالنبي ﷺ كأقل دليل على بغضهم والرد عليهم بسبب استهزائهم برسول الله ﷺ.

ومن مقتضيات قوة الإيمان وصحة التدين الإعداد واكتساب القوة والعزة، وعدم موالة المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم تحت مبرر نيل مصلحة مالية أو سياسية، أو ابتغاء عزة ومنعة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْجَدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنُوتَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٩]. وقد قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]. في إشارة إلى أن العزة في موالة الله ورسوله، وعدم التماهي مع من يستهزأ بأمر الدين، وقد ذكر البغوي أن في هذه الآية تحريم القعود في مجالس من يستهزئ بآيات الله تعالى أو يستهزئ بمحمد صلى الله عليه وسلم حتى يخوض في حديث غيره^(٢).

وقد ظهر في زمننا أن من عوامل العزة والقوة الاكتفاء الاقتصادي أو سلوك الضغط الاقتصادي في مقابل حفظ الحقوق ورد الاعتداء، ومن أسباب الذلة السكوت عن الإساءات للدين الإسلامي وعدم استخدام أي وسيلة من وسائل الضغط لإيقاف ذلك، فالمقاطعة لأجل حماية الدين مظهر من مظاهر عزة المؤمن، ويكون ذلك من خلال

(١) أبو جعفر ممد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (٢٢ / ٤٩٣)، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم (٣ / ٤٢٠).

(٢) الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (١ / ٧١٤).

التخلص قدر الإمكان من التبعية لهيمنة الأعداء على الجوانب الاقتصادية والسياسية، والتخفيف من حدة الارتباط به؛ لأن من بيده القدرة على استخدام السلاح الاقتصادي أو العسكري فهو الذي يسنُّ القوانين، ويفرض الالتزامات.

المطلب الثالث:

المقاطعة عامل من عوامل تقوية الصف الداخلي

إن المسلم حين يتحرر من الأعداء بمقاطعتهم فإنه يرجع إلى نفسه وإلى إخوانه في الدين والعقيدة؛ ليجد عندهم ما يستغني به عن عدوه، وذلك يظهر في جوانب المقاطعة كاملةً، فالمقاطعة الاقتصادية تُوجد فكرة البديل في المنتج المحلي والعربي والإسلامي؛ ويؤيد ذلك أن أبا موسى رضي الله عنه لما استعمل رجلاً نصرانياً في الكتابة له لأمه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقرأ عليه قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ؕ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، ثم قال له: (أما وجدت في أهل الإسلام من يكتب لك، لا تدنهم إذ أقصاهم الله، ولا تأمنهم إذ خونهم الله، ولا تعزهم بعد إذ أذلهم الله)^(١).

ووجه الدلالة أن ما يجوز التعامل فيه مع الدول المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم من البيع والشراء والمكاتبة فإن التعامل فيه مع البديل المسلم أولى في زمن يعتبر الاقتصاد وسيلة لتقوية العلاقات والسياسات، فكيف إذا كان ذلك في التعامل بالبيع والشراء مع الكافر المسيء للرسول صلى الله عليه وسلم؟ لاشك حينها أن مقاطعته وشراء المنتج والبديل الإسلامي أولى، خصوصاً عند إدراك أن التعامل الاقتصادي فيه تقوية لاقتصاد

(١) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى (١٢/١٠)، وشعب الإيمان (٤٣/٧)، وهذا الأثر حسنه ابن حجر . انظر: أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣/١٨٤.

الدول الإسلامية في مقابل التخلي عن بضائع من يسيء للنبي صلى الله عليه وسلم، بل قد يصير ذلك واجباً وجوب القيام بكفاية الأمة في صناعاتها واجبٌ على الأمة، وقد قرر الإمام الجويني في الغياثي أن إعداد المال كإعداد الرجال^(١)، أي: من حيث الوجوب.

فمقاطعة الأعداء فرصة عظيمة للتعاون والتكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية، وفيها أيضاً فرصة لرفع الضرر عن الشركات الإسلامية بسبب المنافسة الخارجية، فإن البضائع العربية لم يرتفع شأنها إلا من خلال كثرة الطلب عليها، وقد ذكر ابن خلدون أن الصنائع إنما تُستجد وتكثر إذا كثر طلبها^(٢).

وعلى هذا فيمكن للصناعات العربية أن تُستجد إذا أكثرنا الطلب عليها، وإذا قطعت الدول الإسلامية تلك العلاقات عاد ذلك بالقوة على علاقاتها فيما بينها، لأنها سترجع للبحث عن البديل الاقتصادي في الدول الإسلامية فتتوسع شبكة التبادل الاقتصادي مما يقوي تلك العلاقات، ويزيد حجم التبادل التجاري بينها .

وأما المقاطعة في الجانب الثقافي المتعلق بدعوى الحرية في سب الأنبياء فمهمة كذلك في تقوية الارتباط بعقيدة البلد المسلم، فالمسلم إذا قاطع هذه الأفكار الغربية أرجعه ذلك إلى المعين الصافي، وهو الشرع الإسلامي، وقد رأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحمل شيئاً من صحف أهل الكتاب فقال له: «أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟» والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية.. «^(٣). وذلك أن الاطلاع على

(١) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، غياث الأمم والتهذيب، ص ٢٦٣.

(٢) عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة تاريخ ابن خلدون المسماة: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ص ٤٢٠ .

(٣) وهو بسياق أطول عند أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق (٣/٣٨٧) والحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، (١/٢٧٠)، وحسنه الألباني بطرقه. انظر: محمد ناصر الدين الألباني، السنة لابن أبي عاصم (١/٥٩) والمتهوك: الذي يقع في كل أمر، وقيل: هو التحير. انظر: أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر (٥/٢٨١).

ثقافات أهل الكفر وكتبهم من غير متخصص ولغرض شرعى قد يكون طريقاً لنسيان الحق، أو التقليل من شأنه، أو التماهي مع الباطل.

المطلب الرابع:

المقاطعة سبب لاستعادة الحقوق ووسيلة للتنكيل بالأعداء

إن المقاطعة بأشكالها المختلفة سببٌ قويٌّ لانتزاع الحقوق، وردع للمعتدي الظالم، وقد ذكر ابن خلدون أن الأمم إذا ألفت المذلة وتعودتها عجزت عن المدافعة، ومن عجز عن المدافعة فأولى أن يكون عاجزاً عن المقاومة والمطالبة^(١).

وقد أذاعت بعض القنوات استياء فرنسا من المسلمين ومطالبتهم الدول العربية والإسلامية عدم سلوك المقاطعة الاقتصادية! مما يدل على قوة أثرها فيهم^(٢)، والمقاطعة للأعداء إنما يضعف أثرها بسبب تخاذل بعض المسلمين حكاماً وغيرهم في استخدام هذه العلاقات كوسيلة للضغط على الأعداء المعتدين.

ومن جوانب أهمية المقاطعة أنها تحقق التنكيل بمن استهزأ بالرسول ﷺ، ويظهر هذا التنكيل في جميع أنواع المقاطعة، فأما المقاطعة الاقتصادية فإنها في أديبات الصراعات الحديثة قد تعتبر أحياناً أكبر من الحرب العسكرية، وهذه الحرب الاقتصادية - كما يسمونها - من أقوى ما تحارب به أمة عدواً لها، ولا سيما إذا كان هذا العدو أمة تجارية بحتة^(٣)، ومما يُبين هذا أن إسرائيل عندما قاطعتها الدول العربية حاولت إضفاء الطابع

(١) ابن خلدون، المقدمة، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٢) نقلت ذلك قناة الجزيرة في مقابلة لها مع الرئيس الفرنسي بتاريخ: ٢٠٢٠/١٠/٣١.

(٣) حسين وصفي رضا، في مقال بعنوان: الدولة العلية وبلغاريا والنمسا. انظر: مجلة المنار الصادرة في: شوال ١٣٢٦هـ

- نوفمبر ١٩٠٨م.

العنصري على تلك المقاطعة؛ لتضمن قيام دول الغرب معها، وذلك ما جعل وساطات أمريكية تبذل جهودها لإنهاء تلك المقاطعة لإسرائيل، بل علّق الإسرائيليون مفاوضات التصالح مع الفلسطينيين في كثير من الأحيان بإنهاء المقاطعة الإعلامية والثقافية والاقتصادية لإسرائيل^(١)، واستخدمت إسرائيل منظمات دولية لتفكيك عرى المقاطعة العربية لإسرائيل، والعقلاء يدركون أن دعم اقتصاد أي دولة هو دعم لسياستها.

ومما يدل على أثر المقاطعة الاقتصادية مراجعة حجم التعامل التجاري مع الدول التي تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ولهذا فإن اليهود في فلسطين والبريطانيين في الهند كانوا يقومون بحبس من يدعوا لمقاطعتهم اقتصادياً^(٣).

وأما التنكيل من خلال المقاطعة السياسية، فإن ذلك لو مُؤرَسَ على نطاق واسع سيجعل الدولة المقاطعة في عزلة عن جزء كبير من العالم يمثلته العالم الإسلامي.

وأما المقاطعة الثقافية فإن أثرها يتمثل في تخفيف الهيمنة الثقافية الغربية على العالم، خصوصاً ما يتعلق بقضية الحرية التي يعتبرها الغرب أكبر قيمة ثقافية عندهم، فالمنافع التي يجنيها الأعداء من استمرار العلاقات الاقتصادية السياسية والثقافية معهم يجب استخدامها للضغط عليهم للوصول إلى مطالب الأمة، وردع من يُسيئون إلى الإسلام ونبيه الكريم ﷺ.

المطلب الخامس:

المقاطعة سلوك تاريخي للأمم.

(١) مجلة البيان العدد ٤٦، جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / ديسمبر ١٩٩١م.

(٢) د: مجدي قرقر، المقاطعة في مواجهة التطبيع، ص ٣٤.

(٣) جاء ذلك في تقرير القدس الصادر عن مركز الإعلام العربي بتاريخ: ربيع الآخر ١٤٢٢هـ / يوليو ٢٠٠١م، ومثله ما وقع للعلامة المسلم أبو الكلام آزاد الهندي الذي حبسه الانجليز؛ لتخريضه على مقاطعتهم عام ١٩٢١م. انظر: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، الأعلام (١/ ١٢٢).

إن من أعظم ما يبين أهمية المقاطعة بأنواعها المتعددة أن التاريخ يذكر أن كثيراً من الأمم قد استخدمتها ضد عدوها للوصول إلى أهدافها، خصوصاً الاقتصادية التي تؤثر في الأمم التي تقدس المادة أكثر من غيرها.

فالمقاطعة الاقتصادية قد استخدمتها المدن التجارية في أوروبا الشمالية في القرن الثاني عشر، فأنشأت أحلافاً مختلفة سماها الألمان (Hanses) أي: اتحادات أو نقابات، وكانت ترغم المدن على الانضمام إليها لاستخدام سلاح المقاطعة، بل كانت تستأجر القراصنة للإضرار بتجارة المنافسين^(١)، وهذا يعتبر نوعاً من قطع السبيل والنهب المنهي عنه في الشريعة الإسلامية.

وقد استخدم اليهود المقاطعة الاقتصادية عند ما بدأ النظام النازي بألمانيا باضطهادهم، ففي أبريل عام ١٩٣٣م نظم اليهود مقاطعة للأعمال التجارية، وأسسّت منظمة دولية أطلق عليها: (الاتحاد اليهودي الاقتصادي العالمي) للتنسيق بين جميع المنظمات الداعية إلى مقاطعة ألمانيا، وهذا ما جعل ألمانيا تساعد في تهجير يهود ألمانيا إلى فلسطين مقابل الكف عن المقاطعة^(٢).

ومن الأمثلة الشهيرة على المقاطعة الاقتصادية ما قام به بعض زعماء الهند، حين دعوا للمقاطعة ضد الاستعمار البريطاني، وحثوا المواطنين الهنود على صنع ملابسهم بأنفسهم، وكانوا يقولون: كلوا مما تنتجون، والبسوا مما تصنعون، حتى أعلنت بريطانيا سحب آخر جندي إنجليزي من الهند سنة ١٩٤٧م^(٣).

(١) ول وايريل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، ومحمد الدران، وفؤاد أندوراس، قصة الحضارة، (١٦ / ١٤٦) (١٤٨).

(٢) د: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١ / ٢٠٣) وما بعدها.

(٣) اشتهر بين الكتاب أن غاندي هو صاحب هذه الفكرة في الهند، مع أن غاندي ولد عام ١٨٦٩م، وقد سبقه إلى هذه الفكرة أحد علماء المسلمين في الهند، وهو الشيخ: عبد العزيز الدهلوي عام ١٨٠٣م، وعارضها غاندي، ثم أدرك

وقد قاطع الصينيون البضائع الأمريكية عام ١٩٠٦م ، بسبب وضع قيود على هجرة الصينيين إلى أمريكا واستيطانهم فيها، كما قاطعوا أيضاً اليابان ما يقارب تسع مرات ما بين عامي ١٩٠٨-١٩٣٢م، وقاطع الأتراك البضائع النمساوية عام ١٩٠٨م؛ لأن النمسا ضمت إقليم بوسنويا إليها، كما قاطعوا البضائع اليونانية عام ١٩٠٩-١٩١٠م؛ لتقديم ألمانيا مساعدات للثوار الكرّيتين^(١).

وقامت الولايات المتحدة الأمريكية بإصدار قرار من مجلس الأمن رقم ٦٨٧ بمقاطعة العراق قبل احتلالها، وكانت تلك المقاطعة على العراق مثلاً قبيحاً لظلم كان حصاده الاقتصادي والصحي والاجتماعي فظيعاً جداً، بحيث يُسجّل كجريمة إنسانية من الدرجة الأولى، كما يعترف بذلك كتاب الغرب أنفسهم^(٢).

وقد استخدمت الإدارة الأمريكية سلاح المقاطعة الاقتصادية ستين مرة ضد ٣٥ بلداً ما بين عامي ١٩٩٣-١٩٩٦م، وأحياناً بحجج واهية تقودها المصالح السياسية^(٣).

وفي عام ١٩٢٢م قاطع أهل فلسطين السلع الإسرائيلية؛ رداً على مقاطعة اليهود للسلع العربية، وفي عام ١٩٤٥م بدأ تاريخ المقاطعة العربية لإسرائيل رسمياً بتبني جامعة الدول العربية، وفي عام ١٩٥١م أنشأت جامعة الدول العربية جهاز المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل، والذي كان أحد أهداف جامعة الدول العربية^(٤)، ثم أصابه الفتور في ظل مفاوضات السلام .

وبهذا تظهر الأهمية التي تحتلها مقاطعة الأعداء في الرد على المعتدي، وأن ذلك الأسلوب تؤيده السوابق التاريخية للأمم في سبيل الدفاع عن نفسها، وهذه النظرة التاريخية

جدواها فاستخدمها. انظر: د: عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٧٩ وما بعدها، ود: مجدي قرقر، مرجع سابق ص٢٦ .

(١) سعد بن مطر العتيبي، مقال بعنوان: المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية وهو منشور في موقع اللجنة العالمية لمناصرة خاتم الأنبياء، وموقع شبكة نور الإسلام بتاريخ: ١٣/١/١٤٢٧ هـ.

(٢) جين سيمو ينز، التنكيل بالعراق والعقوبات والقانون والعدالة، ص٢٩٦-٢٩٨.

(٣) د: مجدي قرقر، مرجع سابق ص٤٣ .

(٤) مجلة البيان العدد ٨٩ المحرم ١٤١٦، يونيو ١٩٩٥ م .

تعد كافيةً في تأكيد حق المسلمين في القيام بها في سبيل دفع الاعتداء على دينهم الحنيف ونبهم الكريم، وهذا قبل النظر في دلالة الأدلة الشرعية والقانونية على شرعية استعمال هذا الحق من حيث الأصل، فضلاً عن كونه قد يصل إلى الوجوب بحسب ما تقتضيه وتقرره المصلحة .

المبحث الثاني:

المقاطعة الاقتصادية للمسيئين للنبي ﷺ

سنتكلم هنا عن المقاطعة الاقتصادية للمسيئين للنبي ﷺ مع ذكر التأصيل الشرعي والقانوني لها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

تعريف المقاطعة الاقتصادية

التعريف اللغوي: كلمة المقاطعة تم تعريفها سابقاً، وأما كلمة الاقتصادية فمأخوذة من الاقتصاد، وهو لغة: ضد الإسراف، ومعناه أيضاً القصد في الشيء، خلاف الإفراط فيه^(١)، واقتصاد فلان في أمره: استقام^(٢). والاقتصاد المراد اليوم فهو عَلمٌ على العِلم الذي يبحث في الظواهر الخاصة بالإنتاج والتوزيع^(٣). فالاقتصاد لا يخرج عن معنى القصد والتوسط في النفقة.

التعريف الاصطلاحي:

مصطلح المقاطعة الاقتصادية مصطلحٌ محدثٌ، وقد جاء في المعجم الوسيط أن المقاطعة هي: الامتناع عن معاملة الآخرين اقتصادياً، أو اجتماعياً وفق نظام جماعي مرسوم، وأشار إلى أنها مُحدثة^(٤). وعرفها بعضهم بأنها: ترك الاتصال بشخص معين، أو التعامل معه، ومنه: المقاطعة السياسية، أو الاقتصادية^(٥).

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين (٢٤٤/٧)، و أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، الأفعال (١٣٢/٢)، و أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم (١٨٦/٦)، وابن منظور، مرجع سابق (٣٥٤/٣).

(٢) ابن منظور، مرجع سابق (٣٥٤/٣).

(٣) إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، المعجم الوسيط (٧٣٨/٢).

(٤) إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مرجع سابق (٤٠٩/٢).

(٥) د: محمد رواس قلعة جي، معجم لغة الفقهاء (ص ٤٥١) .

وعلى كل فيمكن القول بأن المقاطعة الاقتصادية هي إجراء تلجأ إليه سلطات الدولة وهيئاتها، أو أفرادها المشتغلون بالتجارة أو غيرهم لوقف العلاقات التجارية مع دولة أخرى، ومنع التعامل الاقتصادي مع رعاياها بقصد الضغط الاقتصادي على تلك الدول، رداً على ارتكابها أعمالاً أو أقوالاً عدوانيةً ضدها.

المطلب الثاني:

التأصيل الشرعي للمقاطعة الاقتصادية

سيتم بيان الأقوال في حكم المقاطعة الاقتصادية للدول المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم كما يلي:

القول الأول: مشروعية مقاطعة المسيئين لرسول الله ﷺ مطلقاً، ولا يرتبط ذلك

بإذن ولي الأمر فيها:

وهذا القول يمثله أكثر العلماء المعاصرين، وكبار علماء الأزهر، ودار الإفتاء المصرية،

وكل من يوسف القرضاوي ومحمد سعيد رمضان البوطي وعبد الكريم زيدان وغيرهم^(١).

وقد استدل القائلون بهذا القول بأدلة من القرآن والسنة، واستقراء تصرفات الشرع

الحنيف، وسنذكر ما ذكره من الأدلة، مع ما نراه صالحاً في الدلالة على هذا القول، فمن

الأدلة على ذلك قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنْ

اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الْفَاسِقِينَ ﴿التوبة: ٢٤﴾.

(١) راجع أسماء القائلين بذلك في موقع اللجنة العالمية، موقع إسلام أون لاين، وموقع الشبكة الإسلامية ركن الفتاوى،

وانظر فتوى القرضاوي في هذا في: د: يوسف القرضاوي، فتاوى معاصرة، (٣/٤٢٢).

ووجه الدلالة أن هذه الآية تدل على أنه إذا وقع التعارض بين مصلحة واحدة من مصالح الدين وبين جميع مهمات الدنيا، وجب على المسلم ترجيح الدين على الدنيا^(١). وفي قوله تعالى: ﴿ وَأَمْوَالٌ أُقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴾ تحذير من جعل الأموال والتجارات الحاصلة في التعامل الاقتصادي مقدمة على الانتصار لدين الله تعالى، فالتجارة في الآية عامة تشمل أنواع المال^(٢)، وقد ذكر الطبري والماتريدي وأبو السعود أن الله أمر المؤمنين في هذه الآية بتقديم الهجرة إلى الله ورسوله والجهاد نصرته لدين الله الذي ارتضاه، على الأموال وعلى التجارة التي يخشون كسادها وعدم بيعها^(٣)، أو يخشون فواتها وذهابها كما قاله الماتريدي في تفسيره^(٤)، أو خوفاً على الأمتعة التي اشتروها للتجارة والربح كما قاله أبو السعود في تفسيره^(٥)، والتي ستفوتهم بسبب الهجرة مع رسول الله حفاظاً على الدين، وذكر الرازي أن هذه الآية تدل على وجوب تحمل جميع هذه المضار الدنيوية ليقى الدين سليماً^(٦).

قال أبو حيان في تفسيره: وهذه الدواعي الأربعة سبب لمخالطة الكفار: حب الأقارب، والأموال، والتجارة، والمساكن. فذكر تعالى أن مراعاة الدين خير من مراعاة هذه الأمور^(٧).

فقد تبين من أقوال هؤلاء المفسرين أن مصلحة نصرته دين الله ومنها الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم ممن أساء إليه مقدمة على مصلحة التبادل التجاري، ويهون في سبيل

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٧ / ١٦).

(٢) أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١٨ / ٣).

(٣) الطبري، مرجع سابق (١٧٧ - ١٧٨).

(٤) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تأويلات أهل السنة (٥ / ٣٢٣).

(٥) أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٤ / ٥٤).

(٦) الرازي، التفسير الكبير (١٦ / ١٧).

(٧) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط (٥ / ٣٩١).

ذلك ما يفوت من تجارة ومال وتبادل اقتصادي، ومن أثر هذه الأمور الدنيوية على ذلك فإن الله قد أمر رسوله ﷺ أن يتوعده بانتظار ما يحل به من العقوبة والنكال^(١). فمن أثر التجارة مع من المسيئين لرسول الله ﷺ على الانتصار له مع ثبوت تأثيرها عليهم فإن الآية تتناوله بالوعيد.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقد جاء عن ابن عباس ؓ في سبب نزول هذه الآية أن المشركين كانوا يجيئون إلى البيت الحرام، ومعهم الطعام يتجرون به، فلما نُهوا عن دخوله قال المسلمون: لتقطع عنا الأسواق، ولتهلكن التجارة، وليذهبن عنا ما كنا نصيب من المرافق، فأنزل الله قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ إِنَّ شَاءَ إِلَهٌ اللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨].^(٢)

فقد نهى الله تعالى المؤمنين في هذه الآية أن يخافوا من مقاطعة الكفار اقتصادياً، تحت مبرر الخوف من تأثر السوق الاقتصادية، وضعف التجارة، مذكراً هؤلاء المؤمنين بالتوكل على الله تعالى، والتماس الفضل منه.

ومن الأدلة التي يمكن الاستدلال بها على ذلك قوله تعالى عن المؤمنين: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطَأًا يَعْجِزُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلاً إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

(١) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٢٤).

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (١٠/ ١٠٧)، وعبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن (٦/ ١٧٧٧)، وابن كثير، مرجع سابق (٢: ص ٣٤٧).

الْمُحْسِنِينَ ﴿التوبة: ١٢٠﴾ [وقد ذكر الطبري في تفسير هذه الآية أنه لم يكن لأهل الإيمان أن يرغبوا بأنفسهم عن نفسه صلى الله عليه وسلم في صحبته في سفره والجهاد معه، ومعاونته على ما يعانیه في غزوه ذلك، وذلك أنهم لا يصيبهم مخمصة أي: مجاعة في إقامة دين الله ونصرته، وهذم منار الكفر، ولا يصيبون من عدو الله وعدوهم شيئاً في أموالهم وأنفسهم وأولادهم إلا كتب الله لهم بذلك كله ثواب عمل صالح قد ارتضاه^(١).

وقد ذكر ابن كثير وابن الجوزي أن هذا الظماً والتعب، والنيل من الكفار، ونزول أي مكان يغيظهم ويذهبهم، سيكتب الله به للمجاهدين أجراً، ويجازيهم على جميع ذلك^(٢).

ووجه الدلالة في الآية أن الإساءة للنبي ﷺ فيها إيذاء واضح، وكل ما يغيظ الدول المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم من الانتصار له والغيرة على مقامه هو من العمل الصالح الناتج عن الغضب له، وهذا ينطبق على المقاطعة الاقتصادية للمستهزئين برسول الله ﷺ، وما يصيب المؤمن من الشدة في ذلك يؤجر عليه، بل كل نيل من المسيئين له ﷺ وكل موطن يغيظهم يؤجر عليه المؤمن، ومقتضى هذه الآية من حصول الأجر على كل موقف يغيظ الكفار باقٍ إلى أن تقوم الساعة كما ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره^(٣).

ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

ووجه الدلالة أن الله أمرنا فيها بحصر الكفار، والقعود لهم في كل مرصد، وقد ذكر الرازي أن معني الآية: أقعدوا للكفار على كل طريق يأخذون فيه إلى البيت، أو إلى

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاکر (١٤ / ٥٦١).

(٢) ابن كثير، مرجع سابق، (٢: ص ٤٠١)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٢ / ٣٠٩).

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (٦ / ١٩٠٩).

الصحراء، أو إلى التجارة^(١). وذكر أبو حيان أن هذه الآية تُنبئ على أن المقصود إيصال الأذى إلى الكفار بكل طريق^(٢)، ويبيّن الإمام ابن كثير أن من معاني القعود للكفار في كل مرصد عدم تركهم يضربون في البلاد، أو يخرجون للتجارة^(٣).

ويجمع هذه المعاني أن مما تأمر به الآية التضييق الاقتصادي على الكفار من خلال الوقوف في طريقهم للتجارة، ومنعهم من الضرب في الأرض، فدل ذلك على مشروعية مقاطعة الكفار ومحاصرتهم اقتصادياً.

ومن الأدلة على ذلك عموم الآيات التي تأمر بالجهاد سواء على جهة العموم أو الجهاد بالمال، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. حيث ذكر بعض المفسرين أن الجهاد هنا عام، وأكد القرطبي ذلك بأن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال، ونقل أنه ليس المراد هنا قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، وعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر^(٤). وروى ابن أبي حاتم عن الربيع أنه قال في معنى هذه الآية: ليس على الأرض عبد أطاع ربه ودعا إليه ونهى عنه إلا وإنه قد جاهد في الله^(٥).

فالمقاطعة هنا في الامتناع عن شراء ما هو مرغوب من سلع المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم فيه مجاهدة للنفس وحمل لها على ترك رغباتها انتصاراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

(١) فخر الدين الرازي، مرجع سابق (١٥/١٨٠).

(٢) أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط (٥/١٢).

(٣) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن، مرجع سابق، (٧ / ص ١٨١).

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٣ / ٣٦٥).

(٥) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم (٩ / ٣٠٨٤).

ومن ذلك قوله تعالى في الجهاد بالمال: ﴿وَأَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

ووجه الدلالة فيها أن المقاطعة الاقتصادية حربٌ مالية، والقيام بها انتصاراً للرسول ﷺ

يُشَبَّه الجهاد بالمال، والضغط الاقتصادي يعتبر من طرق الجهاد المشروع، من جهتين:

- من جهة أن بعض صور جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت حصاراً اقتصادياً، وذلك دالٌّ على إمكانية اعتبار المقاطعة الاقتصادية نوعاً من أنواع الجهاد.

- من جهة اشتراك المقاطعة والجهاد في النتيجة، وهي إيصال الضرر والأذى بالمسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم والتضييق عليهم، والنيل من قوتهم التي يستخدمونها في محاربة دين الله تعالى، فكما أن الجهاد بدفع المال لمحاربة المسيئين ودفعهم للتوقف عن ذلك، فإنه كذلك يكون بمنع تدفق المال إليهم وتقويتهم عبر شراء بضائعهم في هذا حال ثبت تأثيره في تحقيق مصلحة شرعية.

ومن الأدلة أيضاً على شرعية مقاطعة المستهزئين بالنبي ﷺ اقتصادياً قوله

تعالى: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

ووجه الدلالة في الآية أن القيام بما يمكن هو الواجب، والممكن عند إساءة بعض

الدول للنبي صلى الله عليه وسلم هو مقاطعتهم اقتصادياً، فصارت واجبة بهذا الاعتبار.

وقد استدل البعض على المقاطعة الاقتصادية بالآيات التي تنهى عن الولاء و البراء

للكافرين وتأمير بمعاداتهم^(١)، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلِغَبَا

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]. ووجه

(١) خطبة عن المقاطعة للدكتور/علي بن عمر بادحدح. انظر: موقع: إسلاميات ٢٦/٢/٢٠٠٦ م.

الدلالة أن هؤلاء قد اتخذوا رسولنا ﷺ هزواً، فوجب علينا البراء منهم، ومن البراءة من المعتدين عدم نصرتهم وإعانتهم اقتصادياً.

ويمكن الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ

الآتَرُونَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِءَ فَلَاكَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونَ ﴿٦٠﴾

[يوسف: ٥٩ - ٦٠]. ووجه الدلالة أن يوسف منع أخوته من ابتياع الطعام مع كونهم في نهاية الحاجة إلى تحصيله، وأخبرهم بأنه إذا لم تقدموا بأخيكم معكم في المرة الثانية، وفي قوله: (فلا كيل لكم). قولان: أحدهما: أنه يعني به: فيما بعد، وهو قول الأكثرين. والثاني: أنه منعهم الكيل في الحال^(١). وهذا يفيد أنه يجوز وقف التعاملات المالية بغرض تحصيل غرض مشروع، فكيف إذا كان لغرض الانتصار لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيقاف المسيئين عند حدهم، وإجبارهم على الاعتذار عن ذلك.

وأما الأدلة على المقاطعة من السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فهي كثيرة جداً، ومنها ما جاء في قصة إسلام ثمامة بن أثال، وفيها « أنه أسلم ثم قدم مكة، فقال له أهل مكة: صبوت؟ قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ^(٢). ولهذا قال عمر: لقد كان ثمامة والله في عيني أصغر من الخنزير، وإنه في عيني أعظم من الجبل»^(٣).

(١) فخر الدين الرازي، مرجع سابق (١٨ / ٤٧٨)، وابن كثير، مرجع سابق (٤ / ٣٩٨)، ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، مرجع سابق، (٢ / ٤٥٢).

(٢) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، كتاب المغازي باب وفد بني حنيفة (٤ / ١٥٨٩) رقم ٤١١٤، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه (٣ / ١٣٨٦). رقم ١٧٦٤.

(٣) أبو عبد الله أحمد بن حنبل، المسند (٢ / ٢٤٦)، وحسنه الألباني. انظر: محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل (٥ / ٤٤) برقم: ١٢١٩.

ووجه الدلالة في الحديث أن ثمامة قاطع كفار قريش بمنع السلع عنهم وهو أحد نوعي المقاطعة الاقتصادية في عدم البيع لهم، والنوع الآخر هو عدم شراء البضائع منهم عندما يوجد مقتضى ذلك، وقد أقر الرسول ﷺ ثمامة على فعله هذا، فتشعر هذه المقاطعة عند الحاجة إليها عموماً، فكيف إذا استهزأوا برسولنا ﷺ أو ظاهروا على ذلك .

وذكر بعض شراح هذا الحديث أن نهي الرسول ﷺ عن بيع السلاح في الفتنة يقاس عليه الطعام ؛ أي: القياس فيه أن يمنع من حمله إلى دار الحرب؛ لأنه به التقوي على كل شيء، والمقصود إضعافهم إلا أنا عرفنا نقل الطعام إليهم بالنص يعني حديث ثمامة^(١).

ومن الأدلة أيضاً أن الرسول الله ﷺ كان يسلك في مواجهة الأعداء وأخذ الحق منهم الضغط الاقتصادي، بل إن الغزوة العظيمة في الإسلام، وهي غزوة بدر كان سببها الضغط الاقتصادي على كفار قريش، وأخذ حق المسلمين منهم، فإن الرسول الله ﷺ خرج فيها يريد غيراً لقريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد^(٢). وهذا يدل على أن الحرب مع الكفار كانت تأخذ أحياناً صوراً اقتصادية، وذلك حيث لا يمكن غيرها، بل إن المقاطعة الاقتصادية اليوم أصبحت حرباً ذات أثر كبير.

ومن ذلك حصار المسلمين لخيبر في الحصون^(٣)، والحصار يتضمن بعض صور المقاطعة الاقتصادية، وهذا يشهد للمقاطعة الاقتصادية بجامع التضييق على الكفار في المأكل والمشرب والقوة في سبيل رد باطلهم واعتدائهم، وقد ذكر ابن حزم أن ما يتقوى به الكفار على المسلمين من دواب، أو سلاح، أو حديد أو غير ذلك لا يحل بيع شيء من

(١) أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٦/ ٢٥٥٠).

(٢) البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي باب قصة غزوة بدر (٤ / ص ١٤٥٥) رقم ٣٧٣٥، و مسلم مرجع سابق،

كتاب التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه (٤ / ص ٢١٢٠) رقم ٢٧٦٩ .

(٣) البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي باب غزوة الحديبية (٤ / ص ١٥٢٧) رقم ٣٩٢٨، و مسلم، مرجع سابق،

كتاب الجهاد والسير باب غزوة الحديبية (٣ / ص ١٤٢٧) رقم ١٨٠٢ .

ذلك منهم أصلاً، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] فالدخول إليهم بحيث تجري على الداخل أحكامهم وهنّ و انسفالً ودعاءً إلى السلم، وهذا كله محرم، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢] فتقويتهم بالبيع وغيره مما يقوون به على المسلمين حرام، ويُتكل من فعل ذلك، ويبالغ في طول حبسه^(١).

وفي زمننا قد يحتاج من يتاجر معهم أن يدخل بلادهم وتجري عليه أحكامهم، وقد لا يحتاج لدخول بلادهم، بل يستقبل الصفقة التجارية، ولكن تجري عليه قواعد التعامل الاقتصادي من النصح في تسويق السلع وبيعها ونحو ذلك مما يناقض مقاطعتهم حال الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الأدلة على الجواز أن الرسول ﷺ كان إذا استعصى عليه الكفار وآذوه دعا عليهم بما يضيق حياتهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف، فأصابتهم سنة حصدت كل شيء حتى كانوا يأكلون الميتة»^(٢). فإذا جاز الدعاء عليهم بالتضييق عند العجز عنهم جاز التضييق المباشر عليهم إذا قُدر عليه، وهو ما يُمكن مع المسيء لرسول الله ﷺ من خلال المقاطعة الاقتصادية.

ومن الأدلة على ذلك الأحاديث التي تأمر برد الكفار عن الرسول ﷺ بكل ما يؤثر فيهم، ومن ذلك قوله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»^(٣) وقد أمر

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، المحلي بالأثار، (٦٥/٩).

(٢) البخاري، مرجع سابق، كتاب التفسير باب تفسير سورة الروم (ج ٤ / ١٧٩١) رقم ٤٤٩٦، ومسلم، مرجع سابق كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الدخان ج ٤/٢١٥٦ رقم ٢٧٩٨.

(٣) أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق (٣ / ١٢٤) وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، كتاب الجهاد باب كراهية ترك الغزو (١٠/٣) رقم ٢٥٠٢، وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، السنن، كتاب الجهاد باب وجوب الجهاد (٧/٦) رقم ٣٠٩٦، وصححه محمد بن عبد الواحد أبو عبد الله ضياء الدين المقدسي، الضياء في الأحاديث المختارة (٣٦/٥)

الرسول ﷺ حسان بن ثابت وغيره من الصحابة بهجو الكفار، وأخبر أن ذلك أشد على الكفار من وقع النبل^(١). **ووجه الدلالة** أن الرسول ﷺ علل ذلك بكونه أشد عليهم من وقع النبل، فكل ما يؤثر في المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم فإنه يشرع جهادهم به، ولا أكثر أثراً على هؤلاء في عالم المادة من المقاطعة الاقتصادية.

ومن الأدلة على وجوب مقاطعة المستهزئين برسول الله ﷺ عظم حق النبي ﷺ علينا، وذلك يحتم علينا الانتصار له ﷺ ممن طعن فيه. وقد عرف ذلك عن السلف الصالح، فعمر بن عبد العزيز نهى عن حمل الخيل إلى أرض الهند^(٢)، وقال الحسن البصري: لا يحل لمسلم أن يحمل إلى عدو المسلمين طعاماً، ولا سلاحاً يقويهم به على المسلمين، فمن فعل ذلك فهو فاسق^(٣). وهذا يدل على أن المقاطعة الاقتصادية للمسيئين إلى النبي ﷺ أمر معهود سلوكه شرعاً حيث يكون الإضرار بالعدو متحققاً فيها.

القول الثاني: القول بتوقف شرعية المقاطعة الاقتصادية على إذن ولي الأمر بها:

وهذا القول قال به بعض العلماء المعاصرين، فقد سئل الشيخ الفوزان عن مقاطعة البضائع الأمريكية فقال: لا تقاطع السلع إلا إذا أصدر ولي الأمر أمراً بالمقاطعة فتجب، أما مجرد الأفراد فإن هذا من تحريم ما أحل الله تعالى^(٤). وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة في السعودية ما نصه: يجوز شراء البضائع المباحة أياً كان مصدرها ما لم يأمر ولي الأمر

(١) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، صحيح ابن خزيمة، (٤/١٩٩م)، أبو بكر أحمد بن الحسين

البیهقي، والسنن الكبرى، (١٠/٢٢٨)، وصححه المقدسي. انظر: ضياء الدين المقدسي، مرجع سابق، (٤/٤١٦).

(٢) أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المصنف (٥/٢١٢)، وأبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف (٦/٥٠٧).

(٣) ابن أبي شيبة، مرجع سابق، (٦/٥٠٧).

(٤) أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، فتاوى العلماء الكبار في الإرهاب والتدمير، وضوابط الجهاد والتكفير ومعاملة الكفار ص ٤٧٠، وانظر: محمد بن فهد الحصين، الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، ص ٢٢٥-٢٢٨.

مقاطعة شيء منها لمصلحة الإسلام والمسلمين^(١). وقد جرى على هذا القول بعض المعاصرين^(٢)، فحكم بالمنع من هذه المقاطعة محتجاً بعدم إذن ولي الأمر في ذلك .
واستدل هؤلاء ببعض الأدلة الشرعية وبعض المبررات الاقتصادية، ومرجع تلك الأدلة إلى ثلاثة أمور:

الأول: أن المقاطعة ليست من الدين^(٣)، وقد ذكر هؤلاء أن مقتضيات تشريع المقاطعة قد وُجدت في جميع عصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومع ذلك فإنهم لم يقاطعوا الكفار اقتصادياً، فموسى عليه السلام آذاه قومه وحاربه، وأدعى فرعون في زمنه الألوهية، ومع ذلك لم يأمر سيدنا موسى عليه السلام أتباعه بمقاطعة فرعون وقومه، وإخوة سيدنا يوسف عليه السلام فعلوا به ما فعلوا، ومع ذلك لما جاءوا إليه تعامل معهم اقتصادياً.

وقد آذى اليهود والنصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يأمره الله بمقاطعتهم اقتصادياً، لا انتصاراً لنفسه، ولا انتصاراً للأنبياء قبله، ولم يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بذلك، وأبو رافع اليهودي كان يسمى: تاجر الحجاز، ومع هذا لم يقاطعه المسلمون، مع أنه قد ثبت في الصحيح أن رسول الله أذن في قتله^(٤).

(١) أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، فتاوى العلماء الكبار في الإرهاب والتدمير، وضوابط الجهاد والتكفير ومعاملة الكفار، مرجع سابق، ص ٤٦٩، في فتاها رقم ٢١٧٧ بتاريخ ٢٥/١٢/١٤٢١هـ.

(٢) ومن هؤلاء الشيخ: عبد المحسن العبيكان، والشيخ السدلان. انظر: موقع جريدة الوطن السعودية، العدد (٢٤١٤) بتاريخ: الخميس ٢٣ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / ١٠ مايو ٢٠٠٧م، وموقع الشيخ: محمد حسن علوان في مقال له بعنوان: لماذا حرّم السدلان والعبيكان المقاطعة الشعبية؟

(٣) جاء ت كثير من هذه الحجج في كلام الشيخ: سعود بن محمد العقيلي في مقال له بعنوان: المقاطعة بين أدلة الشريعة وانفعالات أهلها (دراسة فقهية) وهذا المقال منشور في موقع اللجنة العالمية لمناصرة خاتم الأنبياء ٩/٣/١٤٢٩هـ / ٣/١٦/٢٠٠٨م.

(٤) البخاري، الجامع مرجع سابق، (٩١ / ٥)، رقم: ٤٠٣٩.

الثاني: أن الأصل في البيع والشراء الجواز قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥] ولا خروج عن هذا الأصل إلا لمبرر، وهذا الأصل من الأمور العامة، والواجب في مثلها الرجوع إلى ولاة الأمر.

وقد صح من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنا مع النبي ﷺ فجاء رجل مشرك مشعاناً^(١) طويلٌ بغنم يسوقها، فقال النبي ﷺ: «بيعاً أم عطية»؟ قال: لا بل بيع، فاشترى منه شاة^(٢). **ووجه الدلالة** فيه جواز البيع والشراء مع الكفار، ولا خروج عن هذا التجويز إلا بناقل عن الأصل.

ومما ذكره في أصل الجواز أن المقاطعة الاقتصادية فيها معاقبة للمرء بذنب غيره، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤].

الثالث: ضرر المقاطعة وعدم جدواها، ومنها أن بعض الثُّجَّارِ والعُمَّالِ من المسلمين في البلدان التي تمت مقاطعتها **تضرروا من المقاطعة** بفقدان عملهم وتجارتهم، ومنها أن بعض الدول قد تهدد برفع دعوى على الدول التي حصلت فيها المقاطعة بحكم اتفاقية حرية التجارة العالمية التي التزمت بها تلك الدول، وذلك يحمل الدول الإسلامية المُقَاتِعة التزامات دولية تجاه الآخرين، ومنها أن المسلمين في بلد الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم قد يتضررون كثيراً من قبل تلك الدول، ومنها أن المقاطعة **سلاح غير فعال؛ لعدم وقوف الحكومات معها**، فلن تتضرر بلاد الكفر بقدر ما يخسر التجار المسلمون، وبعض الدول المسلمة الفقيرة.

(١) المشعان: المنتفش الثائر الشعر. انظر: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو البحصبي السبتي، مشارق الأنوار (٢/٢٥٥)، وأبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين ص ٣٨٧.
(٢) البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب (٢/٧٧٢) رقم ٢١٠٣، ومسلم، مرجع سابق، كتاب الأشربة باب إكرام الضيف (٣/١٦٢٦) رقم ٢٠٥٦.

وهناك من قال بأن المقاطعة الاقتصادية عمل لا يلائم العولمة^(١)، ولعلَّ البعض يجعل من مبررات ترك المقاطعة الاقتصادية أن منتجات الغرب عموماً ذات جودة مميزة لا توجد في غيرها.

المناقشة والترجيح:

أما أدلة القول الأول فلا اعتراض عليها إلا ما قد يقال من جهة الاستدلال بالآيات التي تنهى عن ولاء الكفار، وقد يعترض عليه بأن الأصل في البيع والشراء مع الكفار الجواز ولا يلزم من ذلك الولاء، وقد يجاب على ذلك بأن المقاطعة الاقتصادية في مثل حادثة الإساءة للنبي ﷺ تدخل في الولاء، خصوصاً في الوقت الذي تظهر جدواها، وتنعدم أو تقل أو تضعف غيرها من الوسائل في الرد على المسيء لرسول الله ﷺ .

وأما أدلة القول الثاني فإن قولهم بأن المقاطعة لا أصل لها في الدين مردود بما ذكرناه من السوابق النبوية في شرعية الحصار الاقتصادي، و أصرحها حديث ثمامة بن أثال، ولو سلمنا جدلاً بعدم ورود سوابق شرعية في ذلك فإن ذلك ليس دليلاً على تحريم المقاطعة الاقتصادية؛ لأن هذا الأمر مما تحكمه المصلحة، وليس في نصوص الشرع ما يُحرِّم هذا النوع من الحرب، فلكل زمن أسلحته الجهادية والحربية المستخدمة ضد الأعداء.

وأما ذكره من سيرة موسى ويوسف عليهما السلام فلا حجة فيه؛ لأن الاحتجاج بشرع من قبلنا - على الخلاف فيه- لا عبرة به إذا جاء شرعنا بخلافه^(٢)، بل لو لم يأت

(١) عمار بكار، جاء ذلك في مقال له حول لمقاطعة الاقتصادية، في موقع: العربية نت بتاريخ: ١٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ ١٧ إبريل ٢٠٠٦م.

(٢) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، البرهان (١ / ص ٣٣١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى (١/١٦٥) .

في شرعنا ما يدل على جواز المقاطعة الاقتصادية للكفار في حال الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأت نص بالنهي عن ذلك، وثبتت المصلحة في هذه المقاطعة فإن ذلك يجعلها مشروعة، لأن الشريعة قد عُهد منها اعتبار النظر في المصالح والمفاسد، وهو ما ينطبق على المقاطعة الاقتصادية التي ظهر تأثر الدول المسيئة بها، ويظهر فيها الانتصار لرسول ﷺ، وقد سبق ذكر منع يوسف الكيل عن إخوانه حتى يأتوه بأخيه ودلالته على التهديد بالمقاطعة الاقتصادية.

وقد ذكر العلماء أنه لا يمتنع أن تكون المصلحة لأمة نبي في شيء، ومصلحة أمة أخرى في غيره^(١)، وذلك أن الشرائع إنما شرعت لمصلحة المكلفين وربما كانت المصلحة لمن قبلنا في شيء والمصلحة لنا في غيره^(٢).

وأما كون بعض اليهود كأبي رافع وغيره كانوا تجاراً في المدينة المنورة، ولم يقطعهم المسلمون، فالجواب عنه أن المسلمين كانوا في قدرة من إقامة الحد على المستهزئ بالرسول ﷺ كما حدث مع أبي رافع حين أرسل إليه الرسول ﷺ من يقتله، فلم تكن للمقاطعة الاقتصادية حينها حاجة، ثم إن استعمال الرسول ﷺ للسلاح الاقتصادي في الأحاديث السابقة دالٌّ بمفرده على المشروعية، وعدم استخدام الشرع لذلك أحياناً ليس دليلاً على التحريم، بل هو دليل على رجوع ذلك إلى ما تقرُّره المصالح والمفاسد، وقد ثبتت اليوم جدوى المقاطعة الاقتصادية كسلاح قوي للرد على من قام بالعدوان على رسول الله ﷺ، والاستهزاء به.

وأما القول بأن الأصل في البيع والشراء مع الكفار الجواز فهو صحيح من حيث الأصل، ولكن القول بأن ما سواه يتوقف على أمر الإمام فلا وجه له هنا لعدة أمور:

(١) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، العدة في أصول الفقه (٣/ ٧٦٣).

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، التبصرة في أصول الفقه (ص: ٢٨٧).

الأول: أن الحكام اليوم فيهم من الضعف ما يحتم على الأمة القيام بواجبها دون النظر إلى إذنها؛ لأن هؤلاء الحكام قد كُتِلوا بمعاهدات تجارية تمنع عليهم تبني المقاطعة رسمياً، وليس معنى ذلك إقرارهم على هذا الضعف، بل يجب مطالبتهم بفعل ما يُخرجهم عن التبعية للغرب، مع القيام بالواجب الشرعي الذي ثبتت مصلحته دون انتظار إذنها والحالة هذه؛ لأن ما ثبتت مصلحته بالشرع فإنه يشرع القيام به دون توقف شرعيته على إذن ولي الأمر.

الثاني: أن في حديث ثمامة ما يرد القول بتوقف المقاطعة على إذن ولي الأمر؛ لأن ثمامة بن أثال قد قاطع الكفار دون رجوعه إلى إذن سابق من النبي ﷺ، ولم ينكر عليه ﷺ ذلك عندما بلغه، فإذا كانت الأنظمة الإسلامية الحاكمة قد ارتبطت باتفاقيات دولية تلزمها بفتح أسواقها للمنتجات والاستثمارات الأجنبية باسم: حرية التجارة العالمية، فإن من حق الشعوب أن تعمل وتساهم في تخفيف حدة هذا الضعف، وذلك بأن تقوم بواجبها الذي عجز عنه الحكام، وإذا قام الحاكم بواجبه وجب على الأمة متابعتها ليقوى أثر المقاطعة على الأعداء، وإذا قصر في ذلك قام الرعية بما يقدرون عليه.

وأما الاستدلال بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُزْرُ وَزْرُهُ وَزَرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]. فجوابه أنه قد اتضح أن العمل الذي قام به شخص أو فرد في فرنسا أو غيرها لم تستنكره الدولة الفرنسية، بل دافعت عن هذا العمل، واعتبرته جزءاً من حرية التعبير، وقد سبق من رأس هذه الدولة الهجوم على دين الإسلام، فكان موقفها موقف المؤيد لفتنة أشعلت نارها في بلادها، فتلك الحكومة تستحق العقوبة من خلال المقاطعة الاقتصادية.

أما الاحتجاج لمنع المقاطعة بالضرر الذي يحصل من المقاطعة فالجواب عنه عموماً أنه لا شك أن هنالك بعض الأضرار الناتجة عن المقاطعة، ولكن هل تلك الأضرار صالحة للتأثير في حكم المقاطعة مقابل ما يحصل من المصالح كنتيجة للانتصار لحرمة الشرع الإسلامي، ومقاطعة المستهزئين بالنبي ﷺ؟ الجواب: لا. فالاحتجاج بأن المقاطعة تؤثر

على بعض التجار لا عبرة به؛ لأن القاعدة الشرعية تقول: مصلحة الأمة مقدمة على مصلحة الأفراد^(١)، والتجار نسبة قليلة في الأمة، فلو تضرر بعضهم فإن هذه المفسدة لا تُقارن بمصلحة الأمة في الإضرار باقتصاد الأعداء انتصاراً لرسول الله ﷺ، بل إن الضرر الأعظم إنما يكون في ذل المسلم وتلفه إلى المال من وراء تعامله مع الكفار والحالة هذه، وقد قال مسعر بن كدام: من صبر على الخل والبقل لم يُستعبد^(٢)، وقال محمد بن مبارك الصوري: كذب مؤمن ادعى المعرفة بالله ويدها ترعى في قصاع المستكثرين، ومن وضع يده في قصعة غيره ذلت رقبته^(٣)، وهذا السلوك ينبغي مراعاته مع الخلق عموماً والظلمة خصوصاً، فكيف إذا كان من كافر مستهزئ برسول الله ﷺ؟

وأما القول بتأذي المسلمين في فرنسا وغيرها من الدول التي تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم بسبب المقاطعة الاقتصادية فالجواب عنه أن الهجمة ضد المسلمين في فرنسا وغيرها مستمرة قبل هذه الحادثة وبعدها ضمن هجمة مخططة على الإسلام والمسلمين، وقد سبقت من تلك الدول تصريحات تدل على الطعن في الإسلام، والمسلمون في كل مكان متحمسون للمقاطعة الاقتصادية، وراضون موقفون بما يقع لهم في سبيل دفاعهم عن النبي ﷺ.

وما ذكره من أن الدول المسلمة ستكون خسارتها بسبب المقاطعة أكبر فجوابه قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْ أَقْلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ^٤ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ^٥ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [التوبة: ٣٨] مع أن كثيراً من تلك البضائع ليست من السلع الضرورية ضرورة

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات (٢/٣٦٧)، والاعتصام، (٢/١١٩).

(٢) أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء (٧/٢١٩)، أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة الحفاظ (١/١٨٩).

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، مرجع سابق (٩/٢٩٨).

معتبرة شرعاً. وقد ذكر الإمام الجويني عند الكلام عن الرُّخص عند شيوع الحرام أنه إذا تمكن الناس من تحصيل ما يحل، فإنه يتعين عليهم ترك الحرام، واحتمال الكلِّ في كسب ما يحل^(١)، وبهذا ظهر أن على الأمة أن تتحمل بعض المشقة في سبيل إيقاف أو تخفيف الاعتداء على الإسلام، واطاعة نصب أعينها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۗ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۗ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۗ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۗ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

ومع أهمية المقاطعة الاقتصادية فإن هناك واجباً آخر معها، وهو بذل الجهود لتحقيق الاكتفاء الذاتي للأمة الإسلامية، وأن تكون المقاطعة مخططة ومنظمة وموجهة؛ لتقليل خسائر الدول الإسلامية ما أمكن، وإلحاق أكبر خسارة ممكنة بالمسيئين، مع ملاحظة أن المقاطعة حرب ضد الأعداء، ولا توجد حرب دون تضحيات، وإظهار الغيرة للنبي ﷺ تفوق قيمتها المعنوية الخسائر المادية، وقد أظهرت المقاطعة أن الخروج من التبعية الاقتصادية للغرب أمر ممكن لو صدقت النوايا، وهذا يشجع المتخوفين من المسلمين وأنظمتهم على الاستغناء عن الغرب وصناعاته.

وأما القول بأن المقاطعة سلاح غير فعال فترده التقارير الصادرة وأقوال أهل الاختصاص في آثار المقاطعة الاقتصادية، ورده مراجعة حجم التبادل التجاري للأعداء مع الدول الإسلامية، فلو لم تؤثر المقاطعة لما تصدرت تلك الدول لعقد لقاءات تلفزيونية وغيرها للدعوة لترك المقاطعة، فالمقاطعة سلاح القوي الذي يملك القدرة على الاستغناء عن عدوه، وبهذه المقاطعة يتحقق هدفان، أحدهما: الإغذار إلى الله تعالى بفعل ما يقدر عليه المسلم، وهو متحقق بالمقاطعة، الثاني: التنكيل بالعدو، وهذا الهدف يشهد الواقع بتحقيقه.

(١) أبو المعالي الجويني، غياث الأمم والنبيا والظلم ص ٣٥١ .

وأما القول بضعف المقاطعة؛ لأنها ليست حكومية، فجوابه أن الشعوب هي التي تشتري، وهي التي تبيع، وما وجب وثبتت مصلحته شرعاً لا يسقط القيام به بسبب عجز بعض الناس عنه، بل من قدر عليه ذلك وجب عليه القيام به.

وأما الاحتجاج بإمكانية تهديد الدول للدول التي تشجع المقاطعة فجوابه أن هذا لا ينبغي أن يضعف العزائم، بل ينبغي أن يكون دافعاً للحكام المسلمين للمطالبة بتعديلات لتلك القوانين ليتمكنوا من الدفاع عن دينهم، إضافة إلى أن ذلك ينبغي أن يجعل المسلمين يلوّحون باستخدام سلاح النفط وغيره للدفاع عن دينهم، فالدول المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم إنما تعتمد على قانون القوة، وليس على قوانين منظمة التجارة .

وأما ما يقال من أن الدول الإسلامية قد وقّعت على اتفاقية حرية التجارة، وذلك يوجب الوفاء بها، فجواب ذلك أن اتفاق الدول لا يُعطلّ أمراً شرعياً، فالمسلمون يجب أن يلتزموا بشرع الله تعالى، وأن لا يعقدوا أي اتفاق فيه تعطيل لأحكام الإسلام، وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك فقال: « من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فهو باطل، وإن اشترط مائة شرط، شرط الله أحق وأوثق » (١).

وأما القول بأن المقاطعة عمل لا يلائم العولمة فجوابه أن هذه المثالية العمياء يردها النظر إلى مآسي المسلمين في عالم العولمة جراء المقاطعات التي قامت بها دول الكفر للعراق والسودان وغيرهما مما سبب موت الملايين جوعاً ومرضاً.

وأما القول بأن المقاطعة إذا عادت بمفاسد فإنها لا تشرع، فجوابه أن دفع الظلم لا بد معه من أضرار، وإنما العبرة في مدى قوة هذه الأضرار على التأثير في الحكم مقابل ضرر التهاون مع من يستهزئ بالرسول ﷺ، فلو اعتبرنا أي ضرر ينتج عن فعل الطاعة مانعاً من فعل تلك الطاعة لما قام أمر شرعي أبداً، حيث والمفاسد العارضة لفعل الأوامر الشرعية

(١) البخاري، الجامع الصحيح مرجع سابق، كتاب البيوع باب البيع والشراء مع النساء (٨ / ١٠١) ٢١٥٥.

يقابلها مصالح أعظم، إذ التكليف لا يخلو من مشقة، ولو لم تكن إلا مجاهدة النفس والهوى، ولكن المؤمن الصادق حين يترقى في مراتب العبودية لا يجد لتلك المشاق أثراً، بل ربما ارتقت روحه واستلذ كل مشقة في سبيل الله تعالى والانتصار لنبيه الكريم ﷺ.

وأما ما قد يقال من جودة ما يصنعه هؤلاء، فالجواب عنه أن المؤمن لا ينبغي أن يحرص على رفاهية نفسه وإعطائها كمالياتها في حين يرى عدوه ينال من دينه وعقيدته، وقديماً قال بشر الحافي: من أحب الدنيا فليتهياً للذل^(١). والاحتجاج على منع مقاطعة أعداء رسول الله ﷺ بجودة منتجاتهم يجعل الأمة تفقد أعظم قضاياها إشاراً للكماليات، وقد ذكر الشيخ محمد رشيد رضا أن بعض المسلمين يرى أنه لو اشترى من اليهودي ما يوفر له نصف قرش فيما لو اشتراه من أخيه المسلم لرجح الشراء من اليهودي، ثم ذكر أن سبب حبوط مقاطعة العرب لليهود في فلسطين كانت أشياء كهذه، وبين أن الضرر الذي يصيب المسلم من ذلك أعظم ألف مرة من ضرر تلك الفروق الزهيدة^(٢)!!

الترجيح:

من خلال مناقشة أدلة الفريقين يظهر رجحان القول بمشروعية المقاطعة الاقتصادية للمسيئين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تتوقف مشروعيتها على إذن ولي الأمر بها، فإن المقاطعة قد ظهر أثرها في إغاظه الدول التي تسيء للنبي صلى الله عليه وسلم، والتضييق عليهم، خصوصاً أن الأمة الإسلامية تبلغ قريباً من الملياري مسلم، وما ينشأ عن المقاطعة من مفاسد إنما هو بسبب عدم التخطيط والاستفادة من الأحداث، وقديماً ذكر

(١) أبو الفداء اسماعيل بن كثير، البداية والنهاية (١٠/٢٩٨).

(٢) مجلة المنار المنشورة في رجب - ١٣٤٩هـ، الموافق ديسمبر ١٩٣٠ م.

الإمام الغزالي أن من ترك الترتيب في جميع الأمور فهو مغرور^(١)، وقد ذكر الإمام الشاطبي أن الأمور الضرورية إذا اكتنفها من خارجها أمور لا تُرضى شرعاً فإنها لا تترك، بل لا بد من الإقدام على جلب المصالح مع شرط التحفظ بحسب الاستطاعة من غير حرج^(٢).

والاقتصاد اليوم هو أعظم قوة للدول، فإنعاش الدول المسيئة للمسلمين بالاستيراد منها مشاركة في تقويتها، وقد انحصرت وسائل الأمة في دفع العدو وكسر شوكته في المقاطعة الاقتصادية، ويؤيد ذلك أقوال العلماء في عدم جواز التعامل مع الحربيين بما يقويهم على المسلمين، وذلك كمنع بيع السلاح منهم^(٣)، ومنع بيع الحديد؛ لأنه أصل السلاح^(٤)، و منع بيع العنب لمن يُعلم أنه يتخذه خمراً^(٥)، بل نص بعض العلماء على أنه لا يجوز بيع الطعام من الحربي في غير الهدنة، وذكروا أن من حمل إلى الحربيين الطعام فهو فاسق^(٦).

ومأخذ هذه الأحكام كلها عدم معاونة الأعداء فيما يقويهم، والقوة في كل المجالات مبنية على الاقتصاد، فلا ريب في وجوب المقاطعة حيث ظهر تأثيرها، فلو أن المسلمين

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين ج٣/٤٠٤، و مما يذكر في هذا المصيرين عندما قاطعوا منتجات بريطانيا بادر أحد المصريين وهو طلعت حرب بإنتاج مصنع للطرايش المنتشرة في مصر للاستغناء عن مصنع بريطاني كان يقوم بنفس المهمة .

(٢) الشاطبي، الموافقات، مرجع سابق (٢١٠/٤).

(٣) أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني، بدائع الصنائع (١٤٢/٧)، وأبو زكريا محيي الدين النووي، روضة الطالبين (٣٩٨/٣)، وأبو الحسن علي بن سليمان المرادوي، الإنصاف (٣٢٧/٤)، وعبد الله محمد بن محمد الحطاب، مواهب الجليل (٢٥٤/٤) .

(٤) زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري، البحر الرائق (١٥٤/٥) .

(٥) محمد بن أحمد السرخسي، المبسوط (٢٦/٢٤)، وأبو محمد عبد الله بن أحمد قدامة، الكافي في فقه ابن حنبل (١١ / ٢) وأبو زكريا محيي الدين النووي، روضة الطالبين، مرجع سابق، ٤١٦/٣، وعبد الله محمد بن محمد الحطاب، مواهب الجليل، مرجع سابق، ٢٥٤/٤ .

(٦) ممن قال ذلك بعض المالكية انظر: محمد بن يوسف بن أبي القاسم بن يوسف أبو عبد الله المواق المالكي ، التاج والإكليل (٢٥٤/٤).

عند كل اعتداء يحصل لهم يقاطعون تلك الدول مع إيجاد البدائل الممكنة، لاستغنى المسلمين عن كثير من البضائع الغربية، وأوجدوا بديلاً لها من تجار المسلمين وشركاتهم، وفي ختام هذه المسألة ينبغي التنبيه إلى ثلاثة أمور متعلقة بالمقاطعة الاقتصادية:

الأول: من اشترى سلعة من سلع الدول التي ينبغي مقاطعتها وقد دفع ثمنها فلا ينبغي أن نُحرّم عليه أكلها أو استخدامها، مع الحذر من أن تكون هذه السلعة جديدة الشراء، وذلك لعدم وجود منع رسمي من استقبال تلك السلع، وقد يقال بمشروعية إخفاء تلك السلع؛ لأن استمرار رؤيتها في أيدي الناس قد يُهوّن في نفوسهم رؤية أموالهم تساق إلى أيدي المتعدين على حرّامات الإسلام وشعائره .

الثاني: ينبغي تحديد مدة المقاطعة والهدف الذي يتحدد من خلاله المدى الزمني لها؛ لأن هذا يجعل القضية منضبطة شرعاً، كما أنه يجعلها واقعية وغير خاضعة لعواطف مؤقتة، لإغلاق الباب في وجوه المخدّلين الذين يقولون بأن هذه المقاطعة إنما نتجت عن تأثير عاطفي غير مدروس ولا واقعيّ، وهذا التحديد يجب أن ترجع الأمة فيه إلى أولي العلم والبصيرة في الجانب الشرعي والجانب الاقتصادي؛ لأن المقاطعة نوع من الجهاد، وقد قال ابن خويز منداد: واجب على الولاة مشاوراة العلماء فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم من أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلّق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلّق بالمصالح^(١)، وقال ابن تيمية: الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدنيا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين؛ فلا يؤخذ رأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا^(٢).

وفي حديث ثمامة بن أثال شاهد على إيقاف المقاطعة بأمره ﷺ حين ظهرت في

(١) الخطاب، مرجع سابق، (٣/٣٩٥).

(٢) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، الفتاوى الكبرى ٥/٥٣٧.

ذلك المصلحة، وبهذه الضوابط نحفظ أفعالنا من التسرع والانهازم، لأنه إذا تم التسرع في إيقاف المقاطعة قبل تحقق الأمر المطلوب من المستهزئين برسول الله ﷺ ستعود تلك الدول إلى الإساءة تحت أي مسمى، ومع هذا فإن الأمة إذا قدرت على إيجاد البديل الإسلامي للسلع فيكون الحكم حينئذ الجواز من حيث الأصل، وقد يجب وجوب إعداد القوة، لأن الاكتفاء الذاتي يعد اليوم مؤشر قوة وهيبة، وذلك ما نحن مأمورون به شرعاً .

الثالث: إن المقاطعة ليست بحد ذاتها مستوفية لحق النبي ﷺ ممن استهزأ به؛ لأن هذا القول فيه خلط بين حقه ﷺ وبين واجب الأمة، فأما حقه ﷺ فإنه لا يسقط بذلك، وأما واجب الأمة فهو النصر، والمقاطعة هي إحدى طرق النصر، ولهذا فلا حرج أن تُحدّد تلك المقاطعة بزمان محدود يكون فيها مطالب معينة، ويُستصحب في تحديدها عظم جريمة الاستهزاء بالنبي ﷺ والنظر في المصالح والمفاسد، فعاد ابتداء المقاطعة وانتهائها إلى النظر في المصالح والمفاسد.

وبعد هذا لا يسعنا إلا القول بأن المقاطعة الاقتصادية وسيلة شرعية ثبتت جدواها، ويُراد بسلوكها قيام الأمة بما تقدر عليه من واجب تجاه من يسيء إلى رسول الله ﷺ، والتنكيل بالمعتدي، وإلزامه بالإقلاع عنه .

المطلب الثالث:

التأصيل القانوني للمقاطعة الاقتصادية

إن سبب التأصيل القانوني لهذه المسألة أنه يمكن لبعض الدول أن تستخدم منظمة التجارة العالمية في الضغط على الدول في حال قاطعت بصفة رسمية بحجة مخالفتها لاتفاقيات تلك المنظمة التي وقعتها عدد من الدول العربية، والتي تقضي بفتح كل الدول أمام التجارة الأجنبية، وهذا يعني أن يتمتع العدو بأموال المسلمين في حين يطعن في عقائدهم، فرأينا تأصيل المقاطعة قانونياً في ضوء قواعد الاتفاقية العامة للتعريف والتجارة (gatt) التي تمت في جنيف عام ١٩٤٧م بحضور ممثلي ثلاث وعشرين دولة، وتبعها

عليها أغلب دول العالم^(١)، ونتج عن ذلك إنشاء: منظمة التجارة العالمية. ومن أهدافها: إزالة القيود أمام الأعمال التجارية، والتوسع في التبادل التجاري، وفتح أبواب حرية التجارة وجميع النشاطات الاقتصادية في كل دولة^(٢).

وهذه الاتفاقية إنما تخدم مصالح الدول الكبرى المصنّعة؛ لأن تلك الدول هي التي تصنع وتقوم بالتصدير، بخلاف الدول النامية التي لا تتمتع بهذه الميزة، بل قد تُمنع من صناعة كثير من الضروريات ضمن خطط وسياسات الدعم المتوهمة من قبل صندوق النقد الدولي، وإذا صنعت وكانت سياستها تتعارض مع سياسات العالم الغربي تجاه الإسلام فإنها تُحاصر وتُمنع من تصدير منتجاتها، فتضطر إلى الاحتيايل في تصديرها وعرضها بأسعار زهيدة، أو تستهلك حاجتها منها دون القدرة على التصدير، فالدول النامية تضررت كثيراً بهذه الاتفاقية، وانتهكت بسببها سياساتها الداخلية، كما أكد ذلك تقرير غربي^(٣)، وهذا هو ما سماه رشيد رضا في صورة مثيلة لها عام ١٩١٨م: الانقلاب الاجتماعي الأكبر^(٤). فتشريعات المقاطعة أسستها دول الكفر كضرورة تستخدمها متى تريد، وإلا فأين كانت تلك القواعد عند الحظر على العراق والسودان وغيرهما.

والمقاطعة الاقتصادية ثلاثة أنواع: الأول: أن تكون مقاطعة من دول الأمم المتحدة

ضد دولة أو دول، وقد نص ميثاق الأمم المتحدة في المادة (٤١) على حق مجلس الأمن

(١) د: محمد عمر الحاجي، حقيقة الجات ص ١٥.

(٢) د/ محمد عبد الرشيد علي، كتاب العولمة اتفاقية التجارة الدولية، وآثارها على اقتصاديات البلدان النامية (الحالة اليمنية) ص ٨٢، د/ عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، (٢/٢٤٧).

(٣) راجع في هذا التقرير مجلة البيان العدد ٩٩ ذو القعدة ١٤١٦هـ/إبريل ١٩٩٦م.

(٤) مجلة المنار محمد رشيد رضا مبادئ الانقلاب الاجتماعي الأكبر، بتاريخ: ربيع الأول ١٣٣٧هـ الموافق ديسمبر

١٩١٨م.

في اتخاذ التدابير ضد الدول المخالفة للميثاق، ومن ضمن تلك التدابير وقف الصلات الاقتصادية، موضحاً أن استخدام المقاطعة الاقتصادية سلطةً تخوّل لمجلس الأمن^(١).

النوع الثاني: المقاطعة الاقتصادية الرسمية من دولة ضد دولة أو عدة دول معتدية بسبب حرب أو خلاف ونحوه^(٢)، والقانونيون يؤكدون أن هذا النوع تؤكد السوابق الدولية فيه حق الحكومات في الحث على المقاطعة الاقتصادية وتقنينها في حال الاعتداء عليها^(٣).

وليس في القوانين ما يمنع من وقع عليه الظلم أن ينتصف من عدوه، بل القوانين الدولية تؤكد إمكانية المعاهدات بأسباب حددها القانون الدولي، ومنها تنافي المعاهدات مع إحدى قواعد القانون الدولي التي تثبت بعد إبرامها، أو تعارضها مع التزامات عامة ارتبطت بها أطراف تلك المعاهدة فيما بعد^(٤).

وبعض فقهاء القانون الدولي يرون عدم انتهاء المعاهدات بأسباب الحرب ونحوها، ولكنهم يؤكدون حق الطرف المتضرر في إيقاف تنفيذ تلك المعاهدات إلى حين عودة السلام، ويكون هذا الفعل منسجماً مع قواعد القانون الدولي^(٥)، والعودة للسلام مع المسلمين في حوادث الإساءة للنبي صلى الله عليه وسلم إنما تكون بإيقاف هذا الاعتداء والاعتذار عنه.

(١) د: محمد السعيد الدقاق، التنظيم الدولي (النظرية العامة - الأمم المتحدة) ص ٣٤٠

(٢) ومن أمثلتها المقاطعة التي فرضتها البلدان العربية على المنتجات الصهيونية في فلسطين المحتلة، تطبيقاً لقرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ١٦، الدورة الثانية في ١٢/٢/١٩٤٥م، بغرض إعاقة تمكين الصهاينة من تحقيق وطن قومي لهم في فلسطين.

(٣) مقال: المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية د: سعد بن مطر العتيبي. منشور على موقع اللجنة العالمية لمناصرة خاتم الأنبياء .

(٤) د: محمود سامي جنيبة، القانون الدولي العام ص ٤٥٧، د: علي صادق أبو هيف، القانون الدولي العام ص ٤٨٨.

(٥) د: حسن غازي صباريني، الوجيز في مبادئ القانون الدولي العام ص ٦٨ .

والقانون الدولي يُجيز للدول أن تنسحب من معاهدة مرتبطة بها إذا استدعى ذلك تعبير الظروف المحيطة بها فيما يهدد كيائها ورفيها الضروري^(١). وعلى كلِّ فإن الإساءة للرسول ﷺ تعتبر دلالة واضحة على عدم الرغبة في السلم مع المسلمين، وتعتبر تهديداً لهم في أعظم عقائدهم، والقيام بها يتنافى مع التزامات تلك الدول باحترام حقوق الدول الأخرى كما في اتفاقيات الأمم المتحدة^(٢)، فالاستهزاء بالإسلام أو نبيه ﷺ على كل الأوجه القانونية يعد مبرراً قوياً للخروج عن المعاهدات المبرمة مع هؤلاء أو تعليق العمل بها إلى حين، وهذان النوعان من المقاطعة قانونيان بغض النظر عما قد يقع في تطبيقهما من ظلم للآخرين، وذلك بالنظر إلى ما سببته هذه المقاطعة الأممية من الإفقار والتجويع في كلِّ من العراق والسودان وغيرها .

وأما النوع الثالث: وهو المقاطعة الاقتصادية الشعبية التي يفرضها ويتولّى تطبيقها الأفراد، أو الهيئات غير الرسمية؛ بغرض تدعيم اقتصاد دولتهم، أو بدافع الغيرة الدينية فليس في القوانين والأعراف الدولية ما يمنع ذلك، بل فيها ما يسند هذه المقاطعة، والمتفحص لحقوق المستهلك التي أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٩ إبريل ١٩٨٥ م برقم ٣٩/٢٤٨ يجد أن الحق الرابع فيها هو الحقُّ في الاختيار، وهذا الحق يضمن للمستهلك أن يكون حراً في اختيار البضاعة أو الخدمة التي يرغب فيها، ويكون ذلك من خلال توفُّر بضائع وخدمات متنوعة تضمن للمستهلك المقارنة بين الأسعار والجودة دون أي إكراه أو ضغط من أي أحد^(٣).

ولا يوجد مستند قانوني دولي يحتمل الدول مسؤولية التصرفات الشعبية السلمية التي لم تشارك فيها سلطاتها، وقد ذكر شراح القانون الدولي أن الأصل القانوني يقرر أن الدول

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢ .

(٢) د: علي مكرد محمد العواضي، مرجع سابق، ص ٢٤٣ .

(٣) موقع منظمة الدفاع عن المستهلك، والموقع العربي لحقوق المستهلك، وموقع المنظمة الدولية للمستهلكين .

لا تُسأل عن أفعال الأفراد العاديين التي تنطوي على اعتداء على الدول الأخرى^(١). فالمقاطعة الشعبية ذات سند قانوني باعتبارها حقاً من حقوق المستهلك، فكيف لو كان ذلك إنما جاء رداً على اعتداء وقع عليه من قبل أصحاب السلع التي امتنع عن شرائها؟ والقوانين تكفل الرد على الاعتداء من الدولة المسيئة لهذه الشعوب، والسوابق التاريخية الشعبية تؤكد حق الشعوب في سلوك المقاطعة الاقتصادية كرد من الردود التي تسلكها تلك الشعوب تجاه من يعتدي عليها، ولعل أعظم واجب على من يعترضون على هذه المقاطعة أن يعملوا على منع أسباب حصول هذه المقاطعة من الاعتداء والإساءة للآخرين .

(١) د: حسن غازي صباريني، مرجع سابق، ص ٢٦٣، ود: أبو هيف، القانون الدولي العام مرجع سابق، ص ٢٠٦.

المبحث الثالث

المقاطعة السياسية للمستهزئين بالنبي ﷺ

إن الأصل في العلاقات بين الدولة الإسلامية وبين غيرها أن يُنظر فيها إلى مصلحة المسلمين، فإن تصرفات الحاكم منوطة بمصلحة الرعية كما نص على ذلك العلماء^(١)، والناظر في تاريخ علاقات الدولة الإسلامية بغيرها يلاحظ وجود بعض العلاقات المبنية على الدعوة، أو توثيق المعاهدات، أو إعلان الحروب، وقد أرسل الرسول ﷺ كثيراً من أصحابه الكرام إلى بعض الملوك يدعوهم إلى الإسلام^(٢)، وقد تتبع بعض الباحثين عدد الرسل الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى الملوك من العرب والعجم فبلغوا خمسة عشر سفيراً^(٣)، وما الختم الذي اتخذهُ الرسول ﷺ ومن بعده من الخلفاء إلا سبباً للمراسلات كما في التراتيب الإدارية^(٤).

وقد استمر ذلك فيما بعد، فقد أرسل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعض الصحابة إلى ملك الروم^(٥)، وأرسل عمر بن عبد العزيز إلى ملوك السند يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا وغيروا أسماءهم إلى أسماء عربية^(٦)، وأرسل عبد الملك بن مروان الإمام الشعبي إلى ملك الروم^(٧)، وكانت تلك البعث تقتصر على مهمتها ثم تعود، وهذا يُسمّى اليوم: (الدبلوماسية

-
- (١) أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الأشباه والنظائر ١٤٠٣ ص ١٢١ وقال: هذه القاعدة نص عليها الشافعي.
- (٢) البخاري، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير باب دعوة اليهودي والنصراني، ١٠٧٤/٣، رقم ٢٧٨٠، ومسلم مرجع سابق، كتاب الجهاد باب كتب النبي إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله ١٣٩٧/٣ رقم ١٧٧٤.
- (٣) محمود شيب خطاب، سفراء النبي ﷺ، ١٦/١-١٧.
- (٤) الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، (١/١٧٧).
- (٥) أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، مرجع سابق، (٤/٤٧٨)، وشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء ٧٨/٣.
- (٦) أبو الحسن علي بن محمد ابن الأثير، الكامل في التاريخ، (٤/٣٢٣)، وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، فتوح البلدان (١/٤٢٩).
- (٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، (٤/٣٠٤).

الطائرة)^(١)، أما الصورة المعاصرة في التمثيل الدبلوماسي فإنها لم تكن معهودة قديماً، وإن كان بعض العلماء قد يخرّجها على قول بعض فقهاء الحنابلة بجواز عقد الأمان لكل من الرسول والمستأمن مطلقاً ومقيداً بمدة طويلة أو قصيرة^(٢).

وقد جاءت العلاقات اليوم بعد معاهدات الأمم المتحدة التي أسست لعرف دولي اقتضى بناء العلاقات على مبدأ السلم العالمي، وهذه المعاهدات نفعت المسلمين في ظل ضعفهم؛ إلا أنها قد أضرت بهم في جوانب كثيرة، حيث استمرت بلاد المسلمين السلام من طرف واحد، فضعفت عقيدة الولاء والبراء، بحيث صرنا نرى اعتداء بعض الدول على المسلمين في دينهم وعقيدتهم، ومع ذلك بقيت العلاقات السياسية معهم قائمة بناء على تلك المعاهدات التي يلتزم فيها طرف واحد، بل يظل تبادل الزيارات والتفاهي معهم قائماً!! مع أن الواجب استخدام هذه العلاقة في الضغط عليهم، وإن كان هذا الأمر لم يأخذ من الأهمية لدى الأعداء ما أخذته المقاطعة الاقتصادية مما يُبين عبوديتهم للمادة، ولم نجد من العلماء من يعارض سلوك المقاطعة السياسية مع المعتدين على عقائد المسلمين ومقدساتهم إذا اقتضتها المصلحة^(٣)، وستكلم عن حكم المقاطعة السياسية للمسيئين للنبي ﷺ شرعاً وقانوناً في ثلاثة مطالب كما يلي:

المطلب الأول:

تعريف المقاطعة السياسية

التعريف اللغوي: أما كلمة المقاطعة فقد سبق الكلام عنها في المطلب السابق، وأما كلمة السياسية فالفعل منها: ساس، ومعنى: ساس الأمر سياسةً: قام به، وسوّسه القوم أي:

(١) أحمد سالم محمد باعمر، الدبلوماسية في العصر الإسلامي والقانون الدولي (دراسة مقارنة) ص ٧٣.

(٢) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة، المغني (٩/١٩٧).

(٣) اقتضت الأمانة العلمية بيان أنه قد خالف في هذا ابن باز رحمه الله حيث أجاز إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية مع اليهود في ظل احتلالهم لفلسطين، مُرجعاً ذلك إلى نظر كل حاكم لمصلحة بلاده. انظر: د: محمد بن سعد الشويعر، مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٨/ ٢٢٣) وقد رد عليه حينها كثير من العلماء.

جعلوه يسوسهم^(١)، وساس السلطان أي: أحسن النظر إلى رعيته^(٢)، وساس الناس سياسة: تولى رياستهم وقيادتهم^(٣)، فالسياسة لغة: قيادة الناس ورئاستهم، وإحسان النظر في أمورهم.

التعريف الاصطلاحي: عرف الكفوي السياسة اصطلاحاً بأنها: استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجّي في العاجل والآجل^(٤)، وقال النسفي: السياسة: حياطة الرعية بما يصلحها لطفاً وعنفاً^(٥).

وأما معنى السلك السياسي (الدبلوماسي) فقد جاء في المعجم الوسيط أن هذه الكلمة مُحدثة، وهو: جماعة الموظفين الذين يمثلون دولة لدى دولة أخرى^(٦)، وأما كلمة الدبلوماسية فكلمة يونانية تعني: علم العلاقات بين أشخاص القانون الدولي العام، والحفاظ على مصالحها المتبادلة، وفن تبديلها وإجراء المفاوضات^(٧).

وعلى هذا فالمقاطعة الدبلوماسية هي: قطع التمثيل الدبلوماسي القائم بين الدول المختلفة، وإظهار حالة الاستياء والرفض من سلوك دولة من الدول؛ احتجاجاً على اعتداءٍ صادرٍ منها أو فيها ضد دولة أو دول.

(١) ابن منظور، مرجع سابق (١٠٨/٦).

(٢) أبو القاسم السعدي، مرجع سابق (٢ / ص ١٦٢).

(٣) أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، ٤٢١/١، وإبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مرجع سابق (١ / ص ٩٥٨).

(٤) الكليات، مرجع سابق (ص ٥١٠).

(٥) عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل، أبو حفص، نجم الدين النسفي، طلبة الطلبة، ص ٣٣٢.

(٦) إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، مرجع سابق (١ / ص ٩٢٢).

(٧) د: حسن غازي صباريني، مرجع سابق ص ١٤٣، وأشخاص القانون الدولي هم: الدول والمنظمات الدولية.

المطلب الثاني:

التأصيل الشرعي للمقاطعة السياسية

لا يصح القول بأن الإسلام لا يريد إقامة علاقات قائمة على الوفاء والعدل والنصح، ولا يصح أيضاً القول بأن الإسلام لم يأت ببغض أهل الديانات الفاسدة، والحقيقة أن الإسلام يبني علاقاته مع الكفار على العدل الإلهي المبين قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ [القم: ٣٥-٣٦]. فقد أوجب الله تعالى حب المؤمنين كما أوجب بغض الكافرين، فالموالاة في الإسلام إنما تبنى على الدين، فلا تخضع للنزوات البشرية، والمصالح الضيقة، ويؤكد هذا حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله»^(١)، فالإسلام يُخضع معايير الرحمة والموالاة للحق، وقد قال القرافي في بيان الفرق بين الأمر بعدم موالاة الكفار، والأمر ببر أهل الذمة: إذا كان عقد الذمة بهذه المثابة تعيّن علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب، ولا تعظيم شعائر الكفر، فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع، وصار من قبيل ما نُهي في الآية وغيرها^(٢).

فعلاقة الدولة الإسلامية مع الدول الكافرة تقوم على هذا الأصل، وهو دعوتهم إلى الحق، والتعاون معهم في الحق بصورة لا تعطيهم ولاءاً، أو تعطي شعائرهم تعظيماً، وعليه فإن استمرار إقامة العلاقة السياسية معهم حال استهزائهم بالرسول ﷺ تفيد نوعاً من السكوت عن سخريتهم، ومجاراة لهم في قيمهم السفهية، ومنها ادعاء الحرية في السخرية بالأنبياء! وقد قال الحسن البصري: جعل الله الدين بين لاءين: (وَلَا تَطْعُوا) (وَلَا تَرْكَبُوا).

(١) أحمد بن حنبل، مرجع سابق، (٤ / ٢٨٦)، وأبو عبد الله الحاكم، المستدرک علی الصحیحین ٥٢٢/٢ بلفظ: أوثق عرى... وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة (٤ / ٢٢٧) رقم ٩٩٨.

(٢) أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق مع هوامشه) (٢٩/٣).

وذلك في قوله الله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٣﴾ وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [هود: ١١٢-١١٣] (١). وهذه الكلمة من الحسن البصري تظهر عقيدة السلف الصالح التي لم تختلط بالباطل، فبناء علاقة الدولة الإسلامية مع الكفار قائم على عدم الطغيان الذي ينتج عنه الظلم، وعدم الركون والتفريط في الحق.

فلا يجوز التسوية في التعامل بين من تنكر لله تعالى، واستهزأ بنبيه ﷺ، وبين غيره، فالمقاطعة السياسية للأعداء بناءً على ما تقتضيه مصلحة المسلمين هي قيام بالأمر الإلهي الذي يوجب بذل الولاء للمؤمنين، والبراء من الكافرين، فكيف إذا كان هذا الكافر قد اعتدى على المسلمين في أعظم عقائدهم؟

ومن الأدلة على هذه المقاطعة قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [المجادلة: ٢٢]. والمحادة مأخوذة من الحد والفصل (٢)، والمستهزئ بالرسول ﷺ ليس محاداً فقط، بل أضاف إلى ذلك الاستهزاء، فالكفر قد يقع دون استهزاء، بخلاف الاستهزاء فإنما يكون من الموغل في الكفر، وذلك يوجب مقاطعته أكثر من غيره، ومن ذلك عدم استمرار العلاقات الدبلوماسية معه، وهذه الآية تبين أن المؤمن لا يتخذ من حاد الله ورسوله ولياً، ولو كان أقرب الناس إليه، فلا يصح إبقاء هذه العلاقة مع المستهزئ بالرسول ﷺ، خصوصاً حين يرير الإساءة بأنها حرية تعبير، مما يغري كل فاجر على اقتراف الإساءة في أي وقت .

(١) أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الكشاف (٤٠٨/٢).

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة لا بن القيم (١٣٩٣/٣).

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُوا مَا عَنِتُّمْ قَد بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

فمن أظهر استهزاءه برسولنا ﷺ فإن ذلك بعض ما في قلبه من الغيظ على ديننا ونبينا، والآية دالة على عدم جواز اتخاذ مثله بطانة لنا، فلزم قطع علاقاتنا السياسية معه؛ لأن مقتضى تلك العلاقات التشاور والاحترام المتبادل في حين تكون الإساءة قائمة.

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧] . ووجه الدلالة أن الله حرم علينا أن نوالي من اتخذ ديننا هزواً، وهو ما ينطبق على بقاء العلاقات مع الدول التي تسيء إلى الرسول ﷺ .

ومن الأدلة أيضاً قوله تعالى: ﴿أَلَا تَقْنَلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَنَهُمْ وَهُمْ يُبَخِّرُ الرِّسُولَ وَهُمْ بَدَاءُكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً أَخْشَوْهُمْ ۗ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٣] . ووجه الدلالة أن الله حثنا في هذه الآية على قتال من نقض عهده معنا وطعنه في ديننا، وإذا تعذر القتال اليوم فلا أقل من أن نقطع علاقاتنا معه، خصوصاً أن هذه العلاقات تفيد هذا العدو أكثر مما تفيدنا، وتجعله يجني من خلالها مصالح سياسية ومادية وثقافية، وإذا تعذرت بعض صور المقاطعة فإن الميسور لا يسقط بالمعسور كما نص على ذلك العلماء^(١).

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَيَمْسَكُوا النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣] . ومن معاني الركون: المداهنة

(١) الغزالي، المستصفى، مرجع سابق(٢٢٠/١)، والسيوطي، الأشباه والنظائر، مرجع سابق، ص ١٥٩.

والميل إلى هؤلاء الكفار^(١)، وقال الرازي: نهى الله عن الركون إليهم حال إقامتهم على الظلم^(٢)، وقال الألوسي: المعنى: لا تميلوا أدنى ميل^(٣).

والعلاقات الدبلوماسية بشكلها المعاصر نوع من الركون، فالميل إليهم ولو أدنى ميل على تعبير بعض المفسرين محرم، والركون إليهم مع إقامتهم على الظلم وإصرارهم على الاستهزاء برسولنا ﷺ أمر ظاهر التحريم.

ومما يؤكد ذلك: النظر إلى مهام تلك العلاقات الدبلوماسية، فمن مهام التمثيل الدبلوماسي توطيد العلاقات الودية، وتدعيم الصلات الاقتصادية والثقافية والعلمية بين الدول^(٤)، وذلك يُحتم قطعها بسبب الإساءات للنبي ﷺ، وذلك وجه من وجوه استنكار الاستهزاء برسول الله عليه الصلاة والسلام، وكل تعلل بالمصلحة هنا لا وجه له في الواقع؛ لأن مصلحة المسلمين إنما تكون في إظهار موقف قوي ضد من يسيء للنبي ﷺ.

ومما يدل على وجوب مقاطعة المسيئين للنبي صلى الله عليه وسلم ما نراه في هذه الأحداث من تضامن الكفار مع إخوانهم، فكيف يغار هؤلاء على إخوانهم في الكفر، ولا نغار على رسولنا الكريم ﷺ؟! وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، فمن دواعي وجوب موالاتة المؤمنين رؤية اجتماع الكفار على كفرهم، واستمرار العلاقة مع من استهزءوا برسول الله ﷺ موجب لفتنة ضعاف النفوس من المسلمين، وقد نص ابن كثير على أن الشريعة شاهدة بأن

(١) الطبري، مرجع سابق، (١٢:ص١٢٧)، و ابن كثير، التفسير، مرجع سابق، (٢:ص٤٦٢)، ومحمد بن علي

الشوكاني، فتح القدير (٢:ص٥٣٠).

(٢) فخر الدين الرازي، مرجع سابق (٤/٣٩).

(٣) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، روح المعاني (١٢:ص١٥٤).

(٤) د: علي صادق أبو هيف، القانون الدبلوماسي ص ٣٩٧، و د: عبد الواحد عزيز الزنداني، السير والقانون الدولي ص

كل حرام فالوسيلة إليه مثله؛ لأن ما أفضى إلى الحرام فهو حرام^(١)، فوجب قطع تلك العلاقات قياماً بالواجب الشرعي، وقطعاً لأسباب الافتتان والذلة والهوان.

ومن أدلة وجوب المقاطعة الدبلوماسية للدول المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم أن الله أمرنا بمخالفة الكفار في الأفعال الظاهرة؛ لأنها موجبة للموالاتة القلبية، وقد علل ابن رجب محبة الرسول ﷺ لتلك المخالفة بخوفه ﷺ على أمته اتباعهم^(٢)، وذكر ابن تيمية أن الموالاتة و الموادة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر مطلوبة؛ لأن موالاتة الظاهر تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجهه الطبيعة، وتدلل عليه العادة^(٣). فإذا وجبت مخالفة الكفار في الأحوال العادية، فإن مبايئتهم ومقاطعتهم سياسياً حال استهزائهم برسول الله ﷺ واجب من باب أولى.

ومما يدل على ذلك أن الشرع جاء بمقاطعة أهل المخالفات والمجاهرين بالمعاصي وهجرهم، وهجر أهل البدع الذين يفتنون الناس عن دينهم، ولاشك أن المقاطعة بشتى ألوانها للكافرين الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين أولى بذلك وأوجب، ردعاً لهم، وحماية للذين قد تؤثر عليهم بدعة العصر الكبرى التي تجعل ممارسة الكفر والاستهزاء بالأنبياء الكرام أمراً تكفله قوانين حرية التعبير.

وقد نص العلماء على أن الحكمة من الهجر الشرعي صلاح دين الهاجر، أو دين المهجور^(٤)، والمقاطعة السياسية للمسيئين إلى الإسلام ونبيه الكريم ﷺ يُرجى منها صلاح دين الهاجر بغيرته لله تعالى ورسوله ﷺ، ومن أوجه هجران الكافر هجره بالقلب، وترك

(١) ابن كثير، التفسير، مرجع سابق، (١ / ٧١١).

(٢) زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين المعروف بابن رجب، فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣ / ص٢١٦).

(٣) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، (ص ١٦٠).

(٤) شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج (٣/٢٥٩).

التودد والتعاون والتناصر، لا سيما إذا كان حربياً^(١)، وإبقاء العلاقات السياسية مع الكافر المسيء للإسلام نوع من التعاون معه، بل ربما كانت المقاطعة الدبلوماسية نوعاً من الجهاد، وفي مثل ذلك يقول الإمام ابن تيمية: الهجر من باب العقوبات الشرعية، فهو من جنس الجهاد في سبيل الله، وهذا يُفعل لأن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله^(٢).

ومن الأدلة على وجوب المقاطعة السياسية للكفار الطاعنين في ديننا ونبينا صلى الله عليه وسلم أن مقاطعة الكفار هي شرعة إبراهيم عليه السلام، وذكر الرازي أن المبالغة في تقرير وجوب الانقطاع أمر مشروع في دين إبراهيم عليه السلام، فتكون المبالغة في تقرير وجوب المقاطعة والمباينة من الكفار عندنا أقوى^(٣)، وأمر الله تعالى باتباع ملة إبراهيم دليل ظاهر على وجوب مباينة الكفار ومقاطعتهم، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

ومن الأدلة أيضاً على وجوب هذا النوع من المقاطعة أن الشرع جاء بحماية كليات الشريعة الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، قال الغزالي: تحريم تفويت هذه الأمور الخمسة والزجر عنها يستحيل ألا تشتمل عليه ملة من الملل، وشرعية من الشرائع التي أريد بها إصلاح الخلق^(٤)، وإبقاء العلاقات السياسية مع الكفار والحالة هذه طعن في أعظم ضرورات الشرع، وهي الدين في حق من أبقى علاقاته معهم.

ومن ضمن ما يُستدل به على المقاطعة الدبلوماسية النظر إلى أسباب وقوع هذه المقاطعة في واقع اليوم، فإنه لو استهزئ برئيس دولة أو علمها تحت تبرير حكومي

(١) العسقلاني، فتح الباري، مرجع سابق (١٠/٤٩٧).

(٢) أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية (٢٨/٢٠٨).

(٣) فخر الدين الرازي، مرجع سابق، (١٦/١٦٦).

(٤) الغزالي، المستصفى مرجع سابق، (١/١٧٤).

لقوطعت الدولة المسيئة، ولقام المجتمع الدولي باستنكار تلك الإساءة، ومقام النبي ﷺ أعظم من أي مقام، وذلك يقتضي مقاطعة من يسيء إليه. وأخيراً فإن تكرار الإساءات للنبي ﷺ يؤكد أن الأمر يحمل الإصرار على الإساءة، وأنه يجب أن يُتصدَّى له بكل الوسائل، ومنها قطع العلاقات السياسية مع المستهزئين برسول الله عليه الصلاة والسلام، ويجب على المسلمين أن يمتنعوا عن عقد أي معاهدة فيها ما يضعف حقوقهم، خصوصاً أن غالب المعاهدات إنما تكون المصالح الراجحة فيها لأهل الكفر، والمتابع لواقع العلاقات الدبلوماسية يجد أن المنافع المادية تصدر قائمة نتائج تلك العلاقات، بل قوة تلك العلاقات وضعفها إنما يكون بقدر ما يُجْحَى من ورائها من أموال، فرجعت ضرورة قطعها إلى ضرورة قطع العلاقات الاقتصادية، وهو بيناه بأدلته الشرعية ومبرراته القانونية.

المطلب الثالث:

التأصيل القانوني للمقاطعة السياسية

إن أساس العلاقات الدبلوماسية هو مؤتمر (فيينا) عام ١٨١٥م، ثم بعده مؤتمر إكس لاشبل عام ١٨١٨م، وفي هذين المؤتمرين أُقرَّت القواعد الدولية للدبلوماسية الحديثة، وتم التصديق في اجتماع مؤتمر الأمم المتحدة للعلاقات والحصانات الدبلوماسية في (فيينا) عام ١٩٦١م على أول اتفاق لتحديد الوضع القانوني للممثلين الدبلوماسيين^(١).

والقوانين الدبلوماسية الدولية لا تحتوي على ما يمنع من القيام بقطع تلك العلاقات الدبلوماسية، فليس من حق أي دولة أن تلزم دولة أخرى بإقامة علاقات دبلوماسية معها؛ لأن إقامة تلك العلاقات بحسب القانون الدولي يعتبر حقاً للدول لا واجباً عليها، وهذا في الأحوال العادية، فكيف بالأحوال التي يكون فيها اعتداء على شعائر ومقدسات تلك

(١) د: عبد الواحد بن عزيز الزنداني، مرجع سابق ٢٤٤ - ٢٤٥.

الدولة التي يُطلب منها إقامة علاقات دبلوماسية مع غيرها؟ وبذلك يقرّر القانونيون أن الحق المقرر للدول في التمثيل الدبلوماسي لا يقابله التزام من جانبها بتبادل التمثيل الدبلوماسي^(١).

وعند رغبة الدول في التبادل الدبلوماسي فإن القوانين الدولية قد حددت آداباً يجب على سفير أي دولة أن يلتزم بها، وقد أعطت القوانين الدول المستقبلية للدبلوماسيين الحق في عدم قبول الشخص المقترح، وأن لها رده بأنه غير مقبول، وغير مرغوب فيه دون إبداء الأسباب^(٢)، وتقرر القوانين الدولية أن هناك حالات توجب رد السفير، وأمره بالمغادرة، وذلك فيما لو تجسس^(٣)، ومثل ذلك تعطيل التمثيل الدبلوماسي بسبب انتهاء حالة السلام^(٤)، أو عدم الرغبة في الاتصال السلمي^(٥).

وبالنظر في هذه المبررات القانونية فإن سب الرسول ﷺ هو دليل على عدم الرغبة في الاتصال السلمي مع المسلمين واحترام العلاقات معهم، وهذا يعد مبرراً قانونياً لقطع العلاقات السياسية مع من صدر منه ذلك الاستهزاء بالإسلام ورسوله الكريم ﷺ، كما أن قطع هذه العلاقات هو نتيجة لإخلال تلك الدول المسيئة بالتزاماتها تجاه الآخرين، فقد جاء في ديباجة ميثاق الأمم المتحدة أن شعوب الأمم المتحدة آلت على نفسها احترام الالتزامات الناشئة عن المعاهدات وغيرها من مصادر القانون الدولي^(٦).

(١) د: أبو هيف، مرجع سابق، ص ٢٤٦، و د: عبد الكريم علوان، الوسيط في القانون الدولي العام (الكتاب الثاني القانون الدولي المعاصر) ص ٢٤٧.

(٢) د: أبو هيف، مرجع سابق، ص ٣٩٨، و د: عبد الواحد بن عزيز الزنادي، مرجع سابق ص ٢٥٣.

(٣) أحمد سالم محمد باعمر، الدبلوماسية ص ١٧٨.

(٤) د: محمد حافظ غانم، مبادئ القانون الدولي العام ص ١٨٨.

(٥) د: جنينة، مرجع سابق، ص ١٥٨.

(٦) د: علي العواضي، المنظمات الدولية وحقوق الإنسان، مرجع سابق، ص ٣٨.

ومن تلك الالتزامات التزام احترام الأديان وعدم تشويهها^(١)، وهو ما يتناقض مع نشر الإساءات لدين الإسلام ونبيه الكريم ﷺ، فكان الإخلال بهذا الالتزام مبرراً قوياً لقطع العلاقات مع من يسيء للإسلام أو يعين عليه، يضاف إلى هذا أن القوانين قد سوّغت للدول ردّ الممثل الدبلوماسي لدولة ما دون إبداء أسباب ذلك، وذلك مراعاة للدول في مشاعرها وحرمانها، فكيف يمنع القانون الدولي رد الممثل الدبلوماسي نتيجة لإخلاله بالتزاماته التي أعطاها لأمة كبرى، ونشره إساءةً وصلت شراراتها إلى كل العالم؟! وقد كان الأجدر بتلك الدول بناءً على التزاماتهم بمعاهدات الأمم المتحدة أن يبينوا موقفهم الرفض لأي إساءة للنبي محمد ﷺ، رعايةً لمقتضيات القانون الدولي.

(١) د: حسن غازي صباريني، الوجيز في حقوق الإنسان ص ٢٩٣. وانظر: مقال في موقع: المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بعنوان: الرسوم الدنماركية ... الحدود الفاصلة بين حرية التعبير العنصرية، بقلم: حافظ أبو سعده الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان .

الخاتمة:

وتشتمل على النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج: إن أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث هي ما يلي:

- أن المقاطعة الاقتصادية أسلوب ووسيلة مهمة في الدلالة على العزة والدفاع عن مقدسات الشريعة، وهي سلوك أممي من قديم الزمان سلكتها الأمم في سبيل تحقيق أهدافها وحماية مصالحها.
- أن المقاطعة الاقتصادية دلت نصوص الكتاب والسنة على مشروعيتها، وقد تصل للوجوب حين تكون الطريقة الوحيدة أو المؤثرة لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يتوقف القول بشرعية تلك المقاطعة على إذن ولي الأمر.
- أن المقاطعة الاقتصادية للدول المسيئة للنبي صلى الله عليه وسلم أمر يمكن تخريجه وتسويغه من خلال مقتضيات قواعد القانون الدولي.
- أن المقاطعة السياسية للمستهزئ بالرسول عليه الصلاة والسلام أمر واجب تسنده النصوص الشرعية، وتؤكد المصلحة والواقع، كما أن تلك المقاطعة تسوّغها القوانين الدولية.

ثانياً: التوصيات: من التوصيات المناسبة في نهاية هذا البحث ما يلي:

- تفعيل نصرة النبي ﷺ على المستوى العقدي والعلمي، وذلك بقيام وزارات التربية والتعليم والجامعات في البلاد العربية والإسلامية بزرع حب الرسول ﷺ وسيرته من خلال المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، والرد على الشبهات التي يثيرها المفترون حوله، وحث وزارات الإعلام بالتعاون مع وزارات الإرشاد بعمل برامج وحلقات إعلامية تناسب مستويات المجتمع المختلفة من أطفال ونساء و مثقفين وأكاديميين تحتوي على التعريف بسيرة النبي ﷺ، ودفع الشبهات عنه .

- تفعيل النصرة على المستوى السياسي بتذكير الحكومات والمسؤولين بواجبهم تجاه دينهم من النصرة والرد على كل معتدٍ على الدين الإسلامي ، ودعوتهم لاستخدام الوسائل الدبلوماسية لإيقاف الإساءة إلى رسول الله ﷺ .
- تفعيل النصرة على المستوى الاقتصادي من خلال الدعوة إلى استمرار المقاطعة الاقتصادية لكل من يسيء للنبي صلى الله عليه وسلم، وإيجاد قوائم المقاطعة من قبل لجان علمية متخصصة لتوقي ظلم من لا علاقة له بتلك المؤسسات المراد مقاطعتها، ودعوة المتخصصين والتجار لدراسة استفادة الأمة من مثل هذه المواقف، وإيجاد البديل المحلي للسلع والبضائع التي تمت مقاطعتها.

المراجع والمصادر

أولاً: الكتب:

١. إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
٢. أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، (الطبعة: الأولى، ١٤٠٣)، التبصرة في أصول الفقه، المحقق: د. محمد حسن هيتو، الناشر: دار الفكر - دمشق.
٣. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الاعتصام، المكتبة التجارية الكبرى مصر.
٤. أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، الموافقات، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة بيروت.
٥. أبو الأشبال أحمد بن سالم المصري، (الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ الموافق ٢٠٠٥م)، فتاوى العلماء الكبار في الإرهاب والتدمير، وضوابط الجهاد والتكفير ومعاملة الكفار، دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع .
٦. أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ الموافق ١٩٩٣ م .
٧. أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت.
٨. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (الطبعة الأولى ٢٠٠٠م)، المحكم والمحيط الأعظم، ، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية بيروت.
٩. أبو الحسن علي بن سليمان المرادوي، (الطبعة: الثانية)، ، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد حامد الفقهي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
١٠. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، (١٣٩٩ هـ الموافق ١٩٧٩م)،، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت

١١. أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١٢. أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، (الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) أنوار البروق في أنواء الفروق (الفروق مع هوامشه) ، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت.
١٣. أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، (الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ) الصارم المسلول على شاتم الرسول، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، ومحمد كبير أحمد شودي، دار ابن حزم بيروت.
١٤. أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، (الطبعة الثانية ١٣٦٩هـ) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية القاهرة .
١٥. أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة الحراني، (الطبعة الأولى، ١٣٨٦هـ) الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.
١٦. أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي، (الطبعة الأولى ١٩٧٩م)، المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق: محمود فاخوري، و عبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد حلب.
١٧. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت.
١٨. أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، (الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ)، زاد المسير في علم التفسير، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.
١٩. أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت.
٢٠. أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي بيروت، بلا.
٢١. أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض البحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، دار التراث، بلا.
٢٢. أبو القاسم علي بن جعفر السعدي، (الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣م)، الأفعال، عالم الكتب بيروت.

٢٣. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، بلا.
٢٤. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، (الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ)، البرهان في أصول الفقه، تحقيق د: عبد العظيم محمود الديب دار الوفاء المنصورة مصر.
٢٥. أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الطبعة الأولى ١٩٧٩ م، غياث الأمم واليثار الظلم، تحقيق د: فؤاد عبد المنعم، ود: مصطفى، دار الدعوة الإسكندرية.
٢٦. أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٣ هـ، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت.
٢٧. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، الطبعة الأولى، عام ١٤٠٩ هـ، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض.
٢٨. أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الدين السرخسي، المبسوط، دار المعرفة بيروت، بلا.
٢٩. أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري، (١٣٩ هـ الموافق ١٩٧٠ م)، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: د/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٠. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، (الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ)، المستصفى في علم الأصول، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت.
٣١. أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة - بيروت
٣٢. أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، (الطبعة: الأولى، عام ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠١ م)، البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية لبنان بيروت.
٣٣. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، المكتب الإسلامي بيروت.
٣٤. أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٦ هـ الموافق ١٩٨٦ م، السنن (المجتبى من السنن) مع حاشية السندي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب.
٣٥. أبو عبد الرحمن صالح بن محمد بن حليس اليافعي، المعجزة المتجددة في عصرنا الإسلام، بعض مظاهر انتشار الإسلام عقب الاعتداء على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، دار القمة.

٣٦. أبو عبد الله شمس الدين محمد الذهبي، (الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية بيروت.
٣٧. أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٧م، أحكام أهل الذمة تحقيق: يوسف أحمد البكري، وشاكر توفيق العاروري، دار ابن حزم الدمام بيروت.
٣٨. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (الطبعة: التاسعة ١٤١٣هـ) سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة بيروت.
٣٩. أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، (الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ)، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، تأليف: دار الفكر بيروت.
٤٠. أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد ضياء الدين المقدسي (ت: ٦٤٣هـ)، (ط: ٣، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، الأحاديث المختارة «المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج به البخاري ومسلم في صحيحيهما»، تحقيق: أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
٤١. أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المرزوي، (الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ)، السنة، بيروت تحقيق: سالم أحمد السلفي، نشر مؤسسة الكتب الثقافية.
٤٢. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي القاسم العبدري، (الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ) التاج والإكليل لمختصر خليل، دار الفكر بيروت
٤٣. أبو عمر القرطبي يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (ت: ٤٦٣هـ)، (ط: ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية.
٤٤. أبو الليث السمرقندي، (الطبعة الأولى ١٤١٣هـ)، بحر العلوم، تحقيق: علي محمد وعادل أحمد وزكريا عبد المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٥. أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، (الطبعة الأولى، عام ١٤١٣هـ الموافق ١٩٩٣م) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية لبنان.

٤٦. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قءامة المقدسي، (الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ)، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ءار الفكر بيروء.
٤٧. أبو محمد عبد الله بن قءامة المقدسي، الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، المكءب الإسلامي بيروء.
٤٨. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، المحلى بالآءار شرح المجلى بالاختصار، ء تحقيق: لجنة إءياء التراث العربي، بلا ءار الآفاق الجءيدة بيروء.
٤٩. أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماآريءي، (الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م)، ءأويلاء أهل السنة، المحقق: ء. مجءي باسلوم، الناشر: ءار الكءب العلمية - بيروء، لبنان.
٥٠. أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المءوفى: ٤٣٠هـ)، طبعة ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الناشر: السعاءة - بجوار محافظة مصر.
٥١. أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (المءوفى: ٤٥٨هـ)، (الطبعة: الءانية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م)، العءة في أصول الفقه، حققه وعلق عليه وخرج نصه: ء أحمد بن علي بن سير المباركى، الأستاذ المشارك في كلية الشريعة بالرياض - ءامعة الملك محمد بن سعود الإسلامية.
٥٢. أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرُوْءُءري البيهقي أبو بكر (ت: ٤٥٨هـ)، (ط: ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، السنن الكبرى، المحقق: محمد عبد القاءر عطا، الناشر: ءار الكءب العلمية، بيروء - لبنان.
٥٣. أحمد بن عبد الحلیم ابن ءيمية أبو العباس الحرائي (ت: ٧٢٨هـ)، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المءينة النبوية- المملكة العربية السعودية.
٥٤. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فءح الباري شرح صحيح البخاري، نشر وءوزيع رئاسة إءارات البءوء العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
٥٥. أحمد بن فارس بن زكراء القزويني أبو الحسين الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: ءار الفكر.

٥٦. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال أبو عبد الله الشيباني، (ط: ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة.
٥٧. أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (١٤٠٣هـ)، فتوح البلدان تأليف: تحقيق: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية بيروت.
٥٨. أحمد سالم محمد باعمر، (الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١م)، الدبلوماسية في العصر الإسلامي والقانون والدولي (دراسة مقارنة) دار النفائس للنشر والتوزيع.
٥٩. أحمد سالم محمد باعمر، الطبعة الأولى (١٤٢١ الموافق ٢٠٠١م)، الدبلوماسية في العصر الإسلامي والقانون والدولي (دراسة مقارنة)، دار النفائس للنشر والتوزيع.
٦٠. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري أبو الفداء (ت: ٧٧٤هـ)، (ط: ١)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت.
٦١. جين سيمو ينز، (الطبعة الثانية ١٩٩٨م) التنكيل بالعراق والعقوبات والقانون والعدالة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
٦٢. الحسين بن مسعود البغوي، (الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي دمشق بيروت.
٦٣. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د مهدي المخزومي، ود: إبراهيم السامرائي.
٦٤. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي، (الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢م) الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين.
٦٥. د/ عبد الوهاب الكيالي، (١٩٩٢م)، الموسوعة السياسية، إصدار مؤسسة الكيالي للدراسات والنشر
٦٦. د/ محمد بن سعد الشويعر، (١٤١٧هـ) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز جمعها ورتبها دار القاسم .
٦٧. د/ محمد عبد الرشيد علي، (الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ الموافق ٢٠٠٤م) العولمة اتفاقية التجارة الدولية، وآثارها على اقتصاديات البلدان النامية (الحالة اليمنية) نشر مركز عبادي الدراسات والنشر

٦٨. د/ محمد عمر الحاحي، (الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ الموافق ٢٠٠١م)، حقيقة الجات تأليف: دار المكتبي سوريا.
٦٩. د: حسن غازي صباريني، (الطبعة الأولى ١٩٩٢م) الوجيز في مبادئ القانون الدولي العام، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع .
٧٠. د: عبد الكريم علوان، (الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م) الوسيط في القانون الدولي العام (الكتاب الثاني القانون الدولي المعاصر) مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع عمان الأردن.
٧١. د: عبد المنعم النمر، (١٩٦٤)، كفاح المسلمين في تحرير الهند مكتبة وهبة القاهرة.
٧٢. د: عبد الواحد عزيز الزنداني ، (٢٠٠٦ م - ٢٠٠٧م) السير والقانون الدولي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع صنعاء، من منشورات الجامعة اليمنية.
٧٣. د: عبد الوهاب المسيري، (ط:١، ١٩٩٩م)، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق - القاهرة - بيروت.
٧٤. د: علي صادق أبو هيف، (الطبعة الثالثة ١٩٥١م) القانون الدولي العام.
٧٥. د: علي مكرد محمد العواضي، المنظمات الدولية وحقوق الإنسان، مكتبة ومركز الصادق صنعاء بلا
٧٦. د: مجدي قرقر، (الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، المقاطعة في مواجهة التطبيع، صادر عن مركز الإعلام العربي، فلسطين.
٧٧. د: محمد السعيد الدقاق، (١٩٩٤م)، التنظيم الدولي (النظرية العامة - الأمم المتحدة) تأليف دار المطبوعات الجامعية
٧٨. د: محمد حافظ غانم، (الطبعة الثانية عام ١٩٥٩م) مبادئ القانون الدولي العام.
٧٩. د: محمد رواس قلعة جي، ود: حامد صادق قنبي، (الطبعة الأولى الموافق ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م) معجم لغة الفقهاء (معجم عربي كشاف إنكليزي) دار النفائس بيروت لبنان.
٨٠. د: محمود سامي جنيبة، (الطبعة الثانية ١٩٣٨م) القانون الدولي العام.
٨١. د: يوسف القرضاوي، (الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠٢ م)، فتاوى معاصرة، تأليف دار القلم للنشر والتوزيع الكويت.

٨٢. زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب، (الطبعة الأولى ١٤١٧هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء المدينة المنورة.
٨٣. زين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن الحنفي، الطبعة ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م، الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.
٨٤. زين الدين بن إبراهيم بن محمد ابن نجيم الحنفي، (الطبعة الثانية)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، تأليف: دار المعرفة بيروت.
٨٥. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو أبو داود الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، السنن، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٨٦. سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، الناشر: دار المعرفة - بيروت.
٨٧. شمس الدين محمد بن الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الفكر بيروت، بلا.
٨٨. الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، دار الكتاب العربي بيروت.
٨٩. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، (الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، الأشباه والنظائر .
٩٠. عبد الرحمن بن خلدون، (الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م) مقدمة تاريخ ابن خلدون المسماة: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان.
٩١. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن أبي حاتم الرازي، تفسير القرآن، تحقيق: أسعد محمد الطيب المكتبة العصرية صيدا.
٩٢. عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، (الطبعة الأولى ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

٩٣. علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، (الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الناشر: دار الكتب العلمية.
٩٤. عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، (الطبعة الأولى، عام ١٤٠٠هـ)، السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المسمى: ظلال الجنة في تخريج السنة، المكتب الإسلامي بيروت.
٩٥. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، (الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م)، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: دار الكتب العلمية بيروت.
٩٦. فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، الطبعة الأولى، عام ١٤٢١هـ الموافق ٢٠٠٠م، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تأليف: دار الكتب العلمية بيروت.
٩٧. قرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ١٦، الدورة الثانية في ١٢/٢/١٩٤٥م، بغرض إعاقه تمكين الصهاينة من تحقيق وطن قومي لهم في فلسطين.
٩٨. اللواء الركن: محمود شيث خطاب، (الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) سفراء النبي ﷺ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع.
٩٩. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، تحقيق: مؤسسة الرسالة، إشراف: محمد نعيم العرقشوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.
١٠٠. محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الحميدي، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٥م، تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز مكتبة السنة القاهرة، مصر.
١٠١. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ط: ١، ١٤٢٢هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق.
١٠٢. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الآملي، الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، (ط: ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، جامع البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة.

١٠٣. محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري أبو عبد الله الحاكم (ت: ٤٠٥هـ)، (ط: ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
١٠٤. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر بيروت، بلا .
١٠٥. محمد بن فهد الحصين، (الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ)، الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، دار الأختيار بالرياض.
١٠٦. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزبيدي، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
١٠٧. محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين أبو الفضل، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، (ط: ٣، ١٤١٤هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر - بيروت.
١٠٨. محمد ناصر الدين الألباني، (الطبعة الثانية، عام ١٤٠٥ هـ الموافق ١٩٨٥م)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي بيروت.
١٠٩. محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الصحيحة المعارف الرياض، بلا .
١١٠. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
١١١. الناشر: دار الكتب العلمية.
١١٢. نجم الدين أبي حفص عمر بن محمد النسفي، (١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٥م) طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار النفائس عمان.
١١٣. ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، ومحمد الدران، وفؤاد أندوراس، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس.
١١٤. يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، (الطبعة الأولى ١٤١٢هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بيروت.

المقالات والمواقع:

١١٥. حافظ أبو سعده الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، موقع: المنظمة المصرية لحقوق الإنسان بعنوان: الرسوم الدنماركية ... الحدود الفاصلة بين حرية التعبير العنصرية.
١١٦. حسين وصفي رضا، الدولة العلية و بلغاريا و النمسا، بقلم: انظر: مجلة المنار الصادرة في: شوال ١٣٢٦هـ الموافق نوفمبر ١٩٠٨م .
١١٧. د: رائد شفيق حليحل، بيان حول الإساءة المتجددة في الدانمارك من مؤسس اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية الشيخ: كما في موقع طريق الإسلام بتاريخ: ١٧ - ٠٢ - ٢٠٠٨م .
١١٨. د: علي بن عمر بادحدح، خطبة عن المقاطعة. منشورة في موقع: إسلاميات ٢٦/٢/٢٠٠٦م .
١١٩. د: عمار بكار، مقال في موقع: العربية نت بتاريخ: ١٩ ربيع الأول ١٤٢٧هـ/ ١٧ إبريل ٢٠٠٦م .
١٢٠. سعد بن مطر العتيبي، في مقال بعنوان: المقاطعة الاقتصادية للدنمارك من الناحية القانونية: وهو منشور في موقع اللجنة العالمية لمناصرة خاتم الأنبياء.
١٢١. سعود بن محمد العقيلي، مقال له بعنوان : المقاطعة بين أدلة الشريعة وانفعالات أهلها (دراسة فقهية) وهذا المقال منشور في موقع اللجنة العالمية لمناصرة خاتم الأنبياء ٩/٣/١٤٢٩هـ /٣/١٦/٢٠٠٨م.
١٢٢. مجلة البيان العدد ٤٦، جمادى الآخرة ١٤١٢هـ / ديسمبر ١٩٩١م .
١٢٣. مجلة البيان العدد ٨٩ المحرم ١٤١٦، يونيو ١٩٩٥م .
١٢٤. مجلة البيان العدد ٩٩ ذو القعدة ١٤١٦هـ/إبريل ١٩٩٦م .
١٢٥. مجلة المنار المنشورة في رجب - ١٣٤٩هـ، الموافق ديسمبر ١٩٣٠م .
١٢٦. مجلة المنار محمد رشيد رضا مبادئ الانقلاب الاجتماعي الأكبر، بتاريخ: ربيع الأول ١٣٣٧هـ الموافق ديسمبر ١٩١٨م .
١٢٧. مركز الإعلام العربي، تقرير القدس الصادر عن مركز الإعلام العربي: ربيع الآخر ١٤٢٢هـ، يوليو ٢٠٠١م.
١٢٨. موقع إسلام أون لاين - <https://islamonline.net/>.
١٢٩. موقع الشبكة الإسلامية - <https://www.islamweb.net>
١٣٠. موقع الشيخ: محمد حسن علوان في مقال له بعنوان : لماذا حَرَّمَ السدلان والعبىكان المقاطعة الشعبية؟ alwan@alwatan.com.sa .

١٣١. الموقع العربي حقوق المستهلك. [/http://www.consumersarab.org](http://www.consumersarab.org)
١٣٢. موقع اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم
www.whymuhammad.com/en
١٣٣. موقع المنظمة الدولية للمستهلكين.
[/https://www.consumersinternational.org](https://www.consumersinternational.org)
١٣٤. موقع جريدة الوطن السعودية، العدد (٢٤١٤). الخميس ٢٣ ربيع الآخر ١٤٢٨هـ / ١٠ مايو
[/ https://www.alwatan.com.sa](https://www.alwatan.com.sa) م٢٠٠٧
١٣٥. موقع منظمة الدفاع عن المستهلك.
https://web.facebook.com/odcmanouba/?_rdc=١&_rdr